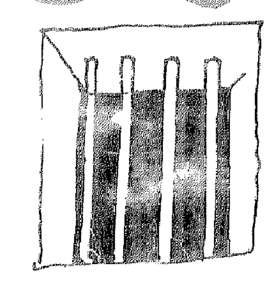
مصطفى أمين

سنة أولى سجن

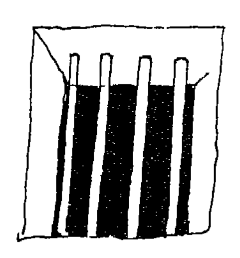






مصطفى أمين

سنة أولى سجن



دار
أخبار اليوم
إدارة الكتب والمكتبات

غلاف الفنان .... مصطفى حسين
الرسوم الداخلية .... محمد عفت
الماكيت .... خالد عبد الرازق

عصر العبور

اليوم نعبر أول خطوة من خطوات الحرية ـ بعد ان عشت فى ظلام السجن حوالى تسع سنوات .

ولا أستطيع وأنا اخطو إلى الهواء الطلق خطوتي الأولى ـ إلا ان أذكر الرجل الذى فتح لى باب الحرية وفتح قبل ذلك ابواب الحرية أمام مئات المعتقلين ـ وأعاد العدالة لمئات القضاة ـ ووفر لقمة العيش لآلاف من الذين وضعوا تحت الحراسة او حرموا من وظائفهم .

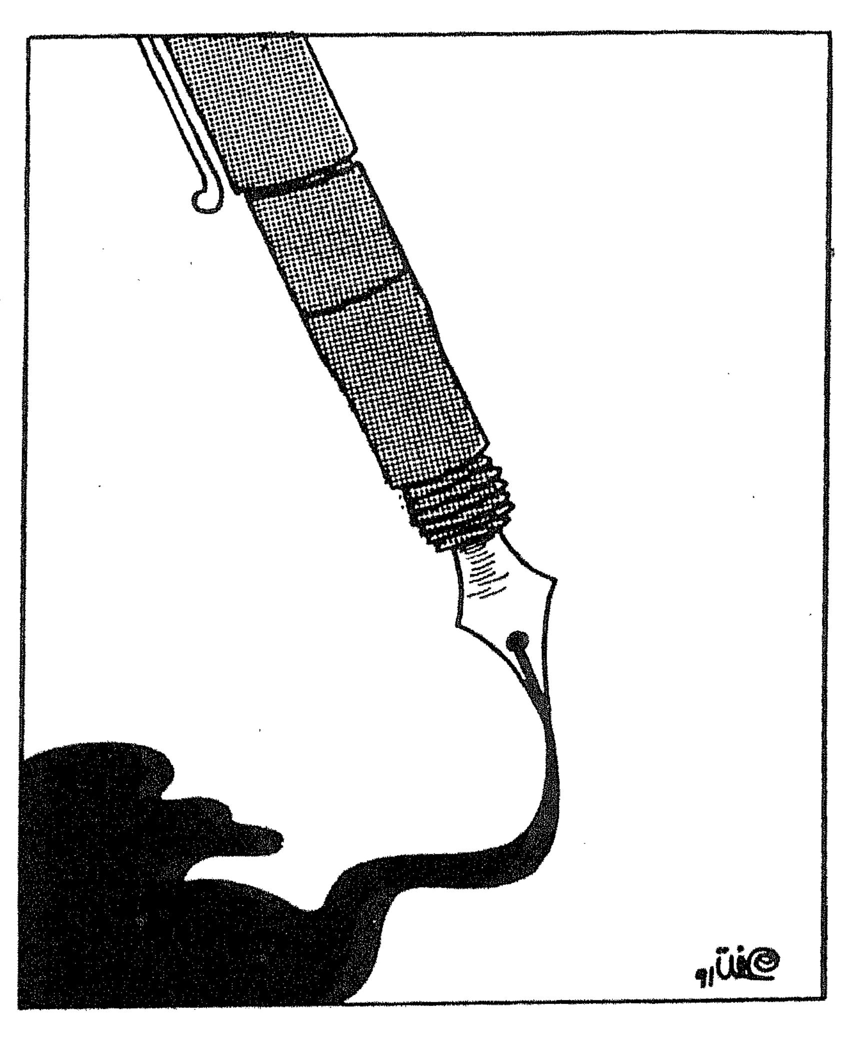
من حق هذا الرجل أن يطلق على عصره « عصر العبور » . عبور الجيش المصرى من الهزيمة إلى النصر .. وعبور الشعب العربى من الانقسام إلى الوحدة .. وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة .. وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل .. وعبور الخائفين من القلق والرعب إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار ..

وعبور المقيدين فى الأغلال إلى حياة الأحرار .. وسوف يعبر بعد هؤلاء كثيرون ..

ان ستة أكتوبر أعطانا درسا عظيما ـ وهو ماذا يستطيع الانسان المصرى أن يفعل وهو حر ـ وبغير أن يعتقل فرد واحد اثناء المعركة سوى .. أسرى الأعداء ..

مصطفى أمين

الحياة .. بلا قلم !



القلم ممنوع ! الورق ممنوع ! الحبر ممنوع !

وتنقلت بين عدة سجون . سجن القبة ، ثم السجن الحربى فى صحراء مدينة نصر ، ثم سجن القبة مرة ثانية ثم سجن الاستئناف فى ميدان احمد ماهر بباق الخلق ، ثم سجن القناطر الخيرية ، ثم سجن الاستئناف مرة اخرى ثم سجن ليمان طرة . ثم معتقل القصر العينى . وفى كل هذه السجون والمعتقلات كان يقال لى ان القلم ممنوع والورق ممنوع والحبر ممنوع !

وبلغ الامر بالعقيد صلاح مكاوى مامور ليمان طرة ان منع دخول ورق التواليت خشية أن اكتب عليه !

وفى بعض هذه السجون كانت الكتابة ممنوعة على الاطلاق . وفى سجن ليمان طرة مثلا كانت الأوامر والتعليمات التى أصدرها وزير الداخلية بشان معاملتى الا يوضع ورق او حبر او قلم فى زنزانتى ، وان اضعها فى مكتب ضابط العنبر ، وان اكتب الى اسرتى مرتين فى كل شهر ، والا يزيد كل خطاب عن نصف ورقة كراس ، وان اكتب الخطاب فى مكتب الضابط وفى وجوده !

● ● ●

وكنت مسجونا نموذجيا ، اطيع الأوامر والتعليمات ، مهما كانت سخيفة وجائرة وكل تعليمات السجن سخيفة وجائرة . ولكن تعليمات وحيدة قررت ان اثور عليها ، واخالفها وهى الخاصة بعدم الكتابة . وذلك ان الكتابة بالنسبة للكاتب اشبه بالتنفس ، وكان معنى هذه التعليمات الجائرة ان اتنفس مرتين كل شهر !

وبدات بمعاونة عدد من زملائى المسجونين عملية تهريب الورق والقلم ، ثم عملية تهريب الرسائل إلى اخى على امين فى لندن وصديقى سعيد فريحة فى بيروت ، وعدد من الصديقات والأصدقاء خارج السجن .

وكانت عملية خطرة وشاقة ومستحيلة ، وكان الذين يقومون بها يعرضون حياتهم للخطر ومستقبلهم للضياع .. وكنت اعتمد على المسجونين المظلومين .. فالمظلوم يتحول الى شهيد ، والشهيد يجود باخر قطرة من دمه فى سبيل هدف يؤمن به ..

وكان الهدف الذى نسعى إليه هو مقاومة الظلم ، وخروج الحقيقة المسجونة إلى خارج الأسوار !

وحدث أن ضبط عسكرى يهرب خطابا إلى مسجون سياسى فى سجن ابوزعبل ، فقبض عليه ، وفصل من الخدمة ، وحكم عليه بالسجن مع الشغل .. كل ذلك من أجل خطاب واحد !

ولكن الرجال الشجعان الذين قاموا بهذه المهام الخطرة من اجلى ومن أجل عدد من المسجونين السياسيين لم يخافوا قط ..

وكان بينهم مصريون وسوريون ولبنانيون وفلسطينيون ..

وذات يوم ضبط حارس فى ليمان طرة احد المسجونين السوريين وإسمه محمد نادر جلال . وكان نادر يخفى فى ملابسه خطابا منى مطلوبا تهريبه .. وحاول الحارس تفتيش المسجون السورى ، وخاف المسجون ان يقع خطابى فى يد ادارة السجن ، فاسرع واكل الخطاب ! وبذلك لم يعرف الضباط ولا الحراس ان الخطاب منى !

ووضعوه فى التاديب أربعة شهور ، والتاديب هو اشبه « بالجب » لا يدخله الهواء ، ولا تدخله الشمس ، ويحرم فيه المسجون من كل ضرورات الحياة ..

وضربوا نادر وعذبوه وهددوه ، ومع ذلك لم يفتح فمه ، ولم يعترف بالسر الرهيب ..

واستطعت خلال تسع سنوات ، أن أهرب إلى خارج السجن تسعة آلاف رسالة .

واستطاعت هذه الرسائل كلها ان تخترق الحصار المضروب ، وان تقتحم كل القيود المفروضة .

ولم تضبط منها رسالة واحدة !

وبعد أن خرجت من السجن حاولت أن أستعيد كل هذه الرسائل ، ووجدت أن بعض أصدقائي فزعوا من الرسائل وأحرقوها خشية أن تضبط في بيوتهم .. ولا الومهم على ذلك فقد كان الفراعنة الصغار يعتبرون الرسالة من سجين سياسي أخطر من قنبلة !

ولكن الأغلبية الكبرى من الرسائل بقيت سليمة والحمدلله ..

واليوم انشر بعض الرسائل التي كتبتها من السجن في السنة الأولى ! ..

سنة أولى .. سجن !

مصطفى أمين

كل النســاء
أقوى من بعض الرجال !

سجن القبة ..
يوليو سنة ١٩٦٥
عزيزتي ...

عندما جاءوا للقبض على في منزلى بالاسكندرية ، ورايت الحراس يملأون حديقة المنزل ، تصورت أن الرئيس جمال عبدالناصر قد حضر لزيارتى !

ثم تصورت بعد ذلك أنه حدث انقلاب ، وأن رجال الانقلاب الجدد جاءوا يقبضون على ، لأننى واحد من المتصلين بالرئيس جمال عبدالناصر !

وعندما تبينت الحقيقة تصورت أن عملية القبض تمت بغير علم الرئيس عبدالناصر ! وقد سبق أن قبض على مرة في أول الثورة ، ومرة أخرى بعد بضعة شهور منها ، بدون علم الرئيس عبدالناصر ، وعندما علم في المرتين بأمر القبض على وعلى أخى على أمين ، أمر بإطلاق سراحنا ! ولكن عندما رأيت أن القوة التى جاءت تقبض على ، صحبت معها مصورا لالتقاط صورى ، تأكدت أن المسرحية مدبرة !

ووضعوا القيد الحديدى في يدى ، وأركبونى سيارة خلفها وأمامها عدة سيارات ، فيهـ حراس من جهاز الأمن يحملون المسدسات والمدافع الرشاشة ومشى الموكب في الطريق الزراعى في طريقه إلى القاهرة .

وفي هذه الأثناء كنت أتجه بكل تفكيرى إلى على أمين ، أوجه إليه رسالة غير مكتوبة ، أحاول أن أنقلها بروحي إلى روحه .. كنت أقول له طوال الطريق « أحذر أن تعود إلى القاهرة ! ابق في لندن ، وجودك في لندن سوف يفيدنى . مادمت مطلق السراح فلن يستطيعوا قتلى ، أما إذا عدت فسوف يقبضون عليك . سوف يهددونك بى ، وسوف يهددوننى بك ! لا تصدقهم إذا قالوا لك أننى أريد أن تحضر ! لا تصدقنى إذا وجدت خطابا منى أطلب منك فيه الحضور . سأكتب مثل هذا الخطاب وأنا مرغم على كتابته ! لا تحضر ! لا تحضر ! لا تحضر ! » .

وبعد ساعة خيل الى أن الرسالة غير المكتوبة وصلت إلى على أمين فى لندن ، وانه سمع صوتى ، وأنه لن يحضر إلى القاهرة ، مهما استدعوه أو الحوا عليه ..

ثم وجدتنى بعد ذلك أستغرق فى تفكير غريب ! انهم مادامو قد قبضوا على ، فسوف يقبضون بعد ذلك على عبدالحكيم عامر ! لا أعرف متى سيقبضون عليه ! ولا ما هى التهمة التى سيوجهونها إليه ولكن شعورا داخليا يؤكد لى انه الضحية التالية !

وعندما وصلنا إلى مشارف القاهرة ، وضعوا عصابة سوداء فوق عينى ، ثم سحبونى إلى داخل بناء المخابرات العامة ، وادخلونى إلى غرفة كان يجلس فيها صلاح نصر مدير المخابرات ، ورفعوا العصابة عن عينى ، وصافحنى ، وقال لى أن الرئيس هو الذى أصدر الأمر بالقبض على ..

وقد عرفت أنهم قبضوا على سائقى الأسطى ابراهيم والسفرجى توفيق وصادق الذى يشرف على المنزل وانور . وضربوهم وعذبوهم ، وطلبوا منهم أن يدلوا باعترافات على اشياء لم تحدث ومكثوا فى سجن المخابرات مدة طويلة !

وضحكت عندما علمت أن المخابرات العامة قدمت بلاغا للنائب العام بعد القبض على قالت فيه اننى أؤلف عصابة من ابراهيم صالح ومصطفى سنان ومحمود عوض المحررين فى أخبار اليوم ، وأن مهمة هذه العصابة خدمة أمريكا ، وتقديم أسرار البلد لها !

وعرفت من بعض أفراد فرق الأمن فى المخابرات انهم فتشوا بيتى فى الزمالك وذهلوا عندما وجدوا جوازى سفر دبلوماسيين صرفهما لى وزير خارجية مصر ، ومكتوبا عليهما أننى مكلف بمهمات رسمية لدى حكومة الولايات المتحدة ! وقال الحارس انه ذهل من أن وزير خارجية مصر يكلفنى بمهمات رسمية ، ويصرف لى جوازين دبلوماسيين ، والصحف والاذاعات تقول أن حكومة مصر لم تكلفه بأية مهمة !

وقال لى أحد افراد فرق الأمن أنه كان مع القوة التى ذهبت إلى مكتبى فى اخبار اليوم وأنهم اكتشفوا وجود خزانة سرية حديدية ، وانهم تصوروا أنهم عثروا على كنز ! .. وجاءوا بخبراء فى فتح الخزائن ، وفتحوا الخزانة ولم يجدوا فيها اى شىء !!

وعلى الرغم من تكتمهم التحقيق إلا أن خبرتى الصحفية ، ساعدتنى كثيرا على أن اعرف ما حاولوا كتمانه من اسرار التحقيق ! وكنت الاحظ من

عصبيتهم معى ، ومن ضيقهم بى ، ومن المعاملة القاسية ، ومن التعذيب المستمر انهم لم يستطيعوا أن ينجحوا فى عملية التلفيق كما يريدون ! وأن الشهادات التى ادلى بها المقبوض عليهم الذين هددوهم وعذبوهم كانت معى وليست ضدى !

وقد استدعوا سكرتيرتى زينب النحاس ، وهددوها وتوعدوها ، وأبقوها ساعات طويلة ، وحاولوا أن يرغموها على أن تدعى على بأشياء لم تحدث ، ولكنها صمدت لكل هذه المحاولات ، وأبت أن تكذب !

وعندما هددوها بأن يأخذوها الى غرف التعذيب سخرت من هذا التهديد !

واستدعوا عددا من محررات اخبار اليوم ، وانهالوا عليهن بالتهديد ، ثم طلبوا منهن أن يتعاون معهم ، وأن تدعى كل واحدة اننى كلفتها بمهام سرية .. وقالت المحررات بشجاعة .. نحن لا يمكن أن نتهم بريئا . وقالوا لهن أن موقفهن هذا سوف يكلفهن وظائفهن فى أخبار اليوم ، بل هددوهن بالدخول فى السجن .. وقالت كل واحدة منهن أنها تفضل دخول السجن على أن تتهم أستاذها كذبا ..

واستدعوا شادية من الاسكندرية ، وأثار حضورها ضجة فى بناء المخابرات !

وفوجئوا عندما قالت لهم شادية أنها لم تر وجهى منذ اكثر من عام !

والحوا على شادية بالأسئلة ، ولكنها رفضت أن تقول اى كلمة ضدى .. وقالت لهم : أنا لن أقول إلا الحقيقة !

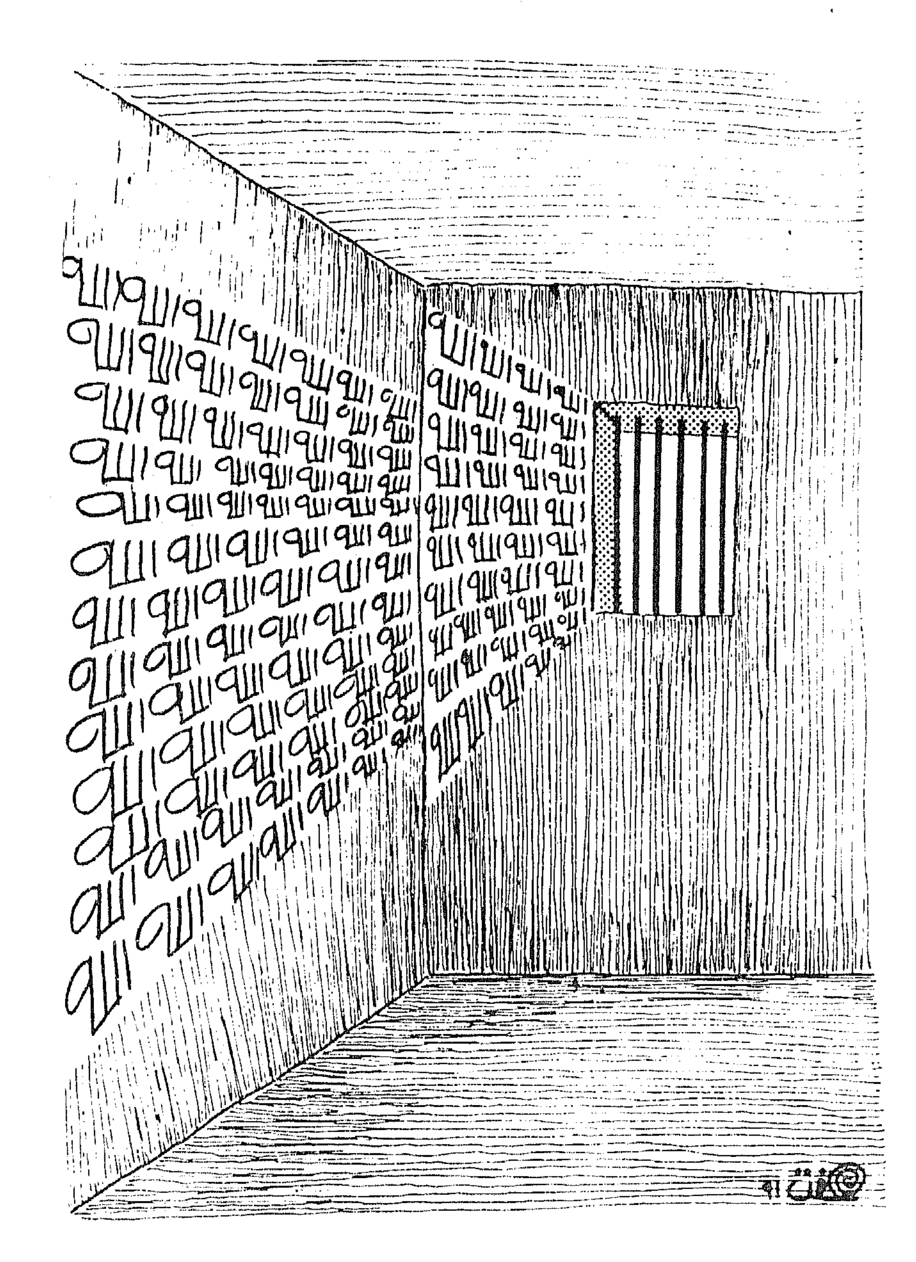
وجاءوا الى وهم يشتمون شادية لأنها رفضت أن تتعاون مع التحقيق !

وأشاعوا عنها كذبا أنها هى التى أبلغت ضدى ، حتى يحطموا سمعتها لأنها رفضت أن تشترك فى حملة الاختلاق والتزييف .

وكان صمود النساء يزعجهم ، ويثير أعصابهم ، فقد كانوا يتوهمون أن جو الارهاب الذى يحيطون به كل سيدة يسألونها ، سوف يجعل السيدة تنهار وتوافق على ان تشهد بالتلفيقات التى يريدون منها أن تقولها !

كل النساء كن أقوى من بعض الرجال ! ..

● ● ●



يكبرون لله ويذبحون البشر

سجن القبه ..

يوليو سنة ١٩٦٥

عزيزتي ...

كان من بين وسائل التعذيب التى لجأوا إليها أن صدر قرار بمنعى من الأكل والشرب ! والحرمان من الأكل مؤلم ، ولكنه محتمل الجسم يتحمل الجوع . ولكن العطش عذاب لا يحتمل . وخاصة أننا فى أواخر شهر يوليو . الحرارة شديدة قاسية . وانا مريض بالسكر ، ومرضى السكر يشربون الماء بكثرة ..

وفى اليوم الأول تحايلت على الأمر . دخلت إلى دورة المياه فوجدت فيها إناء للاستنجاء . وشربت من مياه الاستنجاء ..

وفى اليوم التالى فوجئت بأنهم عرفوا اننى شربت ماء الاستنجاء ، فوجدت الاناء خاليا ، ووجدت معه ورق تواليت ، واضطررت أن أشرب من ماء البول ! حتى ارتويت !

وفى اليوم الثالث لم أجد بولا لأشربه !

الجوع لمدة ثلاثة أيام أمر محتمل ، أما العطش فهو عذاب مثل ضرب السياط . كنت أسير فى زنزانتى كالمجنون . الحر فى شهر يوليو مؤلم . لسانى جف ـ حلقى جف . أحيانا أمد لسانى والحس الأرض ، لعل الحارس نسى نقطة ماء وهو يغسل البلاط .

وبينما أنا أدور حول نفسى وأنا اترنح ، ورأيت باب الزنزانة يفتح فى هدوء . ورأيت يدا تمتد فى ظلام الزنزانة تحمل كوب ماء مثلج .

فزعت . تصورت اننى جننت . بدأت أرى شبحا . لا يمكن أن يكون هذا ماء ، انه سراب .. تماما كالسراب الذى يرونه فى صحراء .. تذكرت

ما قاله لى أحمد حسنين باشا الذى اكتشف واحة الفرافرة فى صحراء ليبيا . كان اذا اشتد بهم العطش رأوا أمامهم الماء ، وأسرعوا إليه ، وارتموا على المكان فوجدوه رملا ! هذا هو السراب . ولكنه ليس فى الصحراء وإنما هو فى سجن المخابرات .

وما لبثت أن وجدت أن الكوب حقيقى . ومددت يدى ولمست الكوب . فوجدته مثلجا فعلا . وقبضت على الكوب بأصابعى المرتعشة . ورأيت حامل الكوب يضع اصبعه على فمه وكأنه يقول لى لا تتكلم ..

وشربت الماء .. ألذ ماء شربته فى حياتى ! لا أعرف طعم الشمبانيا ، ولكن الماء المثلج أسكرنى .. لو كان معى مليون جنيه فى تلك اللحظة لأعطيتها للحارس المجهول ..

عادت الروح مع هذا الكوب ! عاد الدم يجرى فى عروقى . عاد عقلى إلى رأسى .. هذا الماء غسلنى من الداخل . أعاد البصر إلى عينى ! أحسست بقوة غريبة ! أغنانى الماء عن الطعام .. بل أغنانى عن الحرية . أحسست بسعادة لم أعرفها طول حياتى . كل ذلك من أجل كوب ماء مثلج !

ثم اختفى الحارس المجهول بسرعة كما ظهر بسرعة ، واغلق باب الزنزانة بهدوء !

ورأيت ملامح الحارس المجهول . شاب أسمر قصير القامة . ولكنى احسست أنه ملك الجمال . أنه أحد الملائكة ! شعرت فى بعض اللحظات أن اليد التى حملت كوب الماء البارد ليست يد بشر ، انها عناية الله ! أحسست براحة غريبة : أننى رأيت عناية الله فى الزنزانة ! لعل هذا هو السبب الذى جعل أحد الزبانية يقول أن الله مسجون فى الزنزانة المجاورة لى ! لا .. ان الله - موجود فى كل مكان - فى زنزانتى أنا !

ومضت أيام التعذيب دون أن أرى الحارس المجهول .. ثم نقلت من غرفة التعذيب فى الدور السفلى ، إلى غرفة ملحق بها صالون ! نعم صالون فى سجن المخابرات !

وكانوا يغيرون الحراس كل يوم .. وذات يوم رأيت أمامى الحارس المجهول .. وكنا على انفراد وقلت له هامسا : لماذا فعلت ما فعلت ؟ لو ضبطوك كانوا سيفصلونك !

قال باسما : يفصلوننى فقط .. ؟ كانوا سيقتلوننى رميا بالرصاص !

قلت : ما الذى جعلك تقوم بهذه المغامرة !

قال : اننى أعرفك وأنت لا تعرفنى .. منذ تسع سنوات تقريبا أرسل فلاح فى الجيزة خطابا لك ، يقول فيه أنه فلاح فى أحد القرى ، وأن أمنية

حياته أن يشترى بقرة وأنه مكث سبع سنوات يقتصد فى قوته وقوت عياله ، حتى جمع مبلغا ، ثم باع مصاغ زوجته ، واشترى بالمبلغ بقرة

وكان أكثر أهل القرية تقى وورعا وصلاة وصياما ، وبعد ستة أشهر فقط ماتت البقرة !

مع ان جميع البقر ، الذى يملكه الفلاحون فى القرية الذين لا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون الله ، بقى على قيد الحياة !

وفى ليلة القدر ، بعد ذلك بشهور ، دق باب البيت الصغير الذى يملكه الفلاح ، ودخلت محررة من « أخبار اليوم » تجر وراءها بقرة !

وكانت أخبار اليوم قد اعتادت ان تحقق احلام مئات من قرائها فى « ليلة القدر » من كل عام .

وسكت الحارس المجهول لحظة ثم قال

— هذا الفلاح الذى أرسلتم له البقرة منذ تسع سنوات هو أبى !! ألم أقل لك أن عناية الله كانت معى فى الزنزانة !! ..

● ● ●

ملك التعذيب

السجن الحربى :

عزيزتى .....

دخل الفريق حمزة البسيونى قائد السجن الحربى إلى الزنزانة التى كانوا يعذبوننى فيها فى سجن المخابرات ..

ووقف يتفحصنى ، وهو يرانى عاريا تماما ، وأنا مصلوب على جدار الزنزانة والضربات والصفعات تنهال على ، وثلاثة من الضباط ينتزعون شعر جسدى ..

ثم قال الفريق :

— لا .. لا .. لا ! أنتم تدلعونه هنا ! هاتوه لى فى السجن الحربى ليرى التعذيب الحقيقى !

وأسرعوا يفكون قيودى ، وينزلوننى من الصلب ، ويساعدوننى على ارتداء ملابسى ! كانوا مبتهجين وهم يفعلون هذا ، وكأنهم يعدون عروسا لليلة الزفاف !

ووضعوا عصابة سوداء على عينى ، وساقونى خلف الفريق حمزة البسيونى الى سيارة جيب ، قادها الفريق وأجلسنى بجواره ، وخلفى جنود بالمدافع الرشاشة !

وطوال الطريق من سجن المخابرات الى السجن الحربى والفريق حمزة البسيونى يهدد ويتوعد ! ويقول لى انه يتسلم المسجونين بغير ايصال . وهو ليس مسئولا عن تقديمهم إلى المسئولين على قيد الحياة ، ولا يحاسبه أحد على الجثث ! وانه دفن كثيرا من المسجونين السياسيين فى صحراء مدينة نصر ، وأنه كلما دفن مسجونا سياسيا تلقى خطاب شكر !

وكان يقول لى مزهوا : أنا فى السجن الحربى القانون والنيابة والمحكمة ! وعندما وصلت السيارة الجيب إلى السجن الحربى ، اصطف

الحراس لتحية القائد الذى جاء لهم بالذبيحة .. أسير الحرب الجديد !
ووضعونى فى زنزانة صغيرة ، ثم أحضر الفريق حمزة البسيونى كلبين ضخمين وتركهما يندفعان نحوى ، وكان الدم يسيل من فمي الكلبين . وأمر الفريق البسيونى ، فاندفع الكلبان مرة أخرى ، وراحا ينهشان ملابسى .. وانهالت على رأسى الضربات واللكمات والصفعات والفريق البسيونى يزأر ويقول « اعترف ! اعترف وإلا فسوف أقتلك هنا ! » وتذكرت فى هذه اللحظات صورة أخرى للواء حمزة البسيونى - قبل أن يرقى الى رتبة الفريق . وكانت صورته يومئذ تختلف كثيرا عن صورة الأسد الهصور الذى وقف أمامي وأنا مقيد بالسلاسل والأغلال .
كان ذلك فى خريف عام ١٩٦٣ . دخل اللواء حمزة البسيونى مدير السجن الحربى إلى غرفة مكتب الرئيس جمال عبدالناصر ، فى داره بضاحية منشية البكرى فى القاهرة . ووقف رئيس الجمهورية لاستقبال الضابط الكبير . وفوجىء الرئيس بحمزة البسيونى ينبطح على وجهه ، ويرتمى على قدمى الرئيس ، وهو يحاول أن يقبل حذاء الرئيس ، وكان ينتحب ويشهق ويبكى حتى بللت دموعه حذاء الرئيس !
وذهل الرئيس ، ومد يده ورفع وجه اللواء حمزة البسيونى الذى كان يتمرغ على الأرض ، وقال له :
— ماذا تفعل ياحمزة ؟ أنسيت أنك لواء فى الجيش !
قال حمزة وهو لايزال ينتحب ويرتجف ، ويحاول أن يقبل يد الرئيس ، والرئيس يسحب يده من شفتى اللواء : سمعت من المشير أن سيادتك حكمت على بالاعدام !
قال الرئيس فى دهشة : انا لم أحكم عليك بالاعدام . ان كل ما قلته للمشير عبدالحكيم عامر هو أن ينقلك من منصب قائد السجن الحربى الى منصب آخر فى الجيش يليق برتبتك العسكرية .
قال حمزة البسيونى فى صوت متهدج :
— معنى هذا هو حكم بإعدامي ! معناه أن أضرب فى اليوم التالى بالرصاص !
— من الذى سيضربك بالرصاص !
— كل الناس تكرهنى لاخلاصى للثورة . كل أعداء الثورة يكرهوننى ! كل الوفديين . كل الشيوعيين كل الاخوان المسلمين .. كل من دخل السجن الحربى !

وطلب الرئيس من اللواء حمزة البسيونى أن يعود إلى عمله ، حتى يبحث الأمر مع المشير عبدالحكيم عامر ، وحاول حمزة وهو يجهش بالبكاء أن يقبل حذاء الرئيس مرة أخرى ، ودفعه الرئيس وقال له فى غضب :

— لو فعلت هذا مرة أخرى فسوف أصدر قرارا بإحالتك إلى المعاش !

وسارع أصدقاء حمزة البسيونى فى مراكز القوى ـ وكلهم شاركوا معه فى عمليات التعذيب ـ يتوسطون لحمزة لالغاء قرار نقله من السجن الحربى ، لأنه سوف يطلق على نفسه الرصاص ، لو خرج من السجن الحربى . لأنه يؤمن بأنه سوف يقتل بعد ٢٤ ساعة من خروجه من منصبه الخطير !

وبقى حمزة البسيونى مديرا للسجن الحربى ، ومديرا لجميع السجون الحربية !!

وتنتقل الكاميرا إلى منظر آخر فى عام ١٩٦٥ .

ضحايا التعذيب فى الزنازين يضمدون جراحهم . أجسام مصلوبة .. وجوه شوهتها سياط الزبانية . ظهور مزقتها الكرابيج التى استحضرت من السودان على ظهر طائرة خاصة ' جثث المسجونين تحمل فى الظلام وتدفن فى الصحراء المجاورة للسجن . رؤوس مفتوحة . اسنان مقلوعة . بقع الدم تغطى كل جدران الزنازين . صراخ وأنين وعويل . كلاب تعوى وقد امتلأت افواهها بالدماء .

اللواء حمزة البسيونى يدخل إلى زنزانة فيها شاب غارق فى دمائه ويقول له :

— سمعت أنك كنت مهندس مبانى !

— نعم ..

— سوف أوقف تعذيبك إذا وضعت لى رسوم بيت جميل أقيم فيه فى السجن ، بدلا من بيتى الحالى .

— حاضر !

— وإذا لم تعجبنى الرسوم أصدرت أمرى باستئناف التعذيب !

ويطلب الشاب المهندس ورقا وأقلاما ، ويبدأ فى رسم قصر صغير يقيم فيه ملك التعذيب ! وينتهى المهندس من الرسم ، ويعجب ملك التعذيب بالتصميم ، ولكنه يعترض على أن ورق التصميم قذر .. فإنه ملطخ بدم بعض المعذبين وعلى رأسهم المهندس !

ويصدر أمر ملك التعذيب، بأن يشترك جميع المسجونين السياسيين فى بناء القصر ، ويقبل المسجونون السياسيون على العمل المتواصل بالنهار والليل ، بغير انقطاع ، انها الطريقة الوحيدة ليفلتوا بها من سياط ملك

التعذيب ! ولم يحدث فى تاريخ البناء فى العالم ما حدث فى بناء القصر الصغير . الذين كانوا يحملون على رؤوسهم التراب والأحجار لم يكونوا عمالا ! كانوا أطباء ومحامين وأساتذة فى الجامعة ومعلمين وتجارا وكان بينهم أستاذان فى الطاقة الذرية وطبيب بيطرى وبعض رجال الدين !

وتم بناء القصر فى سرعة مذهلة ! كان المسجونون يريدون أن يتباطأوا لكى يطيلوا مدة « الراحة » من التعذيب ، ولكن السياط فى أيدى الحراس كانت تضطرهم الى مضاعفة جهودهم ! وعندما انتهى بناء القصر أمر ملك التعذيب ببناء « دشم » حول القصر لتنصب عليها المدافع والرشاشات والسواتر ، حتى تحول القصر إلى شبه قلعة مسلحة !

كان حمزة البسيونى يخشى دائما أن ينقض عليه المسجونون الذين عذبهم ، وخلع أظافرهم ومزق أجسادهم بالسياط ، ولهذا كان يحتفظ فى غرفة نومه دائما بعدد من القنابل اليدوية ويضع تحت فراشه عددا من المدافع الرشاشة ، ويضع تحت وسادته مسدسين متعددى الطلقات !

وتنتقل الكاميرا إلى منظر آخر فى عام ١٩٦٧ .

نكسة ٥ يونيو . الرئيس عبدالناصر يصدر قرارا بالقبض على اللواء حمزة البسيونى وإحالته إلى المعاش ..

فجأة ينطلق جميع المسجونين السياسيين من زنازينهم وينقضون على القصر الذى بنوه بدمهم ودموعهم وعرقهم ! وبسرعة مذهلة يحولون القصر الشامخ إلى أنقاض !

وقد كان حمزة البسيونى سعيد الحظ .. لأنه لم يكن فى القصر ولا فى السجن ، وإلا لمزقه المسجونون ..

فقد قرر أن يسجن مدير السجن الحربى فى معتقل القلعة ..

* * *

وتنتقل الكاميرا .. إلى ما قبل ذلك بسنوات ! وأترك أحد زملائى فى السجن الحربى يروى ما كان يحدث لنا ..

كانت القاهرة منذ عام ١٩٥٤ تتحدث همسا عن « الأوبرج » ! كان الناس يقفلون أبوابهم ، ثم يطلون من النافذة ليتأكدوا أن أحدا لا يسترق السمع ، ثم بعد أن يتأكدوا أن الجدران ليست لها آذان ، يتحدثون عما يحدث من أهوال لكل من تطأ قدماه عتبة « الأوبرج » .. وعرفنا يومها ان « الأوبرج » هو الاسم الذى يطلقونه على السجن الحربى ! وسمعنا فيما سمعناه أن أى متهم يسوقه سوء الحظ إلى « أوبرج حمزة البسيونى » ولو لأيام معدودة ، تقام له حفلة استقبال ، وهذه الحفلة عبارة عن أن يعلق

كالذبيحة تكريما واحتفاء بمقدمه السعيد ، ثم تنهال عليه السياط والصفعات واللكمات وأقذر الشتائم والسباب !

وساقنى القدر فى منتصف ليلة سوداء ، لأدخل الأوبرج ، وكان فى استقبالى اللواء حمزة البسيونى مدير السجون الحربية ، والمؤسس للائحتها ، وملكها المتوج ، والخبير العالمى فى شئون التعذيب والارهاب !

استقبلنى ومعه « ميمى » و « ليلى » ! وهما الكلبان المعدان لاستقبال النزلاء من المسجونين السياسيين والترحيب بهم .. وكان « ميمى » يمتاز بنابيه البارزين ، اللذين يبقيان فى خارج فمه إذا اغلق فمه !

والتف الكلبان بى ينهشان لحمى ويمزقان ملابسى ، ثم صحبنى اللواء إلى زنزانة فى المعتقل رقم ٢ ، وعاد يطلق على الكلبين يمزقان فى لحمى بانيابهما ومخالبهما . وقد علمت بعد ذلك أن كلاب حمزة البسيونى كلها مدربة على تمزيق أى انسان يشير إليه ملك التعذيب أو أحد زبانيته ثم امر حمزة البسيونى بإشارة من يده للكلبين أن يتوقفا عن تمزيق ملابسى ونهش لحمى ، واطاع الكلبان فى الحال ! ثم أمر بإحضار مائدة ومقعد ، وطلب منى كتابة تاريخ حياتى منذ أن كنت طفلا وقال لى ملك التعذيب :

— سيحضر لك الحارس كل نصف ساعة ، ويأخذ منك ورقة فولسكاب مكتوبة ، فإذا تباطأت ، او لم تملأ الورقة ، فسوف يضربك الحارس ويطلق عليك الكلاب ! كان منظر اللواء حمزة البسيونى مخيفا أكثر من منظر الكلبين « ميمى » و « ليلى » ! كان طويل القامة ، له شاربان ضخمان ، عيناه يتطاير منهما الشرر ، شفتاه غليظتان كشفتى الضبع . يتقلب وجهه بصور متعددة . يبدو أحيانا بصورة الثعبان ، ويبدو أحيانا بصورة الوحش المفترس ، وفى خطوط وجهه قسوة وشراسة وعنف وبطش . وفى وجهه ندبة تشوه وجهه ، وتجعله اشبه بشيطان انطلق من عقاله ، فى صوته مزيج من فحيح الأفعى ، وعواء الذئب !

وقبل أن يغادرنى ملك التعذيب التفت الى وقال :

— إذا لم تكتب كل شىء ، فلن تخرج من هذا المكان حيا ! لن تكون أول ولا آخر من أدفنه هنا !

نطق هذه الكلمات ببساطة غريبة ، كانه يدعونى لتناول العشاء على مائدته ، او يدعونى لأذهب معه إلى السينما ..

وخرج من الزنزانة يتبعه « ميمى » و « ليلى » !

وجلست إلى المائدة أكتب ما أذكره عن نفسى ! بلا نوم . بلا طعام . بلا كوب ماء ! وكلما تعبت من الكتابة رأيت أحد الزبانية يرقبنى والسوط

فى يده ، فأعود إلى الكتابة من جديد ! مكثت أكتب ٤٨ ساعة متواصلة . فرغ منى الكلام . توقف عقلى عن التفكير . ولكنى لم أستطع أن أتوقف عن الكتابة رعبا من كرباج الحارس ! وأخذت أملأ الورقة بعبارة واحدة هى « والله العظيم مظلوم » وساعدنى على ذلك ان الحارس الذى كان يأخذ منى الورقة أمى لا يقرأ ولا يكتب ! وشجعنى على ذلك أننى لاحظت أن الحارس كان ينظر إلى الورقة وهى مقلوبة ، ثم يقول لى « كويس ! كويس كده ! أكتب كمان » !

واكتب « كمان » ! وفى صباح اليوم الثالث حضر حمزة البسيونى ملك التعذيب ، وكنت كتبت أوراقا لا أعرف لها عددا ، أغلبها صفحات كاملة كررت فيها جملة « والله العظيم مظلوم » ! وفوجئت بحمزة البسيونى يشكرنى على اننى تعاونت معه ! وكدت أظن أنه الآخر أمى لا يقرأ ولا يكتب ! ثم علمت أنه اكتفى بإحصاء عدد الصفحات التى كتبتها دون أن يقرأها !

وسألنى ملك التعذيب : هل أكلت شيئا ؟

وقلت له اننى لم آكل شيئا لمدة ٤٨ ساعة ، ولم أشرب نقطة ماء طوال يومين !

وأمر بإحضار طعام وماء ، وقطعة من بطانية ثم قال :

— الآن يمكنك أن تأكل وتشرب وتنام !

وأكلت سريعا ، وشربت ماء الجردل كله ، ثم استلقيت على بقايا البطانية ، ونمت نوما عميقا ، ولم أحس من شدة الارهاق بجروحى ولا آثار الضرب !

وفى المساء صحوت من نومى فزعا على ركلة حذاء قدم الشاويش فى بطنى ، والتفت الشاويش إلى أحد الحراس وقال له :

— عليك أن تفوق « البيه » !

وانهال على الحارس بعدد من الصفعات واللكمات والركلات حتى أفقت تماما ! ثم صحبونى إلى مكتب اللواء حمزة البسيونى حيث وجدت رجال صلاح نصر فى انتظارى ، والأرض تحت أقدامهم مليئة بأكوام الورق الذى كتبته !

وقام أحدهم وصفعنى على وجهى صفعة شديدة وقال ساخرا :

— أنت كاتب لنا قصة حياتك يا ابن الكلب !

وقبل أن أفتح فمى ، وأقول لهم ان اللواء حمزة البسيونى هو الذى أمرنى أن أكتب قصة حياتى ، انهالت على الضربات والصفعات والركلات ،

وسقطت على الأرض مغمى على ، وحملونى إلى زنزانتى بين الموت والحياة !

واستمر التعذيب اثنى عشر يوما .. استمر بالليل والنهار !

وفى اليوم الثانى عشر أخذونى ليلا إلى مكتب اللواء حمزة البسيونى ، ووجدته فى انتظارى مع عدد من ضباط صلاح نصر ، وأمر كبيرهم أن أخلع ملابسى كلها ، ووقفت أمامه عاريا تماما ، فأخذ يديرنى فى كل اتجاه ليرى آثار التعذيب على جسمى !

ثم التفت الى حمزة البسيونى قائلا :

— لا ياحمزة بك .. أنتم دللتموه جدا !

وهنا هوى الشاويش المصاحب لى بالسوط الذى يحمله على صدرى فى ضربة أراد أن يثبت بها لكبير رجال صلاح نصر أنهم لا يدللوننى ! وقد ظللت أتألم من هذه الضربة لمدة عام كامل ! .

وكانت مصدر عذاب أليم لى أثناء نومى !

وصاح اللواء حمزة البسيونى :

— لا .. حرام ! لا تضربوه ! هات « لاكى » !

ولم أعرف من هو « لاكى » وظننت فى اول الأمر أنه طبيب أو ممرض أرسل حمزة البسيونى فى استدعائه ليضمد جراحى . ودهشت أن ينقلب الوحش انسانا ، وملك التعذيب آدميا ووقفت أتألم من ضرب السوط ، وخيم الصمت على كل من فى المكتب ، فى انتظار قدوم « لاكى » ! وبعد دقائق رأيت هولا ! رأيت أمامى شيئا لم تصدقه عيناى ! رأيت أمامى كلبا هائلا ! لم أر فى حياتى كلبا فى مثل هذا الحجم ، ولا هذه البشاعة . كلبا فى حجم الحمار الضخم . لقد رأيت فى حياتى كلابا كثيرة من أنواع مختلفة ، ولكنى لم أر مخلوقا بكل هذه البشاعة والوحشية ! كان يبدو كالوحش المفترس . دخل « لاكى » وهو يسد الباب بجسمه الضخم ، وهنا أشار إليه الشاويش على بطرف السوط ، فقفز « لاكى » نحوى مهاجما ، وصرخت صرخة ملؤها الرعب والفزع ، واحتميت خلف مقعد يجلس عليه أحد ضباط صلاح نصر . وهجم الكلب على المقعد ، ونالت أظافره من أقدام الضابط ، الذى قفز فى فزع وقال للشاويش فى لهجة هستيريا « طلع الكلب ده بره » ! وخرج الكلب بعد أن أحدث ارتباكا وفزعا بين الموجودين ، وأخيرا امسك بى كبير ضباط صلاح نصر من كتفى وقال :

— اسمع ! بشرفى إن لم تكتب الاعتراف فسنأتى بخطيبتك إلى هنا ، وسأجعلها تخلع ملابسها مثلك ، وسأعطيها للحراس يضاجعونها أمام عينيك !

وانهرت أمام هذا التهديد .. وقلت اننى مستعد أن أكتب ما يملوه على !
وكانت حصة إملاء !

هم يملون وأنا أكتب ! أشياء لم تحدث كتبتها بغير اعتراض . أحداث لم تقع . اكاذيب واضحة .. كل هذا كتبته كما أملوه حتى النقط .. حتى اول السطر ! حتى الأغلاط فى اللغة العربية !

وبعد أن انتهيت من كتابة « الاعترافات » المطلوبة صدر الأمر بعدم ضربى أو تعذيبى لأن التحقيق انتهى !

وفعلا أخذونى الى زنزانتى ، وكف الحراس عن ايذائى وتعذيبى ولم تعد الكلاب تزورنى فى مواعيد محددة !

ولكن بعد يومين اثنين فوجئت بباب الزنزانة يفتح ، ويدخل شاب صغير ، فى حوالى الخامسة عشرة من عمره ، ومعه الشاويش يحمل الكرباج فى يده ، ومعهما الكلبة ميمى ، والكلبة ليلى !

وسألنى الولد الصغير فى تعال عن إسمى وسبب وجودى ، ثم نظر إلى الشاويش وقال له « سخنه » ، وانهال على الحارس بالسوط ضربا ، ثم أشار إلى « ميمى » و « ليلى » فهجمتا على ومزقتا ملابسى ونهشتا لحمى من جديد !

وكنت أبكى وأصرخ ، والولد الصغير يضحك ويقهقه ويقول « سخنه .. كمان » ! ثم أقفلوا على باب الزنزانة ، وهويت على الأرض أجفف جروحى وأمسح دمى ، وفجأة سمعت صراخا ثم سمعت ضحكا فى الزنزانة المجاورة ، وصوت السياط وهى تهوى ، وأجساما تقع على الأرض والكلاب تعوى ! وتكرر صوت السياط وصوت الصراخ وصوت الضحك وصوت العواء ! وعرفت أن « البيه الصغير » دخل كل نزنزانة فى العنبر ، وأصدر نفس الأوامر بالضرب ونهش الكلاب ! وتساءل المسجونون السياسيون من هو هذا « الولد الصغير » الذى يباح له دخول السجن الحربى ، ويصدر أوامره بجلد المسجونين السياسيين ، وبأن تعضهم الكلاب ! وعرفنا سر « البيه الصغير » أنه ابن أخت اللواء حمزة البسيونى ، ملك التعذيب ، ويدعى موسى وكان طالبا فى الاعدادى ، وكان يأتى للسجن الحربى للترفيه عن نفسه بضرب المسجونين وبتعذيبهم ، وكان يأمر وينهى ، وكان الحراس يطيعونه طاعة عمياء .. لأنه ابن أخت صاحب الجلالة ملك التعذيب !

وعرفنا عندئذ معنى المثل الشعبى الذى يقول « الولد لخاله » !

وبعد ايام أصدر ملك التعذيب أمره بنفى إلى المعتقل رقم ٣ ، وبعد ظهر نفس اليوم سمعت ضوضاء عالية ، وصوت أقدام كثيرة ، ولم اعرف من هم نزلاء « الأوبرج » الجدد إلى ان احضر لى الحارس وجبة العشاء ، وسألته عن السكان الجدد ، فقال انهم الشيوعيون !

وفى اليوم التالى علمت من الحارس ان اللواء حمزة البسيونى أمر بضرب الشيوعيين « علقة » يوميا طوال مدة التحقيق !

وكان ملك التعذيب يختار زبانيته بشروط معينة ، أولها الأمية ، وثانيها الغباء ، وثالثها ضخامة الأجسام ، ثم يلحقهم بغرفة خاصة اسمها « غرفة الاجرام » يتدربون فيها ثلاثة شهور على القسوة والوحشية وكيفية استخدام الكرباج .

وكان الكرباج الذى يستعمله الزبانية عبارة عن أسلاك كهربائية مجدولة ، ومكسوة بالقماش ، وكانت قطعة القماش متمزقة من كثرة الاستعمال ، وتاكل طبقة الكاوتشوك العازلة ، فيظهر منها أسلاك رفيعة كالابر ، تمزق الجلد ، وكانها لسعات النار .

وكان القانون الذى يحكم هؤلاء هو قانون حمزة البسيونى . وكان من حق صاحب الرتبة الأعلى أن يضرب بالسوط صاحب الرتبة الأقل دون الرجوع إلى اى مسئول ، وحسبما يتراءى له . وكثيرا ما راينا الشاويش « الرقيب » يأمر الأومباشى « العريف » أن ينام على الأرض ، ويرفع ساقيه مثل اى مسجون ، ثم ينهال عليه ضربا مبرحا . وهو بذلك يمارس حقا اعطاه له حمزة البسيونى وكذلك يفعل العريف بوكيل العريف . ووكيل العريف بالجندى البسيط وهكذا .

وكان حمزة البسيونى يستقبل « فرقة الاجرام » بعد تخرجها ويخطب فيها قائلا :

— عندما يصدر لك الأمر بضرب مسجون مائة جلدة فمعنى ذلك ان تضربه مائتى جلدة ! وعندما يصدر لك الأمر بان تضربه خمسين سوطا فمعنى ذلك أن تضربه مائة سوط ! لا تخف اذا مات المسجون بين يديك وانت تضربه .. لو حدث ذلك فسوف اعطيك ترقية استثنائية !

* * *

اصدر اللواء حمزة البسيونى أمره بضرب جميع الشيوعيين الموجودين فى السجن ، وكانوا مسجونين فى الطابق العلوى ، وكنت اقيم فى الطابق الأرضى

ودخل الزبانية زنازين الشيوعيين وانهالوا عليهم ضربا وصفعا وركلا وتعذيبا . ولما انتهوا من حملة التعذيب فوجئت بالحارس حامل الكرباج يدخل ومعه أحد الكلاب . وأسرعت أؤدى له التحية العسكرية ، ضاربا بقدمى بكل شدة ، طبقا لما أمرونى به من أن أؤدى التحية العسكرية لكل شرطى يدخل زنزانتى .. حتى لو كانت الكلبة « ميمى » ولدهشتى سألنى : هل أنت شيوعى ؟

— لا يافندم !

— أنت شيوعى !

— أن تهمتى اننى قلت نكتة !

— يعنى شيوعى !

— شيوعى يا أفندم وأمرى لله !

— إذن أنت تعترف أنك كنت ستقتل الريس !

— أقتل الريس ؟ أنا لم أره طول حياتى !

— اخرس ياكلب ! انت كنت عاوز تقتل الريس ! نم وارفع ساقيك ! سأضربك عشرين سوطا وإذا قلت « آه » يصبحوا أربعين سوطا ! وإذا قلت « آه » يبقوا ثمانين !

واحتملت العشرين سوطا دون أن أجرؤ على التأوه ! وكان الكلب ينهش فى جسدى ولا أستطيع أن أفتح فمى !

ثم انتقل الحارس الى بقية الزنزانات الأخرى يضرب المستقلين ويضرب الاخوان المسلمين ويضرب أنصار الأحزاب السابقة ! وعبثا يقولون له انهم غير شيوعيين ، وانهم ضد الشيوعية !

فالحارس الجاهل لا يعرف معنى الشيوعية ولا الاشتراكية ولا الأحزاب . كل من هو فى زنزانة هو شيوعى مادام الامر صدر بضرب الشيوعيين !

واستمر ضربى طوال فترة ضرب الشيوعيين ، وعندما افرج عنهم ضربونى مع الاخوان المسلمين !

بقيت فى السجن الحربى شهرين ونصف شهر ، وأسرتى لا تعرف اين أنا ! لا أنا حى تزوره ، ولا ميت تبكيه ! ويدور أهلى على كل فى الجهات يسألون عنى ، فيكون الجواب الوحيد « لا نعلم عنه شيئا » !

واستطعت أن أهرب خطابا إلى أهلى ! وأخبرتهم أننى مسجون فى السجن الحربى .

وحضرت أسرتى إلى السجن الحربى وطلبوا زيارتى فقال لهم اللواء حمزة البسيونى أنه لا يوجد عنده سجين بهذا الاسم ! واستطاعت أسرتى بعد اصرار وإلحاح أن تزورنى فى عيد الأضحى .

كان حمزة هو الملك !

وكلاب السجن هم أصحاب السمو الأمراء !

فقد كان بالمعتقل رقم ٣ مجموعة من الكلاب اكبرها « لاكى » والعياذبالله ، وكان عمره ١٢ سنة . وكان هناك الكلب « ركس » الذى يعتز به حمزة البسيونى لأنه أقوى الكلاب وأكثرها فتكا وشراسة . والكلبة « عنايات » زوجة ركس ، وكانت حاملا منه وكانت هناك الكلبة « جولدا » فى مرحلة البلوغ ..

كانت الكلاب كلها تعرف حمزة البسيونى ، وتحس بوجوده عن بعد ، وتأخذ فى العواء مرحبة بمقدمه السعيد . وكانت تعدو إلى باب المعتقل الحديدى لاستقباله .

وكان أفخر أنواع اللحم مخصصا للكلاب ، وأحقر انواعه مخصصا للمسجونين السياسيين ، وكانت الصنية المليئة باللحم يحملها الحراس يوميا من المطبخ إلى الكلاب ، ثلاث مرات كل يوم ، وكان ما بها من اللحم أكثر من اللحم الذى يكفى ألف مسجون .

وتأكل الكلاب حتى تشبع .. وبعد ذلك يأكل الحراس ما تبقى من الكلاب ! والويل للحارس الذى يجرؤ أن يأكل من اللحم قبل أن تنتهى الكلاب من طعامها !

انهم يجلدونه حتى يتمزق لحمه ، ثم يدعون الكلاب لتنهش لحمه ، عقابا على انه جرؤ وأكل قبل الكلاب المحظوظين !

وذات يوم جاءنا أحد الضباط يحمل لنا بشرى !

أن سعادة ملك التعذيب قرر أن يختار أربعة من المسجونين السياسيين ليكونوا خدما للكلاب !

وأن سعادته اشترط أن يكون خدم الكلاب من حملة الشهادات الجامعية !

ووقع الاختيار على خريج من كلية الآداب ، وخريج من كلية العلوم ، وخريج من كلية الهندسة ، وخريج من كلية الطب ليكونوا فى خدمة الكلاب ! وكنت واحدا من الذين اختيروا لهذا الشرف الكبير !

وكانت مهمتنا هى أن نتولى غسل الكلاب يوميا بالماء والصابون ، والعناية الدائمة بها ورعايتها وملاعبتها !

وفوجئنا بقصة غرام تبدأ بين الكلاب ! فعندما وصلت الكلبة جولدا إلى سن البلوغ ، بدأ الكلب ركس يحوم حولها مداعبا ومغازلا !

وكانت الكلبة « عنايات » زوجة ركس بالمرصاد لزوجها الدون جوان !

وكانت مهمتنا ، بناء على أمر اللواء حمزة البسيونى ، أن نمنع أى علاقة غرامية بين الكلب ركس ، والكلبة جولدا .. فكنا نحرص على الا نتركهما يجتمعان أبدا على انفراد .. حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه !

وذات ليلة ، وبينما نحن نيام فى زنزانتنا المغلقة سمعنا الكلاب تنبح بشدة ، وهى تتعارك وتتقاتل وتنبح .. ثم هدأ كل شىء بعد فترة ..

وفى الصباح ، وبعد فتح الزنزانات ، فوجئنا بالكلبة عنايات قتيلة ، وقد نهش جسمها ومزق بوحشية ، بينما برزت أحشاؤها بما كانت تحمله من كلاب صغار لم تكتمل خلقتها ..

وعلمنا أن الكلبة « عنايات » ضبطت فى الليل زوجها الكلب ركس ، فى وضع غرامى مع الكلبة جولدا . وأرادت عنايات أن تحتج على هذا الفعل الفاضح فى الطريق العام ، ولم يطق العاشقان هذه الغيرة العمياء من الزوجة ، فهجم الزوج والعشيقة على الزوجة عنايات وانتهت بمصرع عنايات وهى تستنزل اللعنات على الأزواج الخونة الكلاب !

ورأينا الدم يلوث فم كل من الكلب ركس والكلبة جولدا ، مما يؤكد انهما القاتلان المجرمان !

وأعلنت حالة الطوارىء فى السجن الحربى ..

وحضر اللواء البسيونى على عجل ، لمعاينة الحادث الجلل ، وكان الضباط والجنود يقدمون له العزاء فى الفقيدة العزيزة عنايات !

وكان الرجل الذى لم تسقط من عينه دمعة واحدة حزنا على العشرات الذين قتلهم من التعذيب ، يبكى على عنايات !

ووقفنا نحن خدم عنايات الأربعة فى رعب خشية أن يتهمنا ملك التعذيب .. بالتهاون والاهمال الذى ادى إلى مصرع السيدة عنايات !

وجاءنا أحد الضباط يقول لنا :

— حظكم من السماء ! انكم ولدتم اليوم أنتم الأربعة من جديد . لولا أن الحادث وقع فى الليل أثناء وجودكم فى الزنازين المغلقة لاعتبركم سيادة اللواء مسئولين عن مصرع عنايات وعلقكم انتم الأربعة فى المشانق ! ولهذا اكتفى سيادة اللواء بجلد كل حرس من حراس الليل مائة جلدة ، وحبس كل واحد منهم لمدة سنة !

ولم نتمالك أنفسنا وصحنا : يحيا العدل :

ثم فوجئنا بملك التعذيب يقرر محاكمة الكلبين العاشقين ! ويصدر حكمه بأن يمسك كل مسجون سياسى بقطعة خشب أو مكنسة ويطارد ركس وجولدا من ركن الى ركن فى فناء السجن ، وكان الحراس يمسكون الكلبين ، ويأخذونهما الى مكان الحادث ليشما رائحة الفقيدة عنايات ، ثم تنهال عليهما العصى ضربا !

وحدث لسوء حظ الحراس حادث جلل ، فإن أحدنا ضرب الكلب « ركس » ضربة خطأ أصابته فى عينيه !

لطم الحراس وجوههم .. وصرخوا .. وولولوا وقالوا « روحنا فى داهية » ! . وأسقط فى أيدينا . وتوقفنا عن الحركة . تسمرنا فى أماكننا ، وكأن على رؤوسنا الطير ..

واتفقنا مع الحراس على اخفاء الخبر عن ملك التعذيب ، وأخذنا نعالج الكلب يوميا فى عيادة السجن أثناء غياب ملك التعذيب ، وساعدنا على ذلك أن حمزة البسيونى أصدر أمرا بمنع زيارة الكلبين ركس وجولدا لسيادته يوميا ، مع باقى الكلاب ، عقابا لهما على جريمتهما الشنعاء !

وتم شفاء الكلب ركس ، وتصورنا أن السجن سينتهى من فترة الحداد ! وإذا حادث جلل آخر يقع ، اهتزت له جدران السجن ، فإن الكلب « لاكى » امتنع فجأة عن تناول الطعام !

وأصبنا نحن خدم الكلاب بالرعب ! وأصيب الحراس بالفزع وأصيب الضباط بالمغص الكلوى !

وأمر ملك التعذيب بإرسال الكلب « لاكى » الى المستشفى البيطرى للكشف عليه . وقال الأطباء البيطريون انه مرض الشيخوخة ، وأنه سيموت من عدم الأكل ، وأشاروا إلى قتله رحمة به !

وتم قتله رميا بالرصاص ، فى احتفال رسمى مهيب ، وتم دفنه فى مقبرة مجاورة لقبر ابنته الفقيدة السيدة عنايات !

وحزن ملك التعذيب حزنا شديدا ، وبكى بكاء مرا ، وأعلن حالة الحداد على الكلب الذى عض ألوف الأبرياء ونهش لحم ألوف المسجونين والمعذبين . ودخل علينا أحد الحراس ، ورآنا نحن خدم الكلاب الأربعة جالسين فى الزنزانة صامتين ، وانهال علينا الحارس ضربا بالسوط وهو يقول :

— ابكوا ! ابكوا ياأولاد الكلب ! سيدكم « لاكى » مات !

واضطررنا أن نبكى على الكلب الذى نهش لحمنا !


بدران
حمزة

مذبحة عام ١٩٦٥

السجن الحربى عام ١٩٦٥

عزيزتى ...

هذه صفحة أخرى من مذكرات احدى ضحايا ملك التعذيب حمزة البسيونى ..

الجلادون يهوون بسياطهم على الأجساد . أحذية الزبانية تغوص فى البطون . كلاب تنهش فى لحم الرجال . أنين الجرحى . صراخ المصلوبين . حشرجة الموتى . انها مذبحة عام ١٩٦٥ التى يتحدث عنها الذين رأوها ، ونجوا من الموت منها ، وهم يقشعرون من الرعب ، هذا الهول الذى رأوه بأعينهم والسياط تنهال فوق رؤوسهم !

ولم يكن حمزة البسيونى يومئذ ملك التعذيب ، فقد كان يجلس على العرش شمس بدران امبراطور التعذيب ، وتحول حمزة البسيونى أوتوماتيكيا إلى واحد من رعاياه !

وصحيح أن حمزة البسيونى كان يحمل يومئذ رتبة اللواء ..

وكان شمس بدران يحمل رتبة العقيد !

ولكن فى مملكة التعذيب الرياسات ليست بالرتب والألقاب ! فقد كان شمس بدران هو مدير مكتب المشير ، ولهذا كان اللواء حمزة البسيونى ينحنى بين يديه ويؤدى التحية العسكرية !

وهكذا شهد زبانية حمزة البسيونى منظرا عجيبا لم يألفوه من قبل ! لقد تعودوا أن يروا سيدهم الحاكم بأمره ، الذى يملك وحده حق إصدار الحكم بالموت أو الحياة ! الذى يجلد من يشاء ، ويعفو عمن يشاء ، الذى كان يقول لهم فى صلف وغرور وغطرسة : أنا ربكم الأعلى !

ها هو ذا ملك التعذيب يتحول فجأة أمام شمس بدران كأنه الكلبة ليلى ، أو الكلبة ميمى ، أو الكلب ركس .. وغيرها من كلاب السجن !

هذا السفاح الرهيب يتحول فجأة إلى « جندى مراسلة » يقدم لشمس بدران زجاجة الكوكاكولا أو فنجان القهوة ، ويهرول الى تلبية طلباته وأوامره !

ولم يحضر شمس بدران إلى السجن الحربى وحده ، وإنما أحضر معه بعض رجال المباحث الجنائية العسكرية ، وطلب إليهم أن يتولوا عملية تعذيب المتهمين ! وامتلأت عينا السفاح حمزة البسيونى بالدموع ! لماذا يحرم هذه المرة من شرف تعذيب المتهمين !

ماذا جنى من ذنب ، حتى يسحب شمس بك منه امتياز واحتكار ضرب المتهمين بالسياط وتعذيبهم . وتسليط الكلاب عليهم ، وينعم بهذا الحق على هؤلاء الصعاليك الذين لا يفهمون فن التعذيب وأصول التحقيق ! كيف ينسى شمس بك مفاخر حمزة البسيونى طوال السنوات الماضية ، وأشار حمزة إلى رمال السجن ، وكأنه يشير الى جثث المدفونين تحت الرمال ، وكأنه يقول ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقى :

« هذه آثارنا تدل علينا ! »

ويظهر أن شمس بدران لم يلتفت إلى نظرات الاستعطاف فى عينى اللواء حمزة البسيونى ، ومضى يصدر أوامره وتعليماته !

وهنا تقدم حمزة البسيونى وأشار الى أحد المسجونين المقيدين بالأغلال وقال لشمس بدران متوسلا فى صوت متهدج :

— أرجوك ياشمس بك ! والنبى .. من فضلك ! أرجوك تتركنى أعذب أنا هذا الشاب !!

وذهل الموجودون فى الغرفة من هذا الطلب العجيب ! ما الذى يجعل هذا اللواء المهيب يتذلل ويستعطف ويتوسل الى ضابط أصغر منه رتبة ، ليعطيه شرف تعذيب مسجون شاب ؟

ورق قلب شمس بك وسمح للواء حمزة البسيونى أن يعذب الشاب .. !

وأشرقت أسارير اللواء حمزة البسيونى ! ظهر فى بريق عينيه نشوة عجيبة . تهلل وجهه ، وبدأ يعذب الشاب المسكين بلذة غريبة . كأنه يعانق ملكة جمال !

قد يدعى أحد الذين يقومون بعملية التعذيب ، أنه اضطر الى ارتكاب هذه الجريمة مرغما ، تنفيذا لأوامر صدرت إليه . ولكن هذا رجل يتوسل ويستعطف ويكاد يركع راجيا أن تسند إليه عملية التعذيب !

وعندما يحققون له أمنيته ، وينهال بالسوط فى يده ، ويرى الدم ينزف من الضحية ، ويسمع صرخاته المفجعة ، ويراه امامه وهو يتلوى من الألم يشعر بنفس الاحساس الذى تشعر به المرأة فى قمة لذتها !

ان الذين شهدوا عمليات التعذيب كما شاهدناها يدهشون لمنظر وجوه الجلادين المنتشية بعد عمليات التعذيب الوحشى .

ان ضحايا التعذيب لا ينسون أبدا وجه « يسرى الجزار » وقد كان المساعد الأيسر لصلاح نصر فى عمليات التعذيب ، بينما كان حسن عليش المساعد الأيمن .

كثيرا ما كان يحضر يسرى الجزار إلى السجن الحربى للقيام بعمليات التعذيب .

وكان قبل عملية التعذيب يبدو متعبا مرهقا مكدودا .. ولا يكاد يأمر زبانيته بالبدء فى التعذيب حتى يزداد وجهه اشراقا مع كل سوط يهوى على جسد المسجون ، تلمع عيناه بهناء عجيب ، صوت الصراخ والأنين يتحول فى أذنه إلى أصوات موسيقية ، كلها غزل وصبابة ، وهوى ملتهب . الأنين يشجيه والصراخ يطربه ، ومنظر الدم المسفوك يملأه بالنشوة .

انه يرى فى منظر الرجل الذى يتلوى أمامه من الألم والعذاب منظرا خلابا ، أسمى مراتب الجمال ، كأنه يرى فينوس أو أفروديت تبعث الى الحياة !

صوت السوط يغنى فى أذنه . منظر الدم القانى يتحول فى عينه إلى مجوهرات كريمة . كانت هذه المناظر المفجعة تملأ عينى يسرى الجزار بصور اللذة والمتعة والنشوة والشهوة ! وكأن الرجل العارى المسحوق الذى أمامه يتلوى من العذاب ، هو ملكة جمال ساحرة تتلوى بين ذراعيه من اللذة والنشوة !

الصورة التى رأيناها فى وجه يسرى الجزار أثناء عمليات التعذيب هى نفس الصورة التى رأيناها فى عيون حمزة البسيونى وصلاح نصر وحسن عليش وغيرهم من الذين كانوا يجدون متعة لا حد لها فى عمليات التعذيب .

والذى لاحظناه دائما فى شخصيات الذين يقومون بعملية التعذيب انهم عادة من الشواذ . وشذوذهم هو الذى يجعلهم يحسون بالبهجة فى عذاب الآخرين . وكلما كان العذاب أشد ، كانت النشوة أكبر . ان ضمائرهم لا تستيقظ أبدا بعد هذه العمليات . على العكس ، فهم بعد أن ينتهوا من التعذيب ينامون نوما عميقا ، تماما كما يحدث للمرأة العاشقة بعد أن تكون مارست الحب فى ليلة حمراء مع حبيبها !

واكثر هؤلاء يشعرون بالنقص أمام الرجال . يشعرون بانهم ضعفاء . وعندما يرون رجلا عاريا يتلوى أمامهم من الألم والعذاب ، يشعرون بلذة اذلال الرجال ، بنشوة الانتقال من رجال لا يستطيعون أن ينازلوهم فى اى ميدان ، اذا فكت قيودهم وسلاسلهم .. ان عملية تجريد الانسان من انسانيته تثير اشمئزاز الرجل العادى ، ولكنها تبهج الرجل الشاذ ، وتسعده ، وتكون تعويضا له عما يحس به فى داخل نفسه من ذل ومهانة .

وهكذا كان حمزة البسيونى ..

* * *

وكان ملك التعذيب شخصية مليئة بالمتناقضات . يامر بجلد المسجونين ويامر بالترفيه عنهم ! يقيم المذابح ويقيم الحفلات ! وكان يجد متعة لا حد لها فى ان يقيم فى بيته ليلة حمراء ، يدعو اليها أسياده والغوانى ، ويشرب ، ويرقص على انغام صراخ المسجونين الذين يامر بجلدهم لهذه المناسبة السعيدة ! وهكذا يختلط صراخ المسجونين المضروبين ، بصراخ السكارى والراقصات !

وذات يوم قرر ملك التعذيب ان يقيم حفلة ترفيه للمسجونين ، واعد المسرح بميس الجنود ، ووضع امام المسرح مباشرة عددا من الكراسى الفوتيل لجلوس حمزة بك ومساعديه وخلفها مباشرة رصت دكك خشبية لجلوس المسجونين السياسيين ، ثم حاجز من الحبال يفصلهم عن جمهور « الترسو » من المسجونين العاديين الذين جلسوا على الأرض .

وقام بإحياء الحفل عدد من راقصات شارع محمد على والمغنى البلدى ابودراع والشنكحاوى والزعبلاوى للمنلوجات .

وبدأ الحفل مبكرا فى الساعة السادسة مساء حيث حضر فى بدايته حمزة البسيونى وصدر امر الحراس للمسجونين بالهتاف والتصفيق الحاد وقال الحراس لنا أن الذى لا يهتف سوف يجلد عشرات الجلدات ! وهتفنا طبعا حتى بحت أصواتنا .. ولم تكن هذه أول مرة يهتف فيها مجلودون للجلاد !

وافتر ثغر الطاغية عن ابتسامة رضا وانشراح ثم انصرف ليشرب زجاجة ويسكى مع بعض أعوانه وتوالت فترات البرنامج بين الهرج والمرج ، حين صعدت احدى الراقصات . وكانت على شىء من جمال الجسم والوجه ، واخذت تدور حول نفسها رافعة طرف بذلة الرقص ، لتظهر ساقيها الجميلتين الى أعلى مكان ممكن ، او غير ممكن !

وهاج جمهور الترسو وماجوا ، وطالبوا بإعادة الحركة صائحين « ارفع ! ارفع ! » ونزلت الراقصة على ارادة الجماهير ، وكشفت عن فخذيها مرات ومرات !

ثم عاد حمزة بك مترنحا وقوبل بعاصفة من التصفيق والهتاف ، وصعدت الراقصة نفسها الى المسرح ، وعادت الجماهير تصيح ارفع ! ارفع !

ولم يتمالك حمزة نفسه فقام من مقعده ، ولوح بقبعته وهو يصيح فى الراقصة « ارفع ! ارفع » ورفعت الراقصة ثوبها كله بناء على طلب المدير ، لأن الناس مقامات !

وجن جنون ملك التعذيب ، وأمر بإنهاء الحفلة ، وادخل المسجونين الى زنازينهم ، وأخذ معه الراقصة الى بيته الموجود فى السجن ، لتختم الحفلة معه على انفراد !

ومر الحراس على زنزانات المسجونين المجاورة لغرفة خدم حمزة البسيونى ، وانهالوا على المسجونين ضربا ، ليصل صراخهم الى حمزة بك ، لتزداد نشوته فى ليلته الحمراء !

* * *

فى أواخر عام ١٩٥٩ شهد سجن حمزة البسيونى أول ثورة للمسجونين فى الشرق الأوسط ! ثورة لم تكتب عنها الصحف كلمة واحدة ، ولم تتناقلها وكالات الأنباء ، على الرغم من أن المسجونين استطاعوا أن يستولوا على السجن لمدة ثلاثة أيام !

كان ذلك فى نهاية يوم حافل بالعمل الشاق ، والاهانات ، والآلام ، والعذاب . جلس نزلاء السجن الكبير القرفصاء أربعة أربعة ، فى صفوف متراصة فى حوش السجن ليتناولوا الطعام . فهذه كانت الطريقة المتبعة فى تناول الطعام يوميا . المسجون لا يجلس على كرسى ، ولا على الأرض وإنما يجلس المسجونون القرفصاء ويتناولون طعامهم فى هذا الوضع الغريب !

وكان المسجونون مكدودين من العمل الشاق ، مرهقين بألوان المعاملة السيئة ، الشتائم تنهال على رؤوسهم كالصفعات ، وكل حارس يجد نشوة فى أذلالهم ، وفى تحطيم آدميتهم ، وفى أن يدوس بحذائه على كرامتهم ! وتحملوا كل هذا طوال النهار صامتين صاغرين ..

وأثناء تناول العشاء قام أحد الحراس بضرب أحد المسجونين بحذائه ، لأنه تجرأ وجلس على الأرض من شدة التعب ، بدلا من أن يجلس القرفصاء كأمر حمزة البسيونى ..

وقال المسجون بانه لا يستطيع أن يجلس القرفصاء لأنه متعب تعبا شديدا !

وكفر المسجون لأنه فتح فمه فى حضرة الحارس العظيم ، وانهال الحارس بالكرباج على المسجون المتعب ، وكانه ارتكب جريمة مروعة .

وفوجىء الحراس بأن المسجونين « يزومون » احتجاجا ! وثار الحراس لكرامتهم ! كيف يجرؤ هؤلاء المسجونون المسحوقون الصعاليك على أن « يزوموا » فى حضرة اصحاب السعادة زبانية حمزة البسيونى ! وانهال الحراس ضربا بالسياط على جميع المسجونين الذين « زاموا » والذين لم ينطقوا بكلمة واحدة !

وانقض المسجونون الراكعون على اقدامهم ! واختطفوا السياط من ايدى الحراس وانهالوا عليهم ضربا وصفعا وركلا ! وجعلوهم يذوقون ما ذاقوه على أيديهم الشهور والسنين الطوال !

واختطفوا أسلحتهم ، وقبضوا عليهم جميعا ووضعوهم فى الزنازين ، وهاجم المسجونون مخزنا كبيرا فيه سلاسل وأقفال ، وأحكموا اغلاق الباب الحديدى وصرخ الحراس الواقفون خارج العنبر « حرس سلاح » واسرع الحرس الموجود خارج العنبر يحاول أن يقتحم الباب الحديدى وفشلت المحاولات وعجز عن اقتحامه !

وأعلن المسجونون انهم استولوا على السجن ، وانهم احتفظوا بالحراس كرهائن . وانهم سوف يقاومون من يحاول دخول السجن !

ووزع المسجونون المهمات على بعضهم . فريق يحرس الباب وفريق يحرس السطح وفريق للاسعاف ، وفريق يبنى المتاريس وفريق يتولى حراسة الحراس المقبوض عليهم !

وحضر أركان حرب السجن ، ومعه مكبر للصوت . حاول بواسطته تهدئة المسجونين الثائرين والتفاهم معهم دون جدوى . فقد أمطرت عليه السماء ، وعلى الحراس الذين صحبوه ، أحجارا وقطعا من الحديد .. واضطر الى التراجع ..

وكان حمزة البسيونى فى مدينة الاسكندرية فى جولة تفتيشية فاتصل اركان الحرب تليفونيا به واخبره بما حدث ، فامره البسيونى بإطلاق النار للتهديد ، ومحاولة السيطرة على الموقف باى طريقة ، وقال انه سيعود فورا الى القاهرة .

واقام أركان الحرب كردونا من الحراس المسلحين حول مبنى السجن ، ثم امرهم بواسطة مكبر الصوت أن يطلقوا النار عندما يعطيهم الاشارة

بذلك . ثم أمر الضابط الباشجاويش ان يجرى حول المبنى ، ويبلغ الجنود ان الامر هو بإطلاق النار فى الهواء للتهويش ، ويحذرهم من الضرب فى المليان !

ولكنه قبل ان يتم دورته أمر اركان الحرب بإطلاق النار .. وإذا بعدد من الجنود يطلقون النار فى المليان !

وسقط احد المسجونين قتيلا ، وسقط عدد من المسجونين جرحى برصاص الحراس ..

واندلعت الثورة ، والتهبت المعركة ، وانهال سيل الأحجار وقطع الحديد بغزارة على الحراس ، واضطر اركان الحرب المذهول الى الأمر بالانسحاب !

وحل الظلام ، واقام المسجونون نقط حراسة على الأسوار ، وتولى عدد اخر منهم حراسة المسجونين ! واصدروا اوامرهم الى المسجونين الا يضربوا الحراس الأسرى ، وألا يسيئوا معاملتهم ، كما كان الحراس يسيئون معاملة المسجونين ، ونظم المسجونون الثائرون توزيع المخزون عندهم من خبز وماء ، وانزلوا جثة المسجون القتيل من فوق السطح ، وتولى عدد منهم اسعاف الجرحى وتنظيف جروحهم !

وفى الصباح المبكر وصل حمزة البسيونى ، وجاء بمكبر الصوت ، وصرخ فى المسجونين مزمجرا مهددا متوعدا ، وهتف المسجونون الثائرون بسقوط الطاغية وسقوط السفاح !

وتحول الأسد الهصور الى فأر ، وراح يتوسل الى الثوار ان يهدأوا ويستسلموا وهو يعدهم بشرفه انه سيجيب جميع مطالبهم ، ولن يعاقب واحدا منهم لانهم إستولوا على السجن !

ودوى صوت المسجونين الثائرين كالرعد هاتفين بسقوط المجرم القاتل !

وتوافد المسئولون محاولين اقناع المسجونين الثائرين بإنهاء ثورتهم ، من أجل علاج الجرحى ودفن السجين القتيل ، واعدين بإجابة جميع مطالبهم !

ورفض المسجونون وأصروا على أنهم لا يفاوضون إلا المشير عبدالحكيم عامر !

واستمر المسجونون ثلاثة أيام يحكمون السجن !

واخيرا حضر الفريق اول على عامر ، وكان رئيسا لأركان حرب الجيش وقتئذ ، وقال للمسجونين ان المشير موجود فى سوريا ، وانه يستحيل عليه الحضور لمقابلتهم ، وذكر لهم انه اتصل بالمشير تليفونيا ، وكلفه بأن يقابل

المسجونين نيابة عنه ، ووعدهم بإجابة جميع مطالبهم ، وعدم توقيع أى عقوبات عليهم .

وطلب المسجونون وقف عمليات التعذيب فورا . ووافق الفريق على عامر ..

وطلب المسجونون سحب افراد حرس البسيونى ، وإحلال حراس محلهم من افراد البوليس الحربى ، فوافق الفريق عامر ..

وطلب المسجونون وقف سوء المعاملة المستمر على أدميتهم ، فوافق الفريق عامر ايضا .

واستدعيت على عجل فرقة من البوليس الحربى ، ودخلت مبنى السجن ، ووزعت على المسجونين قطع الشوكلاتة ، وعلب السجائر ، المحظورة عليهم طبقا للائحة حمزة البسيونى .

وسحبت جثة القتيل ، ونقل الجرحى الى المستشفى ، وتم فك أسر الرهائن من الحراس ..

وتوقف الضرب والتعذيب ..

واستمر ذلك لمدة اسبوعين !

وفى اليوم الخامس عشر ، فوجىء المسجونون بانسحاب البوليس الحربى .. وبعودة حرس حمزة البسيونى .. وعاد حمزة البسيونى ليبدأ عهدا جديدا اشد قسوة وإرهابا وتعذيبا ..

وتالفت مجالس عسكرية حكمت على اربعين مسجونا بعقوبات مروعة !

وتم نقل هؤلاء الى المعتقل رقم ٤ ، حيث فتحت عليهم نار جهنم ، ونالوا من العذاب ما لا يصدقه عقل !

وبدأت عمليات الانتحار !

لا يمر اسبوع واحد بدون حادث انتحار ، أو حادثى انتحار ! يصعد المسجون الى الدور الثالث لمبنى السجن ، ثم يلقى بنفسه الى الطابق الأرضى ، ليريح نفسه من عذاب حمزة البسيونى وزبانيته ، وكلابه !

ولم تسجل سجلات سجن حمزة البسيونى حادث انتحار واحد !

كان المنتحرون دائما يسجلون فى دفاتر السجن بانهم ماتوا بالسكتة القلبية ، او ماتوا بالشيخوخة !

مع ان كثيرين منهم كانوا فى العشرين من عمرهم !

* * *

ولعل هذا هو السبب الذى كان يحمل حمزة البسيونى يقول ان المسجونين كانوا يموتون فيه !!!

مصـــرع الســـفاح ..

سجن ليمان طره ..
الجمعة ١٩ نوفمبر ١٩٧١ :

عزيزتي ...

رقصت مصر فرحا .. لمصرع السفاح المجنون :

رقصت مصر فرحا لأن سيارة قتلت رجلا ! كان الناس يتبادلون التهاني في الشوارع . يقبلون بعضهم بعضا . والمصريون مشهورون بالقلب الطيب . لا يشمتون في مصاب . ويترحمون على العدو إذا مات . ويتناسون مظالم الخصم اذا انتقل الى رحمة الله . ولكنهم في هذه المرة خرجوا على طبيعتهم ، ونسوا الحكمة التي تقول « اذكروا محاسن موتاكم » لأن الميت في هذا الحادث لم تكن له محاسن .. على الاطلاق ! كان القتيل أكبر قاتل شهدته مصر ! الرجل الذي دفن عشرات الأحياء تحت رمال صحراء مدينة نصر ، وأعلن انهم فروا من السجن ! الرجل الذي كان يجلد الأبرياء حتى يتمزق لحمهم . الرجل الذي كان يطرب لصراخ المصلوبين والمعذبين ويقول ان هذا الصراخ أحلى من صوت أم كلثوم وعبدالوهاب ! الرجل الذي سلط الكلاب البوليسية لتنهش لحم المتهمين . الرجل الذي أمر طبيبا مشهورا في الاسكندرية بأن يأكل لحم ساقه . واضطر الطبيب أن يأكل لحم قدمه والسياط تنهال على رأسه ! الرجل الذي كان يحمل الكرباج ، ويثير الفزع في ملايين المصريين ! ما يكاد يذكر اسمه حتى تقشعر الأبدان . ويرتجف الشجعان . ويتهاوى الأقوياء ! الرجل الذي جاء الى السجن الحربي بسكان مدينة كرداسة ، الرجال والنساء والأطفال ، وأمر حراسه بأن يضربوا الرجال بالسياط ويعذبوهم ، أمام زوجاتهم وأمهاتهم وأطفالهم ! الرجل الذي أطلق زبانيته على مئات الأبرياء من سكان

كمشيش بمحافظة المنوفية ، وعلقهم فى السجن الحربى من أقدامهم ، وصلب بعضهم على الجدران ، وأطلق عليهم الكلاب البوليسية تفترسهم ، بينما كان الحراس ينهالون عليهم بالسياط والركل والرفس والضرب ليعترفوا بجريمة لم يرتكبوها . واضطر قاضى التحقيق أن يستغيث بالرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية فى رسالة مشهورة ، يقول فيها أن رجال مخابرات صلاح نصر زاروا زوجة القاضى بعد منتصف الليل وهددوها اذا لم يحكم القاضى بإحالة هؤلاء الأبرياء الى محكمة الجنايات !

وجاءت محكمة الجنايات وبراتهم ، بعد أن ذاقوا عذاب الهون ، ورأوا ما رأته جميلة بوحريد فى سجون الفرنسيين فى الجزائر ، وما عرفه ضحايا النازى فى معسكرات الاعتقال !

الرجل الذى وصفته فى خطابى المشهور الذى كتبته من سجن الاستئناف فى ديسمبر عام ١٩٦٥ الى الرئيس جمال عبدالناصر ، ورويت فيه للرئيس كيف عذبنى هذا الرجل وأطلق على الكلاب البوليسية تنهش جسمى ، وكيف قال لى انه سيقتلنى ويدفننى فى السجن الحربى ، ويعلن اننى حاولت الهرب ، كما فعل مع عشرات من الذين دفنهم تحت رمال الصحراء المحيطة بالسجن !..

الرجل الذى وصفته مجلة « اللقاء العربى » وهى من مجلات الكويت ، بانه عندما يحمل الكرباج يصبح أطول قامة من برج الجزيرة ومن السد العالى ! وأن اسمه كان يبعث الذعر فى جميع القلوب !

الرجل الذى كتبت كثير من الصحف العربية ، من الخليج الى المحيط ، فى الشهور الأخيرة تطالب بمحاكمته بناء على التهم الخطيرة التى ذكرها سعيد فريحة فى مذكراته فى الأنوار ! من هو هذا الرجل ؟ انه اللواء حمزة البسيونى قائد السجن الحربى فى القاهرة !

كان الناس جميعا يتحدثون فى الشهور الأخيرة ماذا سيكون مصير هذا الرجل بعد أن أعلن الرئيس أنور السادات سيادة القانون ؟ وبعد أن وافق الشعب بأغلبية حوالى مائة فى المائة على الدستور الجديد الذى نص بأن « عقوبة الذين ارتكبوا جرائم التعذيب لا تسقط بالتقادم » . وكان الناس يتساءلون هل سيقدم اللواء حمزة البسيونى الى محاكمة علنية ، وهل سيمثل الضحايا أمام المحكمة يشهدون بالجرائم البشعة التى ارتكبها حمزة البسيونى . ان علامات التعذيب لا تزال ظاهرة فى اجساد بعضهم على الرغم من انه مر على بعضها ١٧ عاما ! .. ومر على البعض الآخر ست سنوات !

وفوجىء الناس بالقدر يرد على أسئلتهم ! ففى اليوم الثانى لعيد الفطر ، نشرت جريدة الأهرام فى صفحتها الأولى خبرا بعنوان « مصرع حمزة البسيونى » ! وقالت « لقى اللواء بالمعاش حمزة البسيونى ، المدير السابق للسجن الحربى ، وشقيقه عقيد الشرطة السابق مصرعهما أمس عندما اصطدمت سيارته مع سيارة نقل ، كانت تسير فى الاتجاه المضاد على الطريق الزراعى بين القاهرة والاسكندرية ، غرب مدينة قويسنا » .

فوجىء الناس بهذا النبأ ، لأن مصرع حمزة البسيونى وقع فى أول أيام عيد الفطر ، وهو أول عيد أيضا أمضاه مئات المعتقلين فى بيوتهم ، بعد أن امر الرئيس انور السادات بالافراج عنهم ، وكل هؤلاء المعتقلين مروا على كرباج حمزة البسيونى !

وفوجىء الناس بهذا النبأ ، لأن مصرع هذا الجزار وقع بقرب مدينة قويسنا ، فى محافظة المنوفية ، نفس المحافظة التى فيها قرية كمشيش ، التى عذب حمزة البسيونى سكانها الأبرياء ، وتفنن فى التنكيل بهم !

واختلف الناس : أغلبيتهم تقول ان هذه احدى آيات الله الذى يمهل ولا يهمل !

لطالما دوت فى جنبات السجن صرخات الأبرياء تصيح « أنت فين يارب ؟ » !

وإذا بالله يقول لهم « اننى هنا فى محافظة المنوفية أنتظر حمزة البسيونى ! »

كثير من الضحايا الذين تزعزع ايمانهم ، أعاد لهم هذا الحادث الايمان المفقود ! الحكمة فى أن يصرع اللواء البسيونى ، فى أول يوم عيد يمضيه المعذبون فى بيوتهم مع أولادهم وزوجاتهم وامهاتهم ! . الحكمة فى أن يقع هذا الحادث فى المحافظة التى يتحدث أهلها عن الأهوال والجرائم التى شاهدوها فى السجن الحربى !

وأقلية من الناس تصورت أن الحادث لا يمكن أن يكون قضاء وقدرا ! لابد أن سائق هذه السيارة التى صرعت اللواء حمزة البسيونى هو احدى ضحاياه ، هو قريب لاحدى ضحاياه ، أو مواطن فى نفس القرية التى فيها احدى ضحاياه . فلا توجد قرية واحدة فى مصر ليس فيها رجل واحد على الأقل ، لم تخلع ظافره ، أو لم يضرب بالسياط ، أو لم تمتهن انسانيته فى أحد السجون التى كان يشرف عليها اللواء حمزة البسيونى !

ان الألوف الذين كانوا مسجونين فى السجن الحربى يذكرون يوم جمعهم اللواء حمزة البسيونى يوم ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ قبل النكسة بيوم واحد ـ ووقف خطيبا يقول لهم :

— اعلموا اننى هنا الجزار ! أنا القانون ! أنا الدولة ! أنا الذى أستطيع أن أحيي واميت ! أنا القاضى ! أنا الجلاد ! أنا الطبيب الشرعى أنا أحيي واميت ! أنا الحانوتى الذى يستطيع أن يدفنكم جميعا أحياء ! أنا من رأيى ابادة جميع المسجونين السياسيين . وللأسف لم يأخذ الرئيس جمال عبدالناصر برأيى هذا . ولكنى فى هذا المكان أملك السلطات جميعا ! من حقى أن أحكم على أى واحد منكم بالاعدام وانفذ الحكم ! اننى لا اتسلم المسجونين بإيصال ! لا أحد يعلم عدد المسجونين عندى ! أستطيع أن اقتل مائة منكم فى يوم واحد ولن يحاسبنى أحد ! انكم باقون هنا تحت سلطاتى . ولن يخرج منكم واحد حيا من هنا ! أنا اله السجن الحربى !

وبعد مرور اسبوع واحد على هذا الانذار والتهديد والوعيد « الالهى » فوجىء حمزة البسيونى بقرار جمهورى يصدره الرئيس جمال عبدالناصر بطرده من منصب قائد السجن الحربى وإحالته الى المعاش . ثم فوجىء بعد ذلك بالقبض عليه ووضعه فى معتقل القلعة ، ثم فوجىء بالتحقيق معه فى جرائم التعذيب التى ارتكبها !!

وفجاة صدر الأمر بوقف التحقيق فى جرائم التعذيب .. فقد أصر اللواء حمزة البسيونى أن يذكر فى التحقيق انه قتل فعلا عددا من المسجونين السياسيين ، ولكنه قتل كل واحد منهم بأمر صدر له من أحد مراكز القوى . وكان يحدد اسم كل قتيل وإسم الكبير الذى اصدر أمره بالقتل أو التعذيب ! ورات مراكز القوى وقتئذ ان التحقيق فى هذه الجرائم سوف يدخلهم جميعا فى قفص الاتهام . ولهذا أسرعوا بالأمر بحفظ التحقيق . وبقى اللواء حمزة البسيونى معتقلا فى القلعة ، ولم يقدم مع الذين حوكموا فى قضية المشير عامر ، مع صلاح نصر ، وشمس بدران وزير الحربية السابق وعباس رضوان وزير الخارجية السابق ونائب ورئيس الوزراء ، حتى لا يذكر أسماء على صبرى وسامى شرف وشعراوى جمعة الذين تلقى منهم أوامر القتل والتعذيب !!

ثم صدر قرار بالافراج عنه بعد أن أمضى أكثر من عامين فى المعتقل . ولم يفرح اللواء حمزة البسيونى بالافراج عنه . كان فى عالم الحرية يموت كل يوم من الرعب ! لا يستطيع أن يمشى وحده فى الشارع . لا يستطيع أن يخرج من بيته فى المساء .. لا يستطيع أن يفتح باب بيته لأى طارق . كان

يعتقد أن أحد الذين عذبهم سوف يقتله انتقاما لجرائمه البشعة !
وفقد أعصابه . أصبح يحدث نفسه كالمجنون . كان يقول لكل من يراه انه مظلوم ! انه كان ينفذ أوامر صريحة صدرت اليه .
كان مضطرا أن يطيع الأوامر بالقتل وإلا قتلوه ! وكان يرى أحلاما مفزعة . أن أشباحا تطارده . أن أيادى قوية تخنقه . أن سياطا تنهال عليه !
وذات يوم دخل اللواء حمزة البسيونى غرفة الزوار فى سجن طره ، ليزور ابن عمه الصاغ عزيز العقاد البسيونى ، المحكوم عليه بالسجن المؤبد ، فى جريمة تهريب المخدرات .. وفوجىء بى فى نفس الغرفة ومعى اسرتى تزورنى فى السجن . وهجم اللواء البسيونى على وراح يقبلنى ويعانقنى ويقول لى :
— انا لم أعذبك ! ان كل ما فعلته هو أننى جئت بمسدس وصوبته على رأسك ، وهددتك بالقتل !
قلت له فى هدوء : انك سلطت على الكلاب البوليسية وصلبتنى ، وقلت لى انك ستقتلنى وتدفننى فى السجن كما دفنت عشرات ، وقلت انهم هربوا من السجن .
وبكى اللواء حمزة البسيونى وقال :
— والله هذه كانت أوامر ! كنت أنفذ الأوامر ! سامحنى ! سامحنى ! سامحنى !
قلت له : أستطيع أنا أن اسامحك .. ولكن من الذى يستطيع أن يسامحك باسم عشرات القتلى الذين دفنتهم !
وعاد اللواء حمزة البسيونى يقول وهو فى حالة تشنج ، وهو يرتجف زائغ البصر :
— كانت أوامر ! كنت انفذ الأوامر . لو حاكمونى فسأقول لهم اسم كل من أصدر لى أمرا بالقتل والتعذيب !

* * *

ان ضحايا حمزة البسيونى لم يكونوا من فئة واحدة أو من حزب واحد ، كان بعضهم من الاشتراكيين ، وبعضهم من الشيوعيين وبعضهم من الاخوان المسلمين ، وبعضهم من المستقلين وبعضهم من الوفديين ..
ولابد أن اسم حمزة البسيونى سوف يدخل التاريخ ! ان بعض الكتاب والصحفيين الذين حضروا المذابح يستطيع أن يكتب عن مذابحه التى رآها بعينيه . ان الشاعر معين بسيسو الفلسطينى يستطيع أن ينظم

الملاحم الشعرية فى وصف ما رآه من أهوال تشيب لها الرؤوس ! ان كثيرين من الصحفيين والكتاب والأدباء والشعراء المعروفين مروا بسياط حمزة البسيونى !

* * *

وحدث أن حفر أحد المحكوم عليهم فى المحاكم الاستئنافية قصيدة حفرها بأظافره على جدران زنزانته فى السجن الحربى . وكانت القصيدة تقول :

صاح فى وجه القضاة ..
لن تتموا المهزلة !
واستبدوا بحياتى ..
واقيموا المقصلة !
غير أنى لن أدافع ..
لن أقول كلمة !
ياشياطين المدافع ..
كيف صرتم محكمة ؟
وكتب على جدار آخر :
هاتوا الحبال من الأشواك ، واجتمعوا ..
لدى الحبال ، وهاتوا من تشاؤونا ..
وعالجوا الشنق فى صمت وفى حذر ..
من الرعاع فقد لا يستريحونا ..
أتشنقون أمام الشعب قادته ؟
وتجعلون من الاعدام قانونا ..
أتعدلون ؟ فياتى عدلكم عجبا ..
من فاته الحبل . يقضى العمر مسجونا !
اتعقلون ؟ لقد ضلت عقولكمو ..
معنى العقول ، فعدوا الشعب مجنونا ..

وعلم اللواء حمزة البسيونى بأن هاتين القصيدتين محفورتان على جدران الزنازين ، فأمر بإرسال عدد من المسجونين لتغطية القصيدتين بالبياض ..

وإذا بالمسجونين يحفظون القصيدتين .. ويلحنوهما .. وتصبح كلماتهما النشيد الذى يردده المسجونون السياسيون فى زنزاناتهم ..

وهذا هو السر فى أن مصر رقصت عندما سمعت بمصرع السفاح المجنون !!!

الحياة بغير جريدة !

سجن القبة .
نوفمبر سنة ١٩٦٥
عزيزتي .....

مكثت أربعة أشهر في سجن المخابرات لا أقرأ جريدة واحدة ، ولا كتابا واحدا ! كنت أشعر كأنني الميت الحي . الصحفي الذي يعيش بلا صحف والكاتب الذي يعيش بلا كتب هو أشقى رجل في العالم . انني اشبه الانسان الذي يعيش بلا طعام .. أربعة شهور بلا طعام !

وكان يحدث من وقت إلى آخر أن أجد صفحة من جريدة ملقاة في صندوق القمامة في السجن . كنت اقوم بعدة حركات بهلوانية حتى احصل على الصفحة الممزقة ، واخفيها ، وأذهب إلى التواليت ، وأغلق الباب ، وأفردها في حذر ، ثم اقرأها . وأحس بسعادة عجيبة والصفحة الممزقة في يدي ، كأنني رأيت ليلة القدر !

وذات يوم وجدت ورقة لف فيها الحراس « طعمية » وبقايا الزيت تغطي سطورها .. تظاهرت انني أربط الحذاء ، وانحنيت على الأرض ، والتقطت الورقة ودسستها في جيبي ، ودخلت التواليت ، لأقرأ السطور غير المطموسة ..

ووجدتها « البقية » من الصفحة الأولى . واستطعت أن أفهم من سياق الكلام أن زكريا محيي الدين ألف وزارة ، وقرأت أسماء بعض الوزراء الجدد ، واستنتجت أسماء الوزراء المنشورة في الصفحة الأولى التي لم تقع في يدي !

وفي بعض الأحيان كنت اتظاهر بالنوم ، ويجلس الحراس يتهامسون ، فاستطيع أن ألتقط من كلامهم بعض الأخبار التي قرأوها في الصحف ! بل

كنت اتتبع مباريات الكرة من أحاديثهم التى يتبادلونها .

وكانت التعليمات المشددة هى أن أعيش فى ظلام . ألا أعرف أى شىء عما يجرى فى بلادى . وكان هذا الأمر يعذبنى تماما كالضرب والصفع والركل بالأقدام !

ولقد عرفت وأنا فى سجن المخابرات أن مصطفى النحاس قد توفى إلى رحمة الله . وحزنت كثيرا عليه . وأسفت اننى لا أستطيع أن أكتب رثاء له ، لقد أحببت هذا الرجل وحاربته . وسجنت من أجله . وفصلت من المدارس من أجله . واختلفت معه فى الرأى وهاجمته وهو رئيس حكومة . فلم يفكر فى أن يضعنى فى السجن ، ولو كنت كتبت اليوم عن سكرتير أحد الوزراء ما كتبت عن رئيس الحكومة مصطفى النحاس ، لشنقونى ، أو أعدمونى رميا بالرصاص !

ولقد قبض على فى عهد النحاس سنة ١٩٥١ ستا وعشرين مرة . ولكنى كنت أدفع كفالة ، وأخرج من السجن ، ولم يفكر النحاس أن يدبر لى تهمة ، أو يحاكمنى على جريمة أنا برىء منها .

من حق النحاس على أن أشيد به وأنا مسجون وأن أذكره كرجل قاد كفاح هذه الأمة ، وضحى فى سبيلها . ونفى من أجلها . وحمل الزعامة بعد سعد زغلول . وكانت نهايته هى نهاية الديمقراطية .

ولقد أسعدنى أن الملايين خرجت لتشييع جنازته ، وحزنت أن الصحف لم تخصص الصفحات للحديث عن تاريخ هذا الرجل وأمجاده ، التى هى تاريخ شعب مصر وأمجاد شعب مصر ..

وشعرت أن الزبانية هنا فزعوا من خروج الشعب كله لتحية الزعيم الكبير الراحل . واعتبروا هذه الجنازة الشعبية الهائلة ثورة على النظام ، وانفضاضا عن الحكم . وقال لى أحدهم أن الأمر صدر بالقبض على كل من سار فى الجنازة !! قلت له ساخرا : هل ستقبضون على ثلاثة ملايين ! ان السجون والمعتقلات مزدحمة ولا يوجد فيها أماكن خالية ! قال لى : هل كنت ستشترك فى تشييع الجنازة . قلت : لولا اننى مسجون لسرت فى الجنازة !

قال ضاحكا : وكنا قبضنا عليك !

ثم ذكر لى الزبانية أشياء أذهلتنى ! قالوا أن الأوامر صدرت بالقبض على مئات من الوفديين المعروفين بتهمة انهم مشوا فى الجنازة ! ولم أكن أعلم أن الوفاء أصبح جريمة فى هذا البلد ! وقال لى الزبانية أن الذين قبض عليهم لن يخرجوا من المعتقلات أحياء ! وأن القرار يقضى باعتقالهم إلى

الأبد ! قلت : أنتم لا تملكون الأبد الله وحده الذى يملك الأبد !

وضحك الرجل ساخرا من سذاجتى !

وقد حدث فى هذه الفترة أن دخل وكيل المخابرات إلى زنزانتى ، وقال لى أن الأمر قد صدر بأن تحذف جملة « أسسها مصطفى أمين وعلى أمين » المكتوبة تحت اسم « أخبار اليوم » و « الأخبار » .

وسكت ولم أقل شيئا ..

وقال وكيل المخابرات : لماذا سكت ؟ تكلم ! قل رأيك فى هذا القرار .

قلت له : رأيى أن هرم الجيزة الأكبر ليس مكتوبا عليه اسم خوفو .

وبهت وكيل المخابرات من ردى ولم يقل شيئا !

وقد تصور المسكين اننى سوف أنهار عندما أعلم أن اسمى واسم أخى حذفا من الصفحة الأولى من جريدة « أخبار اليوم » وجريدة « الأخبار » !

ان اسم سليم وبشارة تقلا مؤسسى الأهرام منشور فى صدر جريدة الأهرام ، وإسم أميل وشكرى زيدان مؤسسى « المصور » و « الكواكب » و « حواء » فى صدر هذه المجلات وإسم روزاليوسف مؤسسة روزاليوسف ، وإسم محمد التابعى مؤسس آخرساعة .. هل يتصور الذى أصدر هذا القرار أن الناس سوف ينسون من أسس أخبار اليوم والأخبار ؟

وسيجىء يوم يعود اسمى وإسم أخى من جديد .. فلابد أن تشرق الشمس من جديد !!!

وكان مما يضايقنى فى سجن المخابرات أنهم كانوا يتحكمون فى السجائر التى أدخنها . قبل دخولى السجن كنت أدخن ست علب سجائر كل يوم . وقرروا أن يعطونى أربع علب سجائر فقط . كنت أقوم بعدة عمليات حسابية واقتصادية لتكفينى ٨٠ سيجارة فى اليوم بدلا من ١٢٠ سيجارة . وفى بعض الأحيان كانوا يتعمدون أن ينسوا أن يعطونى ما أستحق من سجائر يشترونها من حسابى .

ولكيلا أعرض نفسى لهذا العذاب المستمر ، كنت أوفر السجائر وأخفيها فى أمكنة مجهولة ، لكى أستعملها فى الأيام التى يحرموننى فيها من تدخين السجائر .

والذى لا يدخن السجائر لا يتصور العذاب الذى يحس به المدمن عندما تتأخر السيجارة ! وخطر ببالى أن أقاوم بأن امتنع عن التدخين على الاطلاق . ولكن الظروف المريرة التى كنت أعيشها فى سجن المخابرات جعلتنى أعجز عن الاقلاع عن التدخين .

وكان مما يعذبنى أنهم لم يسمحوا لى بأن أحمل علبة كبريت أو ولاعة !

وكانوا يقولون انهم يخشون أن أحرق نفسى ! ولكنهم فى الواقع كانوا يتعمدون اذلالى ! فكان الحراس يحملون الكبريت ، ويغلقون عليه بالمفتاح فى درج مكتب بالصالون وكلما أردت أن أشعل سيجارة ذهبت إلى رئيس الحراس ، فيخرج المفتاح ، ويفتح الدرج ، ويشعل لى الكبريت .. وبقيت فى هذا العذاب إلى أن جاء الشتاء ، وأحضروا مدفأة كهربائية ، فكنت أشعل ورقة منها ، وأشعل السيجارة .. فقد كانوا يتعمدون أن يدعوا فى بعض الأيام أن الكبريت نفد لمدة ٤٨ ساعة ! وقد تبدو هذه مسائل صغيرة ، ولكنها تحطم أعصاب المسجون الذى أمضى أربعين يوما يتنقل بين مختلف وسائل التعذيب ، ثم يتوقف التعذيب الجسمانى ليبدأ التعذيب النفسى .

وكانت هذه احدى الوسائل التى لجأوا اليها لتحطيم أعصابى ، وإثارتى ، وعلمهم اننى مدمن على التدخين أوهمهم أنهم وضعوا أصبعهم على نقطة ضعفي ! وهم مثلا يعلمون أننى مريض بالسكر ، والمفروض أن مريض السكر يتناول طعامه فى أوقات منتظمة ، وكان يحدث أن يتعمدوا أن يجيئوا لى بطعام الغداء فى الساعة الخامسة بعد الظهر فى بعض الأحيان ، ويجيئوا بالعشاء فى الساعة الثانية صباحا . وفى أيام أخرى يجيئون لى بالغداء فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، ويجيئون بالعشاء فى الساعة الخامسة والنصف من نفس اليوم ! وكان اعتذارهم دائما أن السيارة التى يرسلونها لشراء طعام المسجونين مشغولة فى أعمال هامة ، أو انها تعطلت فى الطريق !

وكان يسعدهم أن يتحكموا فى كل شىء حتى فى الموعد الذى أغسل فيه وجهى ، أو فى الوقت الذى أذهب فيه الى دورة المياه ! فإذا طلبت أن أذهب إلى دورة المياه فى ساعة معينة ، لم يسمحوا لى بالذهاب إلا بعد سؤال عدد من المسئولين ، وكانوا يذكروننى بالتركى المفلس الذى وضع امامه عددا من القلل فى ميدان السيدة زينب ، وراح يأمر المارة العطاش أن يشربوا من هذه القلة ، ولا يشربوا من القلة الأخرى !

وكان ممنوعا على الحراس أن يكلمونى ، فإذا ضبطوا حارسا يتحدث الى وضعوه فى السجن ، وجاء وقت أحسست فيه أننى نسيت الكلام !

وفى أوائل أيام سجنى نمت على الأرض ، وكانت أرض الزنزانة التى يعذبوننى فيها من الأسفلت ، وكنت أشاهد أثناء نومى فأرا ضخما ، هو أكبر وأضخم فأر رأيته فى حياتى ، يسير على جدار السقف ذهابا وإيابا !

وانني أعتقد أنه فأر مدرب ، جاءوا به ليملأوا قلوب المسجونين بالفزع !

وعندما نقلت إلى الطابق الأعلى ، بعد انتهاء التعذيب ، لاحظت أن أرض غرفة نومي والصالون من خشب الباركيه ! ومن العجيب انهم كانوا إذا غضبوا على نقلوني إلى الزنزانة في الطابق السفلي لأنام على الأسفلت ، ثم أعادوني في اليوم التالي الى جناحي الخاص لأنام في السرير ! وأمضيت عدة أيام « طالع نازل » أنتقل بين الباركيه والسرير وبين الأسفلت الرطب بغير توقف !

وفي سجن المخابرات كان رئيس الحرس اسمه « على أمين » وتصور فزعي عندما استيقظت ذات صباح على صوت حارس يقول « تعال ياعلى أمين » تصورت انهم خطفوا أخي على من لندن ، ووضعوه في صندوق ، ونقلوه إلى سجن المخابرات . ثم حمدت الله عندما عرفت أن على أمين هذا هو رئيس حراس احدى الدوريات ! وكنت أشعر بسعادة غريبة بعد ذلك أن سمع اسم على أمين يتردد في السجن بالليل والنهار ، وفي بعض الأحيان كان الحراس يداعبونه وينادونه « يافكرة » !

ولقد استطعت أن أكتسب صداقة بعض الحراس وبعض الضباط في سجن المخابرات . كل واحد منهم يتلفت يمينا ويسارا قبل أن يقول كلمة طيبة ، أو يقوم لى بعمل انساني ! قال لى أحد الضباط أن الأوامر التي عندنا هي أن نحطمك ! ولكننا عجزنا عن تحطيمك . أن أعصابك القوية تذهلنا . ما الذى يجعلك بهذه القوة ؟ قلت ايماني بالله وثقتي ببراءتي !

والعجيب انهم رفضوا أن يسلموني المصحف الذى صحبته معي ! تصوروا أن كتاب الله سوف يقويني ! ونسوا أن هذا الكتاب في دمي !



دعوة إلى حفلة تعذيب !

سجن القبة
٣٠ يوليو سنة ١٩٦٥
صديقي العزيز ....

كنت ألح على المسئولين فى سجن القبة أن ينقلونى إلى أى سجن آخر ! أى سجن مدنى ! وكانوا ينصحوننى بمزايا البقاء فى السجن الحالى . كانوا يقولون أنه أفضل من أى سجن آخر . أفضل من سجن مصر وسجن القلعة وسجن الاستئناف ! هذه السجون مليئة بالبق والحشرات وكنت أقول لهم اننى أفضل البق والحشرات على زبانية السجن الحالى ، لقد انتهى تعذيبى بعد ٤٠ يوما . ولكن تعذيب الآخرين لم ينته بعد . كل ليلة أسمع صراخا وعويلا .. أصوات رجال تتلوى من العذاب ، وأصوات أطفال ونساء تعول وتئن أنينا يفتت الأكباد . لا أعرف هل هذه أصوات حقيقية ، أم هو شريط مسجل يديرونه طوال الليل ليحطموا أعصابى وأعصاب المسجونين معى .

لقد توطدت صداقتى ببعض الضباط ، فكانوا يصحبوننى للتفرج على بعض حالات التعذيب ، تماما كما يدعو الانسان صاحبه للذهاب الى مسرح أو سينما أو مباراة كرة قدم !

وذات يوم رأيت أحد هؤلاء الزبانية وهو يضرب شيخا مسكينا بعصا غليظة تشبه « يد المقشة » وكان ينهال على ظهره بالضرب المبرح . وكان يبدو على الجلاد سعادة وغبطة ، والشيخ المسحوق يتلوى أمامه من العذاب ، وانكسر العمود الفقرى للشيخ ، وانكسرت العصا ولم يتوقف الجلاد عن الضرب . طلب عصا أخرى .. وأغمى على الشيخ المضروب ، ورأيت الدم ينزف من فمه ومن كل مكان فى جسمه . وكان يقف بجواره طبيب . نعم طبيب ! وكان الطبيب يكشف على الشيخ المجروح وعلى قلبه ، ثم يقول « مازال يتحمل ! » ويستأنف الزبانية الضرب !

وانتهى الشيخ . لم يبق فيه مكان لم يجرح . تحول الشيخ كله إلى جرح واحد وأحسسنا جميعا أنه سيسلم الروح . ثم رأيت الجلاد يحيط كتفي بذراعه ويقول لى : تعال نذهب إلى غرفتك !

وفزعت ! لسعتنى يده وكأنها عقرب ، وسألته وكأننى أستغيث منه : لماذا تريد أن نذهب إلى غرفتى !

قال الجلاد ببساطة : لأصلى !

— تصلى ؟ هل تصلى بعد كل هذا ؟

وضحك الجلاد وهو يقول :

— دى « نقرة » ودى « نقرة » !

لا يمكن أن يقبل الله صلاة جلاد توضأ بدم الذين عذبهم ؟

ولكن للجلادين فلسفة غريبة ! أن الغرف التى يعذبوننا فيها يعلقون فيها لافتة كبيرة مكتوبا عليها « الله » !

. . . .

وأذكر ذات يوم وهم يعذبوننى ، ويخلعون ملابسى الخارجية ، ويجردوننى من ملابسى الداخلية ، ويشدون شعر جسدى ، وينزعونه بأصابعهم ، ثم ينهالون على ضربا وصفعا وركلا !

ان قلت لهم : هذا لا يرضى الله ؟

قالوا ضاحكين : . . . .

وذات مرة قلت لهم وهم يصلبوننى على الجدار : هذا ضد ميثاق حقوق الانسان الذى قررته الأمم المتحدة !

وقهقهوا ساخرين وقالوا :

— حقوق الانسان الذى قررته الأمم المتحدة ؟ لا يوجد فى هذا السجن أى شىء اسمه حقوق الانسان !

كانوا يتصرفون معي وكأنهم ملكوا الأرض ومن عليها . لا سلطان عليهم ولا سلطان الضمير ! كانوا يتفرجون على عمليات التعذيب وكأنهم يتفرجون على رواية مضحكة فى فرقة نجيب الريحانى !

وتجد بين هؤلاء الزبانية بعض الناس الطيبين ، ولكنهم يخفون طيبتهم وكأنها جريمة مروعة أو كأنها الاثم الكبير !

وفى غرفة التعذيب مرآة كبيرة جدا تملأ الجدران . ويجىء الزوار الكبار ويقفون خلفها ، ويتفرجون على عملية التعذيب ، دون أن يراهم الذين فى غرفة التعذيب .

وهذه المرآة أشبه بالمرارة التى يضعونها فى بيوت الدعارة فى أوربا ، حيث يستطيع السياح أن يشهدوا العمليات الجنسية ، بغير أن يراهم الذين يرتكبون الخطيئة داخل غرفة النوم !

كانوا على حق فى الاستعانة بهذه المرآة فى غرفة التعذيب ، فقد كانت عملية زنا بالعدالة !!! ..

 666



عفت ٩١

إلى سجن الاستئناف

سجن الاستئناف :

أول ديسمبر سنة ١٩٦٥ :

أحسست أنهم سينقلونني من سجن القبة إلى سجن آخر .. صدرت الأوامر بأن يخفوا عني هذا النبأ ، ولكنى استطعت بخبرتى الصحفية أن أعرف الخبر الذى أخفوه-!

وكتمت فرحتى بالخروج من هذا السجن الرهيب ، خشية أن يصدر أمر بمد اقامتى !

بل اننى شكرتهم على حسن الضيافة ! ضيافة التعذيب والتجويع والضرب والاهانة والتلفيق وشتم أمى !

ومازلت أذكر عندما انهالوا على ضربا وصفعا وصلبا ، وبقيت صامدا .. ولكنهم عندما قالوا لى أن أمى عاهرة وجدت نفسى أبكى كالأطفال

وذهل الزبانية وقالوا لى كيف لا تبكى ونحن نعذبك كل هذا العذاب ، ثم تبكى لأننا شتمنا أمك !

ولم يعرفوا كم أحب أمى !

واستعد سجن الاستئناف لاستقبالى يوم ٣٠ نوفمبر وكان من المقرر نقلى فى هذا اليوم ، وجمعت ملابسى ، وأعددت حقائبى . ولكن فجأة صدر الأمر بتأجيل نقلى الى اليوم التالى . ولم أعرف السبب . ولكن أحد أصدقائنا الحراس قال لى أن المخابرات تلقت أنباء مؤكدة بأنها تخشى أن تخطفنى طائرة هيلوكبتر !

وتقرر التأجيل حتى تعد الحراسة الكافية من بناء المخابرات بجوار سراى القبة الى سجن الاستئناف فى باب الخلق .

وجاء الضابط سيد زكى من المباحث ليصحبنى ، ووضعوا فى يدى القيود الحديدية . ثم وضعونى فى سيارة بوكس فورد مع عدد من الضباط الذين يحملون المسدسات ، وعدد من الجنود الذين يحملون المدافع الرشاشة . وأسدلوا ستائر سوداء على السيارة ونوافذها ، حتى لا يرانى أحد بداخلها ! وتقدمتنى سيارة نجدة ، فيها اذاعة تخطر الجهات المختلفة بتحركات الموكب ! وسارت خلفى سيارة فيها عدد من ضباط المخابرات وحرس الأمن التابع للمخابرات .

وبدلا من أن تسير السيارة فى الشوارع الرئيسية من القبة إلى باب الخلق ، اتجهت إلى عدد من الشوارع الجانبية والخلفية .. كل ذلك خشية أن يرانى الناس !!

وعجبت أن يذعر الظالم المدجج بالسلاح من المظلوم المجرد من السلاح !

أيكون الظلم يخيف الظالم أكثر مما يخيف المظلوم !؟

ووصلت الى سجن الاستئناف ، ورأيتهم قد وضعوا فوق سطح بناء المحافظة المجاور للسجن ، عددا من الجنود الذين يحملون المدافع الرشاشة .

وعندما وصل البوكس فورد الى باب سجن الاستئناف أصر ضباط المخابرات ألا أغادره فى الشارع ، وطلبوا أن يدخل « البوكس فورد » الى داخل فناء السجن ، ولا أنزل أمام باب السجن خشية أن يرانى أحد ! وحاول البوكس أن يدخل من الباب فلم يستطع وتكررت المحاولة عدة مرات ! وفى هذه الأثناء أخلى الجنود الشوارع المحيطة بالسجن من الناس ، وأخلوا حوش السجن من المساجين ، ولا أعرف لماذا يريدون اخفائى ؟ هل بلغت بهم السذاجة أن الناس سوف تتظاهر لى ؟ أن الرعب يملأ كل القلوب . الخوف عقل كل الألسنة . الارهاب أصاب الناس بالشلل .. لن يتحرك أحد من أجلى . كل ما سوف يفعله آلاف الناس أن يصلوا من أجلى .. ولكن حراسى يخيفون الناس وهم أشد منهم رعبا !

وعندما وصلت الى سجن الاستئناف . واختلطت بالمسجونين السياسيين وغير السياسيين قالوا لى أن السجن قائم على قدم وساق لاستقبالى منذ يومين .

وصدر الأمر للشاويش فتيحة والشاويش أحمد رجب ـ من سخرية القدر أن صديقى احمد رجب أصبح سجانى !! ـ صدر الأمر بإعداد زنزانة لى .

وصدر الأمر بأن تكون هذه الزنزانة بعيدة عن باقى الزنزانات . لا أحد فى الزنزانة التى على يمينى . ولا أحد فى الزنزانة التى على يسارى . وصدرت الأوامر المشددة بأن تغلق جميع الزنزانات الأخرى بالمفاتيح ، حتى لا أرى أحدا من المسجونين عند دخول الزنزانة ، وألا يرانى أحد !

وكانت التعليمات للسجانين ألا أتحدث مع سجين ولا يحدثنى سجين ، وأن أخرج الى دورة المياه فى الصباح ، فى صحبة شاويش وباشجاويش ، ويبقيا معى فى دورة المياه ، ثم يعودا بى إلى زنزانتى ، ويغلقا الباب بالمفتاح !

وصدرت الأوامر بألا يحدث هذا إلا بعد التأكد من أن جميع المسجونين داخل زنزانتهم !

وقيل لى أنه قبل وصولى صدرت الأوامر بأن أنام على « برش » على الأرض ، وتصرف لى بطانية واحدة .

وسمع المسجونون بذلك وثاروا . وقالوا أنه لا يمكن أن أنام على برش ، على الأسفلت ، بينما كل المسجونين السياسيين فى نفس الطابق ينامون على السرير !

وقيل لهم أن هذه هى الأوامر !

وفجأة وصل وكيل مصلحة السجون الى السجن وطلب أن يرى الزنزانة التى ستخصص لى ثم أصدر أمره بإحضار سرير جديد ، ومرتبة جديدة وأن توضع مائدة فى الغرفة وكرسى ولمبة كهربائية .

وذهل المسجونون والسجانون والضباط لهذه الأوامر الجديدة ، وذهلوا أكثر عندما وقف وكيل المصلحة فى زنزانتى يشرف على نظافتها ويأمر بأنه يجب أن تكون الزنزانة محترمة ولائقة !

ولم أعرف من الذى أصدر الأمر الأول أن أنام على الأسفلت ومن الذى أصدر الأمر الثانى بأن أنام على السرير !

وقال لى أحد الضباط هامسا أنه سمع أن الصحفيين الأجانب طلبوا أن يروا الزنزانة التى نقلوك إليها .. وأنه يخشى أن يكونوا وضعوا السرير حتى يراه الصحفيون الأجانب ، وبعد الزيارة سوف يسحبون السرير ، ويتركوننى أنام على الأسفلت .



رســالة
إلى الرئيس عبدالناصر

سجن الاستئناف :

في ٦ ديسمبر سنة ١٩٦٥

سيادة الرئيس جمال عبدالناصر

لم أفتح فمي ، ولن أفتحه أبدا . حتى لو وقفت على حبل المشنقة .. انني مؤمن بأنه إذا عرف الرأى العام العالمى جرائم التعذيب التى تعرضت لها ، فسوف تسىء إلى صورة بلادى ، وتخدم أعداءها ، هذه الصورة التى بذلت شبابى ودمي وأعصابى وحياتى من أجل أن تبدو أمام العالم في صورة الأمة المتحضرة المجيدة .. فلا أريد أن يكون السيف الذى كان في يد بلادى خنجرا يغمد في ظهرها .

ولكنني لا أكتب إليكم دفاعا عن نفسى ، وإنما أكتب إليكم دفاعا عن بلادى . فقد تبينت في الشهور التى أمضيتها في المخابرات ، أن هذا الجهاز ، في وضعه الحالى ، لا يخدم هذا البلد ، ولا يخدم هذا الحكم ، وإنما هو عصابة تضللكم وتكذب عليكم ، وتخدعكم ، وتزيف الحقائق وتلفق الأكاذيب وتخلق من الوهم قضايا . وأن عمل الجهاز الأساسى هو حماية أصحاب السلطان ، والبطش بكل شخص يتوهمون أو يخشون أن يكشف لكم حقيقتهم ، ويظهر أمامكم جرائمهم .

ولقد كنت قريبا منكم طوال ثلاث عشرة سنة ، وأعرف عن يقين ، أنكم تجهلون هذه الجرائم ولا تتصورون كيف أن أفراد هذه العصابة قد غرقوا في الشهوات والفساد واستباحة الحرمات والاستهانة بكل مبادىء الشرف ، والاستهتار بقواعد القانون . وانني أعرف أن فضحى هذه الحقيقة قد يكلفنى حياتى ، ولكنني أفضل أن يموت برىء واحد ، على أن يتعرض ألوف الأبرياء لما تعرضت له من تعذيب وتلفيق . بل انني أعتقد أن هذه

العصابة سوف تعرض هذا البلد الى كارثة كبرى ، فإن الجهاز لا يجيء للدولة بأسرار العدو ، وإنما هو يلفق الأكاذيب للمواطنين . وهو لا يحمى البلد ، وإنما يحمى بعض أصحاب النفوذ والسلطان .

فهذه عصابة توضع على عين هذا الشعب حتى لا يرى الجرائم التى يرتكبها هؤلاء المجرمون من أصدقاء صلاح نصر ومحاسبيه ومؤيديه . وقد يستطيع كل فرد فى هذه العصابة ببطشه وسلطانه أن يسكت كل فم يتحدث عن جرائمه ، ويقطع كل يد تشير إلى مفاسده ، ويحطم كل رأس يرتفع أمامه ، ويفقأ كل عين ترى استهتاره وتهتكه . ولكنه لن يستطيع الى الأبد أن يمنع الحقيقة أن تطل برأسها ، وأن تصل إليك وأن تفضح هذه العصابة . ولكنى أخشى أن تصل الحقيقة كلها بعد فوات الوقت ..

قبض على يوم ٢١ يوليو . ووضعوا فى يدى الحديد . وحملونى فى سيارة من الاسكندرية الى القاهرة . ووضعوا على عينى عصابة سوداء . وأدخلونى الى صلاح نصر فقال لى أن الرئيس هو الذى أمر بالقبض عليك لاتصالك بالأمريكى أوديل .

فقلت له أن اتصالى بأوديل لم يكن سرا عليك ، وأنت سألتنى من شهور عن أسماء الأمريكيين الذين أجتمع بهم من موظفى السفارة فذكرت لك أسماءهم جميعا ، وفى مقدمتهم أوديل . وطلبت منى أن أسأله عن بعض معلومات عن موقف أمريكا من مصر ، وجئت فى مكتبك هنا وأبلغتك ما قاله . وأخذونى الى زنزانة فى سجن المخابرات . نزعوا ملابسى . أصبحت عاريا تماما وجهوا الى مصابيح كشافة كادت تعمى عينى . وراحوا يضربوننى .. وصلبونى على الحائط وثبتوا كل يد فى قيد من الحديد بأعلى الجدار .. ثم راحوا يرفسوننى . وتقدموا ونزعوا بأيديهم شعر العانة .. واستأنفوا الضرب والصفع والرفس بالأيدى وبالأقدام وبالعصى . ثم فكوا القيد من يدى ، وربطوا جهازى التناسلى بسلك وجذبونى منه ، وداروا بى حول الغرفة عدة مرات . وفقد بصرى الرؤية . تحولت وجوه الزبانية الى أشباح ثم سقطت مغشيا على .

وأفاقونى ، وبدأوا يضربوننى من جديد ، ويشدون شعر بطنى وعانتى . وكان العذاب مريعا ، قاسيا ، ومع ذلك تحملته . ولكنى لم أحتمل عندما شتموا أمى وقالوا انها شرموطة عندئذ بكيت . ودهشوا أننى لم أبك من الضرب والتعذيب بينما بكيت عندما قالوا أن أمى شرموطة . ولم يشفقوا على حالتى المرضية . لم يشفقوا على سنى . لم يشفقوا على دموعى واستمروا فى اهانتهم وفى ضربهم وركلهم ولم يكن التعذيب يوما واحدا ..

لقد استمر أيام يوليو العشرة وإلى أواخر أغسطس . كل يوم أعرى وأضرب وأصلب وأتلقى الاهانات والعذاب ..

وقلت مرة لأحد هؤلاء الزبانية : هذا لا يرضى ربنا ؟

فإذا به يقول لى : ربنا محبوس فى الزنزانة اللى جنبك !

وكانت جريمتى عند صلاح نصر أنك رشحتنى مرة مديرا للمخابرات ، واننى أبلغك ما أسمعه من الأخبار والبرقيات التى أعلمها من السفارة الأمريكية . وتذكر سيادتك أنك قابلتنى فى بيتك بمنشية البكرى ، وسألتك هل صحيح أنك رشحتنى مديرا للمخابرات بدلا من صلاح نصر فقلت لى : انك أخبرت صلاح نصر وعلى صبرى بأنك تنوى تعيينى مديرا للمخابرات ..

قلت لك : رحت فى داهية !

قلت لى : ماتخافش ..

قلت لك : اننى لا أصلح إلا صحفيا فقط وأرفض أن أكون مدير المخابرات .

وسألتك مرة : هل أقول لصلاح نصر أخبار الأمريكان التى أقولها لك فلم توافق ..

فقلت لك : أخشى أن يقطع صلاح نصر رقبتى ..

فقلت لى : ماتخافشى ..

ولكن كان تخوفى فى محله .. فقد نفذ صلاح نصر ما هددنى به .

وقال لى الزبانية أثناء التعذيب أننى كنت أبلغك بأخبار المخابرات ورجال المشير الخاصة وبعض مسائل خاصة عن حياة المشير الخاصة . وأقسمت لهم أننى لم أفعل ذلك . ولكنهم لم يصدقوا .

وإننى أصبحت أشعر بأن المخابرات الاسرائيلية تسربت الى جهاز المخابرات المصرية مستغلة جهله وغروره . وقد قلت للزبانية فى أثناء التحقيق انكم تحققون لاسرائيل ما تريد أن تفعله ، أنتم تلفقون على قضية لأننى أنا الصلة التى بين الرئيس وأمريكا . وأنا أقوم بدور فى تخفيف حدة التوتر . فالمقصود بهذا هو أن يعزل الرئيس عن أمريكا ، حتى تنفرد أمريكا بإسرائيل . وبعد ذلك تضربنا اسرائيل . وتكون علاقتنا سيئة بأمريكا ، فلا تكرر ما حدث سنة ١٩٥٦ ، فقال الزبانية : نحن نعرف ما تفعله النملة فى اسرائيل !

فقلت لهم أن فضيحة لافون ، ان اسرائيل أرادت أن تعزل مصر عن أمريكا فأوعزت الى عملائها بإلقاء قنابل على المكاتب الأمريكية فى القاهرة

والاسكندرية ، ليتهم بها المصريون ، وبذلك تسوء العلاقات بين مصر وامريكا . فضحكوا وقالوا أن كل الذى أقوله لا يهمهم ، وإنما الذى يهمهم انني أقول أشياء للرئيس ضد المخابرات وضد رجال سيادة المشير ، فأكدت لهم أنني لم اقل أى كلمة للرئيس ضد المخابرات أو ضد المشير ولكنهم أصروا على ان معلوماتهم تؤكد ذلك .. وهددوني بأن صلاح نصر سيقتلني بالسم ، وقالوا أن لديه سما لا يمكن ان يكتشفه أى طبيب شرعي ف العالم .

وأخذني حمزة البسيوني إلى السجن الحربي ، وأدخلوني غرفة تعذيب سوداء بلا نوافذ واطلقوا على عددا من الكلاب البوليسية الهائجة ، كانت تهجم على وتمزق ملابسي ، وتركوني تحت رحمة الكلاب ودخل حمزة البسيوني وقال انه سيدفنني بالحياة هناك ، وأنه دفن بنفسه عشرات من الأحياء .. وقال أنه سيقتلني ف السجن الحربي ويقول انني هربت ..

ويخرج حمزة البسيوني وتدخل الكلاب ، وتتكرر عملية التعذيب ثم يدخل عملاق يرتدى ملابس الجلاد ، ويدور حولى وكانه يعاينني قبل تنفيذ حكم الاعدام ..

وبقيت ف عمليات التعذيب ، لا أعرف الليل من النهار ، وكان يغمى على ثم يحضر من يسعفني ثم يستانف التعذيب ..

وقال حمزة البسيوني أنه سيخرجني من هذا الجحيم إذا تعهدت أن أقول لصلاح نصر عن أسماء العصابة ، وراح يهددني بالقتل لأنني أتحدث عن رجال المشير ..

ونقلوني من السجن الحربي ف سيارة - معصوب العينين - إلى بناء المخابرات ، حيث بدأ الجحيم من جديد . جردوني من ملابسي ، صلبوني ، ضربوني ، كانوا يتفننون ف وسائل التعذيب ..

وهالني انهم لم يكونوا يعتبرون ما يفعلون جريمة يعاقب عليها القانون .

كانوا يجيئون بمتفرجين يشهدون عمليات تعذيبي .. شاهدني ضباط وحراس وعدد من المتهمين ف قضايا أخرى كانت تحققها المخابرات ف ذلك الوقت .. كانوا يتباهون بما يفعلون معي .. كانوا يتفاخرون بجرائم تعذيبهم ..

واحضروا ثلاثة حراس يلازمونني بالنهار ، وثلاثة حراس يلازمونني بالليل .. مهمتهم أن يمنعوني أن انام او أغمض عيني ، فإذا اغمضت عيني دفعوني بقبضة مسدساتهم حتى لا أنام .

عده ايام لم أذق فيها طعم النوم !! عدة أيام حرمت فيها من الطعام !!!
عدة أيام فى شهر يوليو وشهر اغسطس لم أذق فيها الماء .. واضطررت أن أشرب من البول .. واضطررت أن أشرب من ماء التواليت من شدة العطش . وكانوا يجيئون بكوب ماء مثلج ويضعونه على المائدة أمامى ، فإذا قدمت يدى لأتناول الكوب ألقاه الضابط على الأرض .

فإذا انكفأت على الأرض أشرب الماء ضربونى ومنعونى من الشرب أو رفسونى حتى أقع مغمى على .

ولم يكن اهتمامهم بالقضية أو التحقيق ، كل ما يهمهم المسائل النسائية . سؤال عن نساء معينات . سؤال عن سيدة معينة ، وهل كان بينى وبينها علاقة ، وهل قالت لى ان بينها وبين شخصية كبيرة فى الدولة علاقة ، وهل أخبرت الرئيس بما سمعته عن هذه العلاقة أو علاقات غرامية أخرى للشخصية الكبيرة .. ساعات طويلة .. أحاديث عن الجنس ، وعن أنواع النساء ، وعن مسائل لا يجوز أن يتحدث فيها رجل محترم ..

ولكنى كنت اذهل من اهتمام هذه الأجهزة بمثل هذه المسائل القذرة ، وبكل تفاصيلها وعندما أرفض أن أتحدث فى مثل هذه المسائل القذرة يتهمنى الزبانية أننى غير متعاون ويهددوننى بالتعذيب لأننى لا أريد أن أقول لهم عن اسم أدوية يتوهمون أننى أستعملها فى العلاقات الجنسية ..

وقال لى احد الزبانية مرة : أننى سأحضر الى هنا سكرتيرتك وبناتك ، وسأترك العساكر يعتدون عليهن أمام عينيك ..

وفعلا أحضروا سكرتيرتى فى الليل الى غرفة بجانب الغرفة التى كنت بها ، وجعلونى أسمع بأذنى صراخها ، وسمعتهم يهددونها بإحضار بناتها والاعتداء عليهن أمامها .

وكنت أسمع طول الليل أصوات أطفال يضربون بالسياط ويبكون ويتاوهون ويصرخون ، ثم اسمع أصوات استغاثة من الزنزانات وبكاء وصراخ وسياط تضرب ، وعصى تحطم الظهور ..

فإذا توسلت إليهم أن ينقذونى من هذه الأصوات ، قالوا لى انك فقدت عقلك ، وأنه لا توجد أصوات ، وأنك تتخيل اشياء لا وجود لها . ثم جاءوا بمن يشهدون أنه لا يوجد أى صوت .

ثم بعد ذلك يستأنفون اخراج هذه الأصوات المرعبة التى تحطم الأعصاب .

ولم أتحمل كل هذا التعذيب ، وتوسلت الى أحد الزبانية أن يعطيني مسدسا أقتل به نفسي ، ولكنهم لم يرحموني .. واستمر التعذيب كل يوم .. لم أعد أعرف متى يبدأ ومتى ينتهي .. كنت أفزع كلما سمعت صوت أقدام تقترب من زنزانتي . كان معنى اقتراب الأقدام أن الزبانية جاءوا ليأخذوني ويصلبوني من جديد .

وصحبوني الى غرفة التعذيب ، وشاهدت بنفسي عمليات تعذيب مفجعة لأشخاص لا أعرفهم .. وجاء أحد الزبانية وقال لى أن هناك سبع عمليات للتعذيب ، وأن كل ما تعرضت له هو العملية الأولى . وهددني بأنني اذا لم أكتب ما يريدون فإنني سأمر على العمليات السبع كلها .

وجاءت النيابة واستمر التعذيب .. كانوا يضربونني قبل التحقيق وبعد التحقيق ، بل ويحدث أحيانا أن يأخذوني أثناء التحقيق الى غرفة مجاورة ويضربوني ، ثم يعيدوني لاستئناف التحقيق .. والغريب أنني لم أستطع أن أنفرد بوكيل النيابة لحظة واحدة .. كان ثلاثة من ضباط المخابرات يحضرون كل تحقيق . وكانوا يجلسون أمامي وورائي ، فإذا لم يعجبهم كلامي زغدوني ، وأشاروا لى ، أو سحبوني خارج الغرفة وضربوني وأعادوا التحقيق ..

وفي نهاية التحقيق أحضروا أشرطة قالوا انها بصوتي ، وعرفت على الفور أنها ملفقة فقد قاموا فيها بعملية مونتاج ، فغيروا وبدلوا وعكسوا ، ونقلوا وحذفوا .. وعلى الفور اكتشفت عملية التزييف .. وشاء الله أن تظهر حقائق واضحة تثبت التزييف . وأردت أن أظهر هذه الأدلة ، فأخذوني وضربوني وعلقوني من جديد ، ومنعوا عنى الطعام ، ومنعوني من النوم ومن شرب الماء والتدخين ..

وكان الزبانية يهددونني ويقولون لى لو فتحت فمك عن التعذيب في المحكمة ، أو أمام أى أحد فسنقتلك .. وسنصدر قانونا بمنع المحامي أن يذكر أن هناك تعذيبا يسمح بالطعن في الأدلة التي نقدمها ..

وكنت أنتقل ذهابا وإيابا بين غرفة مريحة فيها سرير وطعام وماء ، وغرفة تعذيب أعلق فيها على الحائط .. إذا كتبت ما يريدون فإنني أستطيع أن أنام على سرير ، وأن آكل ، وأن أشرب الماء ، وإذا رفضت أن أكتب ما يريدون بدأت عملية التعذيب من جديد .

انني أعرف أن أعضاء هذه العصابة أقوياء . وأعرف انهم استطاعوا أن يحطموني وأن يلوثوني ، وأن يلفقوا لى هذه القضية ، وأن يدوسوني بأقدامهم وأن يمنعوني من أن أرفع صوتي للدفاع عن نفسي ، ولكنني أعرف أن الله أكبر منهم جميعا ..

د رأيت مرة أحدهم وهو يهددنى بالموت وفوقه لوحة معلق فيها كلمة
» ..
لت له : لقد رأيت من قبل صورة المسيح مصلوبا ..
كن هذه أول ....
كن هذا ليس مهما ..
هم أن تعلم ياسيادة الرئيس أن هذا الجهاز هو جهاز فاسد .. وأنه
بالجرائم ، وأنه يلفق التهم ، وأنه يعمل لتضليلك ولخداعك وللكذب
، وأنه يخفى عنك الحقائق ، وأن مهمته أن يلوث كل من يتصور أنه
ل لك فى يوم من الأيام حقيقة الفساد ..
نى اخترت من تثق به ليسلمك هذا الخطاب ، راجيا أن تحقق بنفسك ،
ى تنقذنى ، فقد يكون الوقت قد فات ، ولكن لكى تنقذ مصر والمصريين
هذه العصابة .
أرجو لك التوفيق فى هذه المهمة الصعبة .
ل ما أتمناه عندما تتبين هذه الحقيقة ، أن تترحم على لو كنت ميتا ..
ن تذكرنى لو كنت حيا ..

مصطفى أمين

محاربة الزبانية بالضحك

سجن الاستئناف :
أول سنة ١٩٦٦ :
صديقى العزيز ....

ذات يوم قيل لى فى سجن « القبة » أنهم سيعطوننى ورقا وقلما ، وأننى أستطيع أن أكتب ما أشاء !

وفرحت كأنهم أفرجوا عنى !

ثم اكتشفت أنهم سيعطوننى قلمى فى فترة كتابة الخطاب فقط . وتضايقت لأننى كنت أتمنى أن أستطيع أن أكتب من وقت إلى آخر .. ثم أقنعت نفسى بأن الطشاش خير من العمى .. وجلست وكتبت خطابا مطولا من أربع صفحات .

ثم علمت أنهم كانوا يكذبون على ، وأنهم لم يرسلوا الخطاب . وهذا آلمنى ألما شديدا !

وفى مرة أخرى كذب على الضابط ، وأقسم بشرفه ، أن على عاد يكتب فكرة فى الأهرام .. وسررت بذلك جدا .. ثم جاءت الصفحة الأخيرة من الأهرام وقد لفوا فيها طعمية لأحد الحراس ، وألقوها فى التواليت ، وذهبت إلى التواليت ، وأخرجت الصفحة ، ورحت أنشفها ، ثم وجدت أن فكرة غير موجودة !

وكنت أمضى وقتى ألعب بالكوتشينة لعبة الصبر ، كنت أبدأ لعب الكوتشينة من الساعة السابعة صباحا ، وانتهى منها فى الساعة التاسعة ، ما عدا فترات كنت أتمشى خلالها ذهابا وإيابا فى غرفتى . وكانت التعليمات تجىء بألا اقترب من النوافذ ، حتى لا أرى من يدخل ومن يخرج . وكان الحراس بقرب النوافذ لمنعى من الاقتراب ، ولكن أحمد الله على طول قامتى ، فبفضلها كنت أستطيع أن أرى كل الخبايا ،برغم أننى لا أطل من الشبابيك !

ومن الطريف أن جميع الحراس تعلموا منى لعبة الصبر ، وانتشرت انتشارا هائلا فى السجن ! ولكن كانت العقبة أنه توجد كوتشينة واحدة هى التى أملكها ! وقد تهرأت الكوتشينة ، واضطررت إلى عمل عمليات جراحية فيها لترميمها ، ولصق ورق خلفها لأن بعضها تمزق ، وكانوا يقسمون بشرفهم كل يوم أنهم سيحضرون لى كوتشينة جديدة .. ولكنهم لم يفعلوا ذلك أبدا ! وعاشت هذه الكوتشينة معى كل تلك الشهور ، وأردت أن آخذها معى إلى سجن الاستئناف ولكنهم أخذوها منى يوم دخولى ، وأعادوها مع الملابس ، وأنا لا أرغب فى أن ألعب لعبة الصبر الان . فقد كنت محتاجا إليها عندما كانوا لا يسمحون لى بكتاب أقرؤه ، أو جريدة أو مجلة أطلع عليها . حتى القرآن رفضوا أن يعطوه لى ، إلى أن أعطانى أحد وكلاء النيابة مصحفا صغيرا .

ومن متاعبى فى ذلك الوقت الصابون . كانوا يصرفون لى صابونة بعد طلوع الروح . ولكن ما يلبث الحراس أن يقترضوا منى الصابونة ! .. والآن الصابون كفاية .

وكان يضايقنى فى تلك الأيام الغسيل ! وقد تركونى مرة فى شهر أغسطس ارتدى قميصا واحدا سبعة أيام ! حتى تحول لونه الأبيض إلى لون رمادى غامق . وكانوا يعتذرون بأن السيارة التى يرسلونها إلى المكوجى لاحضار المكوى مشغولة فى أعمال هامة !

ومع أن ملابسى كلها كانت موجودة عندهم غير أنهم كانوا يرفضون أن يعطونى قمصان أفرنجى كافية لارتدى قميصا كل يوم ، وتركوا لى مرة جوربا واحدا ، ومكثت شهرا كاملاحافيا ، ارتدى الشبشب واكتفيت بأن ارتدى الحذاء فى المناسبات الرسمية !

أما الان فإن أسرتى تتسلم غسيلى من السجن كل صباح .

وكان الطعام سيئا فى أول الأمر ، ولكنه أحسن كثيرا من الأيام التى أمضيتها بغير طعام على الاطلاق !

وبعد ذلك كانوا يحضرون لى ربع فرخة وجبن روكفور . فى الغداء ومثلها فى العشاء ، فى أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وفى أيام اللحم يحضرون لى نصف رطل كباب . وكان لربع الفرخة لون غريب ، حتى ظننت أنه جاء من المتحف المصرى لا من مطعم ، فقد كانت الفرخة محنطة كأنها مومياء أحد قدماء المصريين ! .

وكنت اكتفى فى بعض الأحيان بأكل العيش والجبن !

أما اللحم فإن أغلبها كفته ودهن وفيها قطعة لحم واحدة سليمة !

ولم يحضروا لى أى فاكهة من يوم أن دخلت إلى يوم أن خرجت !
ولقد كانت أمنيتى أن يسمحوا لى براديو !
وكانوا يعدوننى كل يوم بإجابة سلبى !
ولكننى لم استلم هذا الراديو الموعود ، على الرغم من الحلف والايمان التى كنت اسمعها صباح مساء !
والان فى سجن الاستئناف راديو ليسمعه المسجونون جميعا .
ولم يكن مسموحا بالكلام فى سجن المخابرات .. حتى أن أحد المشرفين واسمه أحمد عاشور جاءنى يقول إن التعليمات صدرت بألا أتكلم مع أحد ، ولا أحد يكلمنى ، حتى أننى إذا قلت له صباح الخير ، فهو يأسف جدا لأنه لن يستطيع الإجابة !
ومع هذه التعليمات المشددة ، أخذت استدرجه ، وادحرجه ، حتى أوقفوه عن العمل ١٥ يوما لكثرة كلامه !
وجرى مرة تحقيق مع أربعة حراس . لأن الضابط ضبطنا فجأة ونحن نضحك !!!
وكان سين وجيم . ومحاضر تحقيقات ، واختلق الحراس بأنهم كانوا يضحكون على نطق أحد الحراس لأنه بورسعيدى !
ومع ذلك خصم السجن مرتباتهم كلهم ! ولم أكن أعلم أن الضحك أصبح ممنوعا فى بلادنا !
وحدث أن كان هناك حارس ثقيل جدا . يرعب المسجونين ، وهو من أقاصى الصعيد اسمه « سيد » .
وأطلقت عليه إشاعة أنه كان فى بلدهم ومرض فأرسل إلى مدير السجن برقية يقول . « ملازم الحصيرة لا أستطيع الحضور » . ولم يكتب فى البرقية « ملازم الفراش » لأنه ينام فى بيتهم على حصيرة !
وسرت هذه الحكاية فى السجن ، وأصبح سيد هذا أضحوكة بدلا من أن كان شيئا مرعبا !
ورويت عنه مرة حكاية أخرى ...
وهو أنه سافر إلى باريس فى مهمة ..
وبينما هو يسير فى الشانزليزيه رأى ميزانا مكتوبا عليه « إذا دفعت فرنكا ووقفت فوق الميزان يقول لك الميزان من أنت ومن أى بلد أنت ... وإلى أين أنت ذاهب .. »
ودفع سيد فرنكا ووقف على الميزان !
وقال الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة أبو جرج فى مديرية

المنيا .. ومسافر الليلة إلى مصر فى الساعة الثامنة بالطيارة . وذهل سيد ..
وترك الميزان ، واشترى قبعة ، وارتداها فوق رأسه ووقف على الميزان ودفع فرنكا ..
وقال الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة أبو جرج فى مديرية المنيا ومسافر الليلة فى الساعة الثامنة بالطيارة ..
وذهل سيد ... وذهب إلى الفندق وقرر أن يتنكر ، فوضع فى وجهه لحية كبيرة ، وعلى عينيه نظارة سوداء ، وغير فى ملامح وجهه ، وأبدل بذلته وعاد إلى الميزان ، ووقف عليه ، ودفع فرنكا .
وقال الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة أبو جرج فى مديرية المنيا ومسافر الليلة إلى مصر فى الساعة الثامنة مساء .
وزاد ذهول سيد ..
وقرر أنه لابد من خديعة الميزان ، فارتدى ملابس سيدة ، ووضع على رأسه باروكة ، وذهب إلى الميزان ، ووقف عليه ، ووضع فرنكا .
وصاح الميزان : أنت اسمك سيد فلان الفلانى من بلدة جرج فى مديرية المنيا .. وإذا مابطلتش مسخرة يا ابن الكلب راح تفوتك الطيارة المسافرة إلى مصر !
ومشت الحكاية فى كل السجن .. وكلما اقترب من زنزانة صاح فيه مسجون :
— احكي لنا يا سيد حكاية الميزان !!
وهنا يطلق سيد ساقيه للريح !!
وهكذا ترى أننى كنت أقاوم العذاب والوحدة والارهاب بالسخرية والضحك وكانت ضحكاتي وسخريتي تذهل الحراس . وكانوا كلهم يحبوننى ، ويعرضون أنفسهم للعقاب وللتأديب وللسجن ، برغم التعليمات المشددة القاسية ، والرقابة المتوالية بالليل والنهار !
وعندما جئت إلى سجن الاستئناف ، وكانوا يغلقون على الزنزانة ثلاثا وعشرين ساعة ونصف ساعة كل يوم لم أتضايق .. لقد كانت محروما عدة شهور من أن أكون وحدى ! اذهب إلى التواليت مع حارس ، وأتناول طعامى فى وجود الحراس ، وأنام فى حضور أربعة حراس !
وعندما اقفلوا على باب الزنزانة ، وشعرت لأول مرة أننى وحدى فى غرفة ، غرفة خاصة بى ، وخلف باب مغلق ، حمدت الله على هذا البلاء الذى يشكو منه كل الناس ، ولكنه كان جنة الله بالنسبة للشهور السوداء التى أمضيتها فى سجن المخابرات والسجن الحربى .

وفى بعض الأحيان كنت اشعر اننى تعرضت لهذه التجربة بصفتى صحفيا ! واننى صحفى منتدب لعمل تحقيق فى حياة لم يعرفها احد مثل معرفتى لها ، ولقد كنت انسى اننى الضحية ، وامضى وقتى اتفرج ، وأشاهد ، وابحث ، واراقب ، وادرس . كاننى جئت لى مهمة صحفية تقتضى أن اكتشف دنيا جديدة مجهولة ، لم يعرفها صحفى من قبل ، ولم يكتب عنها صحفى قبلى . وبرغم الحراسة الشديدة والرقابة الشديدة ، استطعت ان افهم كل شىء ، وان أرى كل شىء ، وان احس بكل شىء .. ولقد كنت قبل ذلك اتصور اننى صحفى اعرف كل ما يجرى ، ثم اكتشفت بعد ذلك أننى صحفى حمار ، واننى عشت فى عالم آخر ، مختلف عن العالم الذى تحت الأرض ، الذى اتيح لى فى خلال الشهور الثمانية والنصف أن اعيش فيه . ولو أن أحدا روى لى ما رأيت ، لما صدقته أبدا . ولو أن كاتبا وصف ما لمسته بعينى ، لتصورت انه يبالغ ويتخيل خيالات . ولقد كان من الواجب أن أسجن ، وأن اعيش هذه الحياة العجيبة الغريبة المذهلة . وأن أرى الوانا من البشر والناس لم اتصل بمثلهم ، ولم اعرف أنهم موجودون فى هذه الحياة ، ان سياسة الاستفادة من الكوارث فعلا هى سياسة حكيمة جدا .

واننى اعترف اننى استفدت كثيرا مما حدث لى ...

● ● ●

الجنـــة .. سـجن !

سجن الاستئناف :
١٥ يناير سنة ١٩٦٦
عزيزى ..

سجن الاستئناف هو الجنة بالنسبة لجحيم السجن الأول أو السجن الحربى .

منذ أيام نقل الاميرالاى محمد يوسف المتهم فى قضية حسين توفيق من السجن الحربى إلى سجن الاستئناف . فوجىء المسجونون برؤية الاميرالاى محمد يوسف يركع ويقبل أسفلت سجن الاستئناف ! لقد فرح الضابط الكبير بالخلاص من عذاب وتعذيب اللواء حمزة البسيونى مدير السجن الحربى ! إن كل ما قرأته عن سجن الباستيل أقل كثيرا مما رأيته فى السجن الحربى . حيث تهدر الكرامات ، ويداس الرجال بالأقدام ، ويقتل المتهم من التعذيب ويدفن فى الظلام فى صحراء مدينة نصر ، ثم يعلن مدير السجن أن المتهم قد فر من السجن ، ويطالب بسرعة القبض عليه !

أليس غريبا أن تصبح الجنة هى زنزانة ؟ ولكن كل زملائى هنا الذين جاءوا من سجن المخابرات فى القبة أو السجن الحربى يقولون أن كل العذاب الذى نلقاه هنا فى سجن الاستئناف هو نعيم بالنسبة لهوان سجن المخابرات أو السجن الحربى !

هنا لا يصلبوننا على الجدران ، ولا يسلطون الكلاب البوليسية الضخمة تحاول أن تنهشنا ، وتثير فينا الفزع والرعب !

هنا نحرم من الحرية ولا نحرم من الأدمية ! وعندما نقلونى من سجن المخابرات إلى سجن الاستئناف فوجئت بهم ينقلوننى فى موكب مسلح . جنود يحملون المدافع يقفون فوق أسطح المنازل يحمون الطريق ! السيارة

البوكس فورد التى وضعونى فيها وسلاسل الحديد تقيد يدى ، السيارة مسدلة الستائر ! لقد شاع أن طائرة هيلكوبتر ستهاجم الموكب وتخطفنى ، ولهذا اتخذت هذه الاحتياطات العجيبة ! ..

ما أسخف عقول هؤلاء الخائفين ! أليس من العجيب أن مسجونا مقيدا فى الاغلال يخيف دولة ؟

لقد لاحظت أنهم يضعون الان أسلاكا شائكة فوق جدار سجن الاستئناف ، وأنهم يشددون الحراسة . وسألت فى ذلك العقيد القطشة مدير السجن فقال لى أنهم يخشون أن أهرب !

فقلت له أننى لن أهرب ! اننى أريد أن ابقى فى السجن وأثبت أنى برىء !

قال لى أن كل مسجون فى السجن يفكر فى الهرب !

أنا شخصيا لن أهرب . وقد عرض على عدد من المسجونين أن يدبروا لى خطة للهرب من السجن . ولكنى رفضت . لأننى أريد أن أواجه العدالة لا أن أهرب منها . ولكن هل التقى بالعدالة ؟ أظن ! لقد قالوا لى فى المخابرات وهم يحققون معى ، وقبل أن يقرروا أدانتى ، ان الذى سوف يحاكمنى هو الفريق الدجوى الذى لم يصدر حكما واحدا فى حياته ، وأن الأحكام التى يصدرها تكتب له فى مكتب سامى شرف ، وتملى عليه بالتليفون ، وينطق بها كالببغاء ! ومادام أصحاب الشان قد اختاروا لى الفريق الدجوى ليحاكمنى ، فإنهم اختاروه ليحكم علىّ ! وكثيرا ما كان يقول « أنا لست قاضيا انا حامى نظام ! » . وأنا أعرف أن الدجوى هو « مهداوى صغير » وأن محاكماته أشبه بمحاكمات المهداوى فى بغداد ، هذه المحاكمات الهزلية التى داست على العدالة بالاقدام !

وأجلس فى زنزانتى وأتساءل هل ستجد العدالة انصارا أم أنها وضعت معى فى زنزانة واحدة ؟ وهل أصبح الناس يخافون أن يعلنوا صوت الحق ، وهل تبقى الحقيقة إلى الأبد مقيدة بالسلاسل والاغلال ؟ وهل بقى حول الرئيس من يستطيع أن يحمل كلمة الحق ، أم أنهم خافوا وأصيبوا بالرعب ، بعد أن رأوا رأس الذئب الطائر ! أخشى ما أخشاه أن ماجرى لى سوف يجعل الكثيرين يخاون أن يقولوا الحقيقة للرئيس ! إن كل ما أخشاه أن يحدث لغيرى ما حدث لى . أن يلفق لأبرياء غيرى كما لفقوا لى . والا يجد غيرى ماوجدته من عطف الناس وحبهم وثقتهم بى التى لم تزعزعها الاتهامات الملفقة وطبول الأكاذيب المدوية !

لا أنسى ذات يوم اتصل بى رئيس تحرير فى إحدى صحفنا الكبرى .

وقال لى أن الدكتور عبدالقادر حاتم نائب رئيس الوزراء لشئون الاعلام اتصل به تليفونيا فى مكتبه وطلب إليه أن يترك عمله على الفور فى الجريدة ويلازم بيته .

وسألته ماذا فعل حتى يستحق هذا العقاب .

وفوجئت به يقول أنه فى ذهول لأنه لم يعمل أى شىء !

واتصلت بالدكتور عبدالقادر حاتم وسألته عن سبب هذا القرار الذى يعنى الحكم على صحفى شاب بالاعدام ؟

فقال لى الدكتور حاتم أن الرئيس عبدالناصر اتصل به فى الصباح المبكر وأمره أن يبلغ الأستاذ (...) أنه أوقف عن عمله ويجب أن يلزم داره ، ولم يقل الرئيس له عن سبب هذا القرار !

وبعد أيام كنت على موعد مع الرئيس جمال عبد الناصر فى بيته وتحدثنا فى بعض الموضوعات ، ثم سألته عن سبب وقف الأستاذ (...) ...

وامتقع وجه الرئيس وقال لى غاضبا : لا تحدثنى فى هذا الموضوع . لقد أصدرت قرارا لا رجوع فيه . إنه لن يعمل فى الصحافة بعد الان !

قلت له يا سيادة الرئيس هذا الشاب تلميذى ويهمنى أن أعرف فقد تكون وشاية كاذبة .. قال الرئيس فى حزم : إنها ليست وشاية كاذبة إنها جريمة مؤكدة .

قلت : ماذا فعل ! ؟

قال الرئيس : إنه يؤلف جمعية لتبادل الزوجات !!

قلت : هذا مستحيل ! إننى أعرفه منذ ١٥ سنة . وفيه عيوب مثل أنه مسرف ، ويستدين كثيرا . ومضطرب ماليا . وله غراميات ولكن هذا العيب ليس فيه على الاطلاق .

قال : إن عندى مستندات ! عندى عقد تأليف جمعية تبادل الزوجات وقد ثبت أنه بخط يده !

وهنا دخل رجل متجهم الوجه أسمر اللون متقدم فى السن يحمل لنا الليمون المثلج ، فالتفت إلى الرئيس وقلت له : ـ إن هذا الرجل أجمل كثيرا من زوجة الأستاذ (...) ، فمن يقبل أن يبادل زوجته فى مقابل هذه الزوجة غير الجميلة .

فقال الرئيس : هذه مسائل لا أفهم فيها ولكن المخابرات أكدت أن هذا توقيعه وخطه .

قلت للرئيس : إن الغرض من كتابة العقد فى القانون أنه إذا اختلف المتعاقدان يلجأ أحدهما أو يلجأ المتعاقدان إلى المحاكم للفصل بينهما . فمن

هو الزوج الذى يقبل أن يلجأ للقاضى ليطلب إليه أن يأمر زوجته بأن ترتكب الفحشاء مع رجل آخر ! إن التعاقد على أى شىء مناف للأخلاق يبطل العقد نهائيا .

قال الرئيس : إن هذه أمور قذرة لا أفهم فيها ، ولكن المؤكد أنه كتب عقد جمعية تبادل الزوجات ووقع عليه !

قلت للرئيس : أرجوك أن تختار بنفسك خبيرا للخطوط ، فإذا قرر هذا الخبير أن هذا خط (...) ، فلا يعتزل العمل الصحفى فقط بل اعتزله أنا أيضا .. .

قال الرئيس : وما ذنبك أنت ؟

قلت : أنا الذى علمت هذا الشاب ، وأنا الذى رشحته رئيسا لتحرير هذه الجريدة ، فأنا المسئول عن هذه الفضيحة .

وبعد أربعة أيام التقيت بالأستاذ (...) وأبلغته ما سمعت عن حكاية تبادل الزوجات فأكد أن الحكاية مختلقة من أساسها ، وإن كل ما هناك أن أخت ملحق عسكرى فى أوربا تحبه ويعشقها أحد المسئولين ، وأنهم طلبوا منه قطع علاقته بهذه الفتاة ولكن الفتاة أصرت على التردد عليه ..

وأخبرت الرئيس بما سمعت فطلب منى ألا أتكلم فى هذا الموضوع وسيتولى هو التحقيق .

وبعد حوالى خمسة أشهر اتصل بى الرئيس عبدالناصر تليفونيا وقال إنه أمر بعرض الوثائق على خبير للخطوط اختاره ، وأنه ظهر أن هذا ليس خط (...) ، وأنه أمر الدكتور عبدالقادر حاتم بإعادته إلى وظيفته كرئيس للتحرير !

وقلت للرئيس : وماذا ستفعل سيادتك فى الذين لفقوا هذه التهمة !

قال الرئيس : يكفى أننى أعدته لك رئيسا للتحرير !

قلت : إنك لم تعده لى .. إنك أعدته لجريدة منافسة .

قال الرئيس : أترك لى هذه المسائل !

وأتصور أن هؤلاء الملفقين لم يعاقبوا ، وأن أحدهم اشترك فى تلفيق قضيتى !

ترى هل أجد رجلا بجانب الرئيس يجرؤ على أن يقول له الحقيقة عنى كما قلتها عن الأستاذ إبراهيم .. أم تكون قضيتى هى قضية تبادل زوجات أخرى ؟!!

أخشى أن ما حدث لى سوف يجعل الكثيرين من المقربين يترددون ألف مرة ، قبل أن يقولوا الحقيقة ، ولعلهم تعلموا مما حدث لى أن من يقول

الحقيقة سوف يقطع رأسه ! وقد قلتها وقطعوا رأسى !

ويظهر أن لأحد الأشخاص مصلحة فى تلفيق التهم والأكاذيب على الصحفيين واحدا واحدا ، حتى يجيء يوم لا يبقى فى مصر سوى صحفى واحد !!

إننى مازالت عند رأيى فى أن ما حدث لمحمود أبو الفتح ولحسين أبو الفتح ولأحمد أبو الفتح ليس قضية وإنما مكيدة ، وإنه نقل على لسانهم إلى الرئيس كلاما لم يقولوه ، ونسب إليهم نوايا هم أبرياء منها . إن كل جريمتهم أنهم يطالبون بالحياة البرلمانية والديمقراطية ، وهذا أمر لم يخالفهم فيه أحد ، وإنما كان الخلاف هو هل الحياة الديمقراطية قبل الجلاء أم بعد الجلاء !

وإحسان عبدالقدوس لفقت له تهمة كاذبة . ووضع فى السجن الحربى ، وضرب . ثم أفرج عنه بعد حوالى أربعين يوما !

وموسى صبرى شوهت صورته لدى الدولة ، وصدر قرار بوقفه عن العمل ، ومنعه من الكتابة لأنه انتقد « تسريحة مذيعة فى التليفزيون » وقيل فى تبرير هذا العقاب الغريب أن المذيعة زوجة ضابط !

وعندما علمت الدولة بأننى أمرت بصرف مرتب موسى أثناء وقفه عن العمل قامت الدنيا وقعدت ، وبذلت جهودا جبارة حتى لا يموت موسى صبرى من الجوع !

واليوم علمت بأنه صدر أمر عقب القبض على بوقف صرف مرتبى وبمنع صرف مكافأتى ، وبمنع صرف الواحد والعشرين يوما التى كنت أعمل فيها بأخبار اليوم قبل القبض على !

ويظهر أنه أصبح تقليدا أنه لابد أن يموت كل صحفى كبير من الجوع !

وأذكر أنه فى أواخر عام ١٩٦٠ أمر الرئيس جمال عبد الناصر بمنحى أجازة أنا وأخى من أخبار اليوم ، وعين السيد كمال رفعت رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم .

وكتب أنيس منصور فى يومياته فى جريدة الأخبار أن أحد الولاة فى سوريا ضاق بثناء الناس على علم وفضل قاضى قضاة دمشق ، فأمر بعزل قاضى القضاة ، وتعيين حمار الوالى قاضيا للقضاة ! وذهب الحمار إلى المحكمة وأحنى الناس رؤوسهم للقاضى الجديد !

وجاء سكرتير تحرير « الأخبار » ووضع صورة الرئيس عبد الناصر فى مقال أنيس !

وفى نفس اليوم - يوم صدور المقال صدر أمر بطرد أنيس من أخبار اليوم ، ووقف مرتبه ، ومنع صرف أى معاش له ، ومنع أية مطبعة من طبع أى كتاب له ، ومنعه من الاذاعة والتليفزيون ، ومنعه من أن ينشر مقالات فى أى جريدة خارج مصر . وملخص القرار العجيب أن يموت أنيس منصور جوعا !

واقتسمت أنا وعلى أمين مرتبنا مع أنيس منصور لمدة عام ، وهو عام الفصل !

وانتهزت فرصة رضاء الرئيس عبدالناصر على ، وتعييني رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال وطلبت من الرئيس أن يعمل معى أنيس فى دار الهلال . ووافق الرئيس بسهولة عجيبة !

وفوجئت بعد أسابيع بالدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ، يتصل بى تليفونيا ، ويقول لى بصوت حزين أنه صدر قرار جمهورى بوقف أنيس منصور !

وسألته عن السبب ، فقال إنه لا يعرف .

ثم عاد الدكتور حاتم بعد ساعة واتصل بى تليفونيا ، وسألنى هل العدد المطبوع من المصور فيه مقال لأنيس منصور ؟

فقلت له أن عدد المصور طبع فعلا وفيه مقال لأنيس ، فطلب الدكتور حاتم وقف الطبع ، وإعدام النسخ التى فيها مقال أنيس منصور .

وكلف هذا دار الهلال بضع مئات من الجنيهات .

واتصلت بالرئيس عبدالناصر أطلب مقابلته - .. ولكن محمد أحمد سكرتير الرئيس قال إن الرئيس مشغول ..

وفهمت أن الرئيس لا يريد مقابلتى !

وبعد أيام قليلة اتصلت بالرئيس فى رقم تليفونه فى مخدعه . وأجابنى الرئيس ، فطلبت منه أن يتفضل ويحدد موعدا لى ، وقال لى الرئيس : - بشرط ألا تحدثنى فى مسألة أنيس منصور !

وقبلت هذا الشرط مرغما . وذهبت إلى بيت الرئيس وتحدثت معه فى كل مسألة أخرى إلا مسألة أنيس !

وإذا بالرئيس يقول لى : إن أنيس منصور يشتم رئيس الجمهورية !

قلت : إننى أرى أنيس كل يوم ، وهو يسهر فى بيتى كل ليلة . ولم أسمعه يشتم رئيس الجمهورية !

قال : عندى تقارير تؤكد هذا .. أنه ليس تقريرا واحدا بل ٤ تقارير من ٤ جهات !

قلت : أليس غريبا ياريس أن أربع جهات تقدم تقريرا عن أنيس منصور فى يوم واحد .

قال الرئيس : لأنه يشتمنى فى كل مكان !

وقلت له : إن التهمة ملفقة من المخابرات .

قال : إن التقارير ليست من المخابرات !

قلت : من الممكن أن يصدر الأمر لمختلف الأجهزة أن تكتب تقريرا واحدا .

وقال الرئيس : إنه سيبحث الأمر ..

وفعلا تبين الرئيس بعد ذلك الحقيقة .. وصدر الأمر بعودة أنيس منصور للصحافة !

ولكن هل أجد الشخص الذى يستطيع اليوم الاتصال بالرئيس ويطلب لى تحقيقا عادلا ، أو محاكمة عادلة ؟

لا أظن !!!

وفى الختام أقبلك .



مدرســة التفــاؤل !

سجن الاستئناف :
٣٠ يناير سنة ١٩٦٦ :
أخى العزيز ....

اننى أمضى أيامى أوزع الأمل على الناس . أزرع حبوب الأحلام والأمانى فى صحراء القلوب . أحول اليائسين إلى متفائلين ، والأشقياء إلى سعداء . أحاول أن أنشر مدرستك فى التفاؤل ، فى كل مكان . ان لى فى كل زنزانة صديقا . مددت له يدى لأنقذه من الغرق فى بحر التشاؤم الذى يعيش فيه . وأنا أجد لذة فى أن أسعد من حولى . أجعل من أنصاف الأحياء أحياء ! أحول الدموع إلى بسمات . أخلع نظارات المسجونين السوداء وأضع بدلا منها نظارات وردية يرون خلالها أن الحياة فيها ما يستحق أن نتفاءل به ونعيش له .

والذين حولى يدهشون لصمودى العجيب . يعجبون كيف اننى لا أشكو ، ولا أتململ ، ولا ألعن الزمن والأيام . وأنا لست أمثل دور الرجل المتفائل ، بل اننىْ متفائل جدا . أن ايمانى بالله يجعلنى على ثقة بالمستقبل ، ويجعلنى مطمئنا إلى الغد مهما كان فيه من برق ورعود !

وأشعر بسعادة عندما يدخل المسجونون إلى زنزاناتهم متفائلين بفضل الجرعة التى أعطيتها لهم . ولكنى أجدهم فى الصباح متشائمين من جديد . ان جرعتى لا تستطيع أن تعيش ٢٤ ساعة .

وهنا أبدأ أعطيهم جرعة جديدة يعيشون عليها بقية اليوم . وتتكرر الحكاية كل صباح ومساء . ولا أجد فى هذا جهدا مرهقا ، بل أجد فيه لذة مريحة . فإن من المؤلم أن تعيش فى صحراء من اليأس ، ومن الجميل أن تعيش فى حديقة كلها مزروعة بورود من الأمل . ولهذا لا أمل من أن أزرع

حبوب الأمل كل صباح ، ولا أيأس عندما أجد الورود التى رويتها قد ذبلت وماتت ، فأحاول أن أزرع حبوب الأمل من جديد !

واليأس يضعف الناس . يحول العمالقة منهم إلى أقزام . والشباب إلى شيوخ ، والأصحاء إلى مرضى ، ولو اننى تركت من حولى فى السجن إلى انفسهم لأصبحت وكأننى أعيش فى قرافة الامام !

ولقد كان المسجونون فى أول الأمر يقولون لى « شد حيلك » ولكنهم لم يعودوا يقولونها . فقد عرفوا أن حيلى شديد . وأن المطارق التى نزلت على رأسى ، لم تجعلنى أحنى رأسى ، ولم تجعلنى أسقط على الأرض تحت الضربات . على العكس ، فإن هذه الضربات زادت قوة احتمالى ، وقدرتى على الصبر ، وإيمانى بالغد القريب أو البعيد ..

ولهذا يجب أن تطمئن على ، وأن تعلم أن معنوياتى جيدة ، وأن إيمانى ببراءتى هو أشبه بمانعة صواعق ، حمت رأسى من أن تسقط فوقه القنبلة الذرية التى القيت فوقه ! فالايمان بالله هو مخبأ عجيب يحمى الانسان من كل الأسلحة الذرية النفسية التى يتعرض لها فى الحياة ..

ولا أتصور اننى فى آخر الدنيا ، وإنما أتصور اننى فى أولها ، وإذا كان ما حدث لى هو يوم القيامة بالنسبة للماضى فهو بلاشك يوم البعث بالنسبة الى المستقبل .

ولم أستطع فى هذه المحنة أن أحقد على الذين ظلمونى أو أكرههم ، أو أفكر فى الانتقام منهم . أقسم لك اننى لم أفكر فى هذا ابدا ، ولم يخطر شىء منه على بالى . اننى أطلب إلى الله أن يغفر لهم . ولا أطلب من الله أن يعاقبهم على ظلمهم كما ظلمونى .

وهذا الشعور يسعدنى كثيرا . يجعلنى أحس اننى أكبر من الذين آذونى ، وأقوى منهم ، واننى أستطيع أن أحمد الله على احتمال السياط التى يضربوننى بها ، وأشعر فى الوقت نفسه انهم لن يقدروا على أن يستمروا فى الضرب بالسياط . وسوف يتعبون فى يوم من الأيام . وسوف يلقون هذه السياط تحت أقدامهم وتحت قدمى أيضا !

والذين حولى من المسجونين السياسيين مشغولون بالسؤال عن موعد التصديق على الأحكام التى صدرت ضدهم . ولكنى لا أشغل نفسى بالسؤال ، ولا أشغل رأسى بالتفكير فى هذا الشأن . ولست قلقا على قضيتى والحكم فيها ، لأننى أعرف أن قضيتى هى أمام محكمة التاريخ ، وأنا واثق من أن محكمة التاريخ سوف تصدر حكما ببراءتى ..

ولقد حدث شىء فى هذا الاسبوع .. وهو اننا اعتدنا أن ناخذ فسحة لمدة ساعة فى حوش السجن ظهر كل يوم .

وإذا بخطاب يصل الى السجن مكتوب عليه سرى جدا ، فحواه أن المساجين لا يجوز لهم أن يظهروا أمام الزوار ، وأنه يجب أن تكون فسحتهم فى حوش صغير مخصص للزبالة وراء السجن !

وقيل أن السبب أن زوار السجن يرونني ، ويشيرون الى ، ويسلمون على ، ويخرجون يتحدثون بما يرون !

ولقد عجبت انه من أجلى أنا يعاقب جميع المسجونين ، واقترحت أن تلغى فسحتى ، حتى يتمتع باقى المسجونين بأن يروا ضوء الشمس ساعة كل يوم ! ولكن بعد الاجتماع تقرر أن تقام « ستارة من القماش » تفصل نصف الفناء عن النصف اخر ، وعندما يدخل فوج من الزوار لمقابلة المسجونين يخبئوننا فى حوش الزبالة حتى تنتهى الزيارة !

ولقد صعدت فى هذا الاسبوع إلى الدور الرابع فى السجن لأشهده . وكأننى أتفرج على فيلم الكونت دى مونت كريستو .. منظر العرايا الذين يضعونهم فى السفن مقيدين بالسلاسل ، بينما السجان يمسك بكرباج يضربهم به ! هذا المنظر رأيته تماما فى الدور الرابع من السجن . غرف صغيرة فى كل منها حوالى ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ مسجونا عرايا بشعور كثة ، وذقون طويلة ، مرسلة .. ورأيت المستشفى فإذا هو أشبه بزريبة فى بيت فلاح مفلس ! ان البهائم ترفض أن تعيش فى مثل هذا المستشفى ! ومن الطريف أن أغلب الأطباء لا يستطيعون أن يصعدوا على أقدامهم الطوابق الأربعة ، ولهذا ينزل المرضى نصف الأموات على أقدامهم يستندون على أذرع زملائهم ، ليكشف عليهم الطبيب فى العيادة الموجودة فى الدور الأول !

وتعتبر الزنزانة التى أعيش فيها فى الدور الثانى أشبه بقصر عابدين بالنسبة إلى عنابر الدور الرابع التى هى أشبه بعشش الترجمان !

ولقد أصابتنى رعشة وشعور بالرغبة فى القىء وأنا أرى هذه المخلوقات الادمية تعيش فى هذا الذل والقهر والحرمان . وعجبت كيف اننا كتبنا تصريحات عن إصلاح السجون ، ولم يفكر أحد من صحفيينا أن يقوم بتحقيق صحفى عن الدور الرابع فى سجن الاستئناف .

ولا عجب أن يخرج هؤلاء من السجون حاقدين على المجتمع . وقد اهتزت المثل والقيم أمام أنظارهم ، فالحياة فى مثل هذه الغرف القذرة تلغى الفرق بين الانسان والحيوان ، وتعود به إلى القرون الوسطى ، وتجعله يحس أن المجتمع يكرهه ويحتقره وينكل به . فنحن نربى الجريمة داخل السجون ، ولا نقضى عليها . ونحول الأبرياء إلى مجرمين لا تائبين . ونقضى على بقايا الخير فى نفوس ، لو لقيت شيئا من الرعاية والرحمة لأمكن

القضاء على الانحراف فيها . والغريب أن المسجونين فى هذه الزرائب ليسوا مجرمين ، وإنما متهمون مقدمون للمحاكمة . وقد يصدر الحكم ببراءة الكثيرين منهم ، ولكن بعد أن يكون السجن قد حولهم الى مجرمين حقيقيين .

ومرت الأيام .. وكل يوم أحسن من سابقه . المعاملة تتحسن .. وأصبحت زنزانتى فى السجن أجمل من غرفة المأمور ! اننى فى كل يوم أضيف إليها شيئا ، وأجد متعة فى فراشها كالمتعة التى وجدتها فى فرش شقة بالزمالك !

وأصبح عندى فى غرفتى مرآة أرى فيها وجهى ، بعد أن بقيت عدة أيام لا أعرف صورتى ! وأحضرت حوضا وحمالة ووضعته تحت المائدة ، وأحضرت رفا وضعت فوقه الفرشاة والمشط والصابونة .

واختفت الملاءة القذرة التى كانت تغطى السرير ، وأحضرت مخدتين ، وملاءات فراش ، تتغير مرتين فى الاسبوع ، وصرف لى السجن ثلاث بطاطين ، وجاءتنى من منزلى بطانية زرقاء تغطى الفراش وتجعله أشبه بغرف نوم العرسان !

وأصبحت ترابيزة السجن الخشب مغطاة ، بغطاء ثمين .

وأصبحت المائدة عبارة عن مكتب وأوضة سفرة وصالون !

واشتريت سجادة واعترضت عليها ادارة السجن لأنها كبيرة فأحضرت سجادة صغيرة فرشتها أمام السرير ، فزادت الغرفة جمالا وبهاء !

وكنت أتضايق من اننى أضطر لاخراج ملابسى من الحقيبة إلى أن أنحنى كرقم ٨ وجئت بكرسى خشب صغير وضعته تحت الحقيبة وبذلك تحولت إلى دولاب !

وعندى فى الغرفة لمبة كهربائية للمكتب ، أكتب الان وأقرأ على ضوئها وأنا نائم فى السرير .

وفوق المائدة رف وضعت عليه جميع الأدوية . وصنعت رفين فى المائدة أحدهما للكتب والثانى للسجائر وفى الوقت نفسه يقوم الرف مقام « الكرار » !

وهكذا ترى اننى حولت غرفة ثلاثة أمتار فى مترين إلى شقة واسعة فاخرة مريحة ، فيها غرفة مكتب ، وغرفة نوم ، وغرفة صالون ، وحمام ، ومطبخ .. نعم ومطبخ !

ولقد بدأ الحر ..

وانني أمضى وقتا طويلا فى القراءة ، وأجد فيها لذة ومتعة ، ولقد كنت

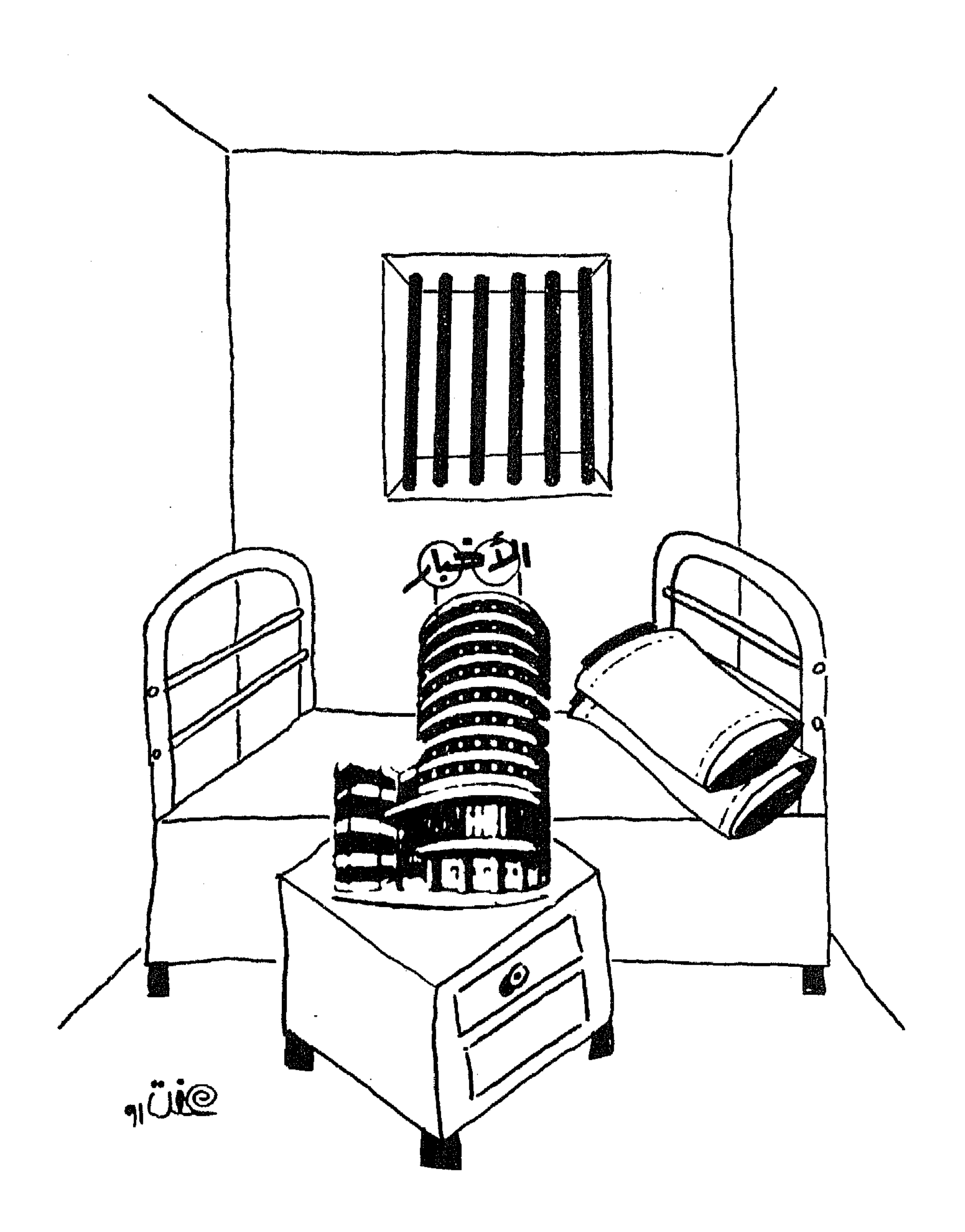
فى وقت من الأوقات ، قبل دخولى السجن أشكو من اننى لا أجد الوقت الكافى للقراءة . وكنت اقول لنفسى أنه لابد أن أدخل السجن لأقرأ كل الكتب التى أريد أن أقرأها ولكنى مع ذلك لا أجد الوقت الكافى لأقرأ كل ما أريد .. فإن الصباح والعصر أمضيهما مع المساجين ، وعندما تغلق الزنزانة فى الساعة السادسة مساء أبدأ فى قراءة الصحف ، ولكنى لا ألبث أن أشعر بالرغبة فى النوم بسبب ارهاقى من شدة المشى الطويل ، فأنا أفضل أن تكون كل مقابلاتى مع المساجين وأنا أمشى معهم ذهابا وجيئة . وعندما أنام أستغرق فى نوم طويل ، وأنام مدة كافية ، ولا أشعر بأى أرق ، أو سهاد ! ثم أستيقظ فى الساعة الثالثة صباحا وأبدأ فى القراءة من جديد .

والآن أختم خطابى بقبلة طويلة تعبر عن شوقى إليك ، وعندما يصلك هذا الخطاب يكون قد مضى على فراقنا عدة شهور ، ومع ذلك تأكد اننى أشعر أنك معى باستمرار فى الليل والنهار ، وخطاباتك تسعدنى ، وتجعلنى أشعر كأننا نتحدث كما كنا نتحدث ونحن نقطع غرفتى فى أخبار اليوم ذهابا وإيابا ، أو ونحن نقطع غرفة الصالون فى منزلنا بالزمالك ..

والحمدلله أن الأيام تمضى سراعا ، وأن الله أعطانا فى محنتنا الصبر والصمود والايمان ، وهذه ثروة ضخمة لا تقدر ..

ان الله لن يتخلى عنا ..




الأخبار
عفت ٩١

أشجع الشجعان من يستطيع أن يصمت !

سجن الاستئناف
فبراير سنة ١٩٦٦ :
صديقى ....

ما أشقى المسجون السياسى فى هذا البلد . الدولة تعلن عليه الحرب بكل سلطاتها وكل سلطانها . الأجهزة تطارد أهله . أقاربه يشردون من وظائفهم ويبطش بهم . انه عدو الشعب رقم واحد . اهدار دمه حلال ، ونهب أمواله حلال ، وتلويث سمعته حلال واختلاق الأكاذيب عليه وتلفيق التهم ضده حلال .. حلال .. حلال !

وأنا أعيش اليوم هذه الحرب الشعواء ، أقرأ الصحف فأجدها تهاجمنى ، أقرأ الصحف فى البلاد العربية فأجدها تؤلف عنى القصص والحكايات . أستمع الى الاذاعة وأسمع بأذنى اللعنات تنصب فوق رأسى ..

لا يستطيع أحد أن يدافع عنى . أشجع الشجعان اليوم هو من يستطيع أن يصمت ولا يرتل أناشيد اللاعنين والطاعنين ! كانوا يقولون فى الماضى أن الساكت عن الحق هو حيوان أخرس ، اليوم أصبح الساكت عن الحق هو البطل الصنديد ! وأنا اليوم أرسل الرسائل الى أصدقائى وتلاميذى ، أتوسل اليهم أن يشتمونى ويهاجمونى ويصبوا على الاتهامات واللعنات ، ليبقوا فى مناصبهم . فإن ثمن البقاء فى المناصب الكبرى فى هذه الأيام أن يطعنوا أصدقاءهم ويهاجموا أساتذتهم ، وقد أصبح الوفاء والمروءة والصداقة من جرائم الخيانة العظمى ! الولاء للدولة يستوجب عليك ألا يكون لك ولاء لصديق . وما دامت الدولة تظلم فعليك أن تظلم الأبرياء معها لتكون مواطنا صالحا !

انتهى الزمن الذى كان فيه المتهم بريئا حتى تثبت ادانته .. القاعدة اليوم أن كل مصرى مجرم حتى لو ثبتت براءته . الأبرياء وحدهم والوطنيون وحدهم هم أصحاب السلطان فإذا فقد واحد منهم السلطان أصبح مجرما مثلنا ، وخائنا مثلنا !

ولقد سألتهم وأنا فى سجن المخابرات ! ألا يتصور أصحاب السلطان انهم يضعون سوابق تطبق عليهم فى يوم من الأيام !! ألا يعرفون أن « العز » لا يقف بباب واحد الى الأبد ؟ ألم يخطر ببالهم أن الدوائر قد تدور عليهم ، فيحاكمون محاكمات استثنائية ، ويحرمون من حق التقاضى أمام القاضى العادى ، وتوجه اليهم الاتهامات ، ويمنعون من الدفاع عن أنفسهم .

وكان زبانية المخابرات يضحكون ساخرين من هذه الأسئلة التى تدل على اننى فقدت عقلى نتيجة للتعذيب ! كل واحد من أصحاب السلطان هؤلاء يتصور أنه عقد اتفاقا مع الأبد ، أن يبقى فوق كرسيه . يحكم ، ويستبد ، ويطغى الى أن يموت !

من سوء حظ هذا البلد أن أغلب أصحاب النفوذ والسلطان فيه انصاف متعلمين لم يقرأوا التاريخ ، أو قرأوا الصفحات الأولى من كتب التاريخ ، ولم يقرأوا الخاتمة ، ولو أنهم قرأوا خاتمة كتاب التاريخ لعرفوا أن لكل طغيان نهاية . ولكل استبداد آخر ! وأن الدنيا دوارة ، لا تستقر على حال ، ولو انها كانت قد دامت لغيركم لما جاءت إليكم !

كل هذا يجهلونه ، لأنهم لم يدرسوا التاريخ ، ولم يعلموا أن قصص الاستبداد تنتهى دائما بأن يجىء دور الجلاد فى المقصلة !

والذى يذهلنى أن المسجون السياسى المصرى كان يعامل فى عهد الانجليز أحسن مما يعامل فى عهد المصريين !

حدثنى الفريق عزيز المصرى باشا أنه عندما قبض عليه عام ١٩٤١ ووضع فى سجن مصر بتهمة محاولة الانضمام إلى قوات العدو . كان حسين سرى باشا رئيس وزراء مصر وقتئذ والحاكم العسكرى ، فأصدر أمرا بأن يصرف للمسجون عزيز المصرى عشرة جنيهات كل يوم مصاريف طعامه وملابسه وحاجاته ، وخصص له ضابط شرطة يقوم بخدمته فى السجن !

وانه كان يرسل الضابط كل صباح فى تاكسى ليشترى له افطارا من جروبى ، ويرسله فى الظهر ليشترى غداء من فندق سميراميس ويرسله فى العشاء ليشترى عشاء من فندق شبرد ! وكانت العشرة الجنيهات فى تلك الأيام تساوى مائة جنيه اليوم ، وكان يبقى من مصروف اليوم مبالغ كبيرة .. كان عزيز باشا يشترى بها بذلة له ، أو بذلة للضابط الذى يتولى حراسته !

وحدثنى الدكتور محمد حسين هيكل باشا أنه سنة ١٩٢٤ كان يرأس تحرير جريدة « السياسة » وكان يهاجم كل يوم سعد زغلول زعيم الأمة ورئيس الحكومة . وشكاه سعد الى النائب العام فوضعه فى السجن .

وسمح له رئيس الحكومة بأن يشرف على تحرير جريدة السياسة ، ويقابل المحررين ويصحح البروفات ، ويكتب وهو فى زنزانته فى السجن ، وكان الدكتور هيكل باشا يعتبر هذه المعاملة الطيبة اعتداء على الحرية !

وأتذكر أننى أمضيت فى سجن المخابرات ١٣٢ يوما ، وأهلى لا يعرفون أين أنا ، ولم يسمحوا لى أن أكتب خطابا لأولادى . كما لم يسمحوا لى بأن أستقبل محاميا أو أوكل محاميا ، وأن كثيرين من المسجونين السياسيين ومن بينهم مستشار فى محكمة النقض وأساتذة جامعة وقضاة وعدد من المحامين والأطباء والمهندسين وعلماء الذرة ملقى بهم فى زنازين السجن الحربى وأهلهم لا يعرفون هل هم أحياء أم أموات !

ولقد أتيح لى اليوم أن أجلس فى غرفة الضابط مع تمثال للشقاء !

انها زوجة مسجون منذ عام ١٩٥٤ وسمعتها تقول لى :

— لن أحدثك عن حياة الجحيم التى عشتها ، منذ أن زارنا زوار الفجر من ١١ سنة ! وكيف انتزعوا زوجى من بين ذراعى ، ومن بين أطفالنا الصغار . وكيف اقتادوه مكبل اليدين ، معصوب العينين الى غرف التعذيب ! ولن أحدثك كيف صلبوه عاريا ، وكيف انهارت السياط تمزق جسده . ومازالت آثار السياط تشوه جسده النحيل .. كأنهم حرصوا أن يوقعوا بسياطهم على كل جزء من جسده .

ولاتزال الامضاءات واضحة على جلده برغم مرور سنوات وسنوات !

ولم يستطع زوجى يومها أن يمسك القلم ليكتب بنفسه ما يريدون من اعترافات ، لأنهم انتزعوا أظافره ، وكان الدم ينزف غزيرا من أجزاء كثيرة فى جسده . لا أريد أن أحدثك عن انهم ضربوه وعذبوه لأن نقطة دم من دمه سقطت على الورق الأبيض الذى جاءوا به ليكتب عليه اعترافاته ، ولأنه لوث بدمه المسفوك بياض الورق الأبيض !

ولن أحدثك عن المحاكمة الصورية التى قدموه لها . عن الأحكام التى تصدر قبل بداية المحاكمة . عن قضاة عسكريين يتلقون الأحكام بالحكم على المتهمين كما يتلقون الأوامر العسكرية فى الطابور !

لن أحدثك عن الحرمان وشبح الجوع الذى يتهددنى وأطفالى ، بعد أن نهبت أموالنا ، وصودر مورد رزقنا ، وأصبحنا بلا دخل على الاطلاق .

نحن أسرة مسجون سياسى نعيش بلا اعانة وبلا معاش والويل كل الويل لمن يرق قلبه ويقدم لهذه الأسرة البائسة احسانا أو صدقة أو حتى « جلبابا » يقى الطفل الصغير برد الشتاء .. زوار الفجر وضعوا قانونا بمنع التراحم والتعاطف والمروءة والبر بأسر المسجونين السياسيين ، ويعتبر كل من يقدم لقمة خبز لأسرة مسجون سياسى شريكا فى التهمة ، ومتآمرا على أمن الدولة !

« اننى أريد أن أحدثك عن هذه الانسانة التى شاء قدرها العاثر أن تكون زوجة سجين سياسى ! اننى أواجه معركة ضارية مع الحياة ومع لقمة العيش ، ومع ذئاب البشر ! أنت تفهم جيدا معنى أن تجوع زوجة السجين ، ومعنى أن يجوع الصغار !؟

« كان من الممكن أن أهرب من هذه المعركة الطاحنة التى فرضها على القدر الساخر وكان من الممكن أن أطلب الطلاق ، وهذا حقى ، وبذلك أريح نفسى من مرارة العذاب وقسوة الحرمان ، وأبحث عن رجل آخر .. أى رجل ، يأكل عيش وجبنة ، ولكنى كإنسانة عربية أصيلة أبيت أن أتخلى عن رجلى فى محنته . يجب أن أبقى بجانبه ٩ سنوات أخرى ، بعد الاحدى عشرة سنة التى مضت . سأبقى مهما كانت التضحيات . خاصة اننى مؤمنة ببراءة رجلى . انه واحد من مئات المظلومين : بلا تهمة ، والمحكوم عليهم بلا محاكمة ، والمسجونين بلا جريمة !

« وأنا أواجه وحدى أعاصير الحياة . أمضيت سنوات من العذاب والحرمان والآلام ، ومطاردة أشباح الظلام . وأشياء رهيبة كافية لأن تجعلنى أفضل الموت على أن أواصل الحياة !

« وصمدت . ولكن أثاثات البيت وحلل النحاس لم تصمد للحجوزات ومطالب الدائنين !

« أنا قاومت الجوع ، ولكن بطون الأطفال تمزق قلبى وهى تصرخ بالجوع ..

« حاولت أن أجد عملا ، ولكن اسم زوجى فى القائمة السوداء جعلنى أطرد من كل عمل أتولاه ! انها اللعنة الكبرى التى تطاردنى اننى زوجة مسجون سياسى !

« وفكرت أكثر من مرة فى الانتحار » ..

« ولكنى كنت أتردد فى آخر لحظة عندما أسمع صراخ واحد من أطفالى » ..

« ما ذنبى ؟ أليس من حقى أن أعيش كإنسانة ؟ مازلت أؤمن بالخير

والحب والجمال ، وانتصار كل ما هو خير وشريف .. أليس من حقى أن آكل ، أليس من حقى أن أشبع بعد أن صبرت على الجوع ، تشوينى نيران الحرمان ؟

ما أقسى أن تعيش امرأة ليالى طويلة دون عشاء ، لتوفر لقمة العيش لأطفالها ! ما أقسى أن تتحمل امرأة شظف العيش سنوات وسنوات من أجل أن تقوم بواجبها نحو أولادها .

ما أقسى أن تقاوم امرأة وحيدة ، فقيرة جائعة ، الجوع والحرمان وذئاب المجتمع فى وقت واحد !

ما أقسى الموقف عندما تقف امرأة جائعة بمفردها ضد دولة بسلطانها !

ان واجب المجتمع أن يحمينى قبل أن ترتوى الذئاب بدمى ! واجب المجتمع أن يمنعنى من الانتحار .. واجب المجتمع أن يمنعنى من دخول مستشفى المجاذيب .. فالمجانين فى هذه الأيام فى حاجة الى « واسطة » ليدخلوا مستشفيات المجانين ..

وصرخت المرأة قائلة :

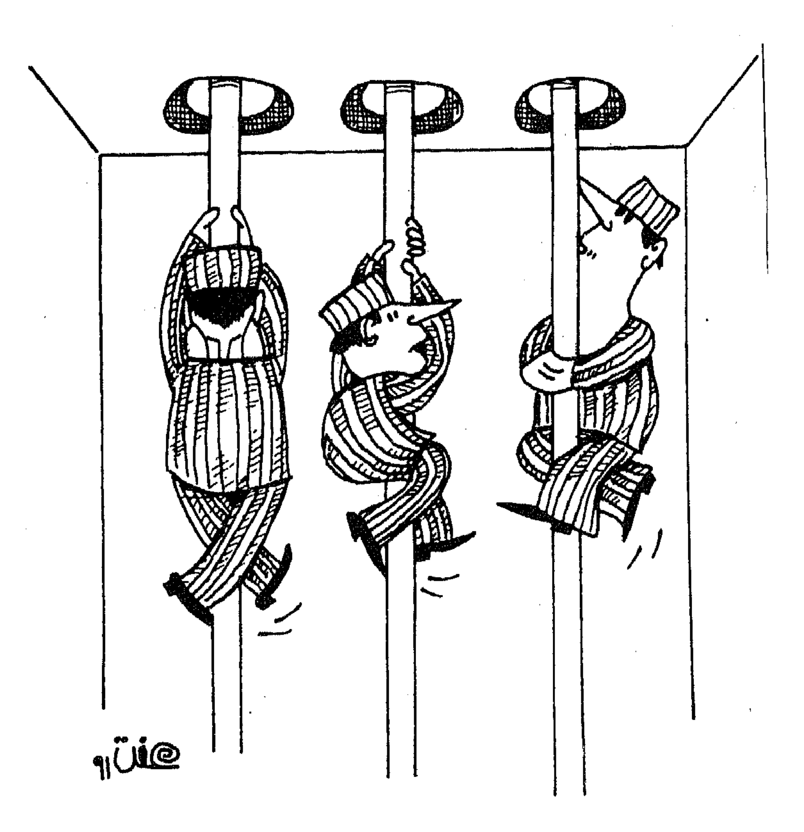
متى يضعون نهاية لنظام « المنبوذين » ؟ !

وهنا صاح ضابط السجن ..

— انتهت الزيارة !



سعادة المفتش



سجن الاستئناف

فبراير سنة ١٩٦٦ :

صديقى العزيز .....

والان تعال أحدثك معى عن حياتى فى السجن .

ان السجن عاش هذه الأربع والعشرين ساعة فى قلق وانتظار ! ان خبرا خطيرا وصل الى السجن ! ان المفتش سيزور السجن غدا الساعة السابعة صباحا !

وانتقلت الهمسات من أذن الى أذن . من المأمور الى الضابط ، من الضابط الى الصولات ، ومن الصولات الى الحراس ومن الحراس الى المسجونين . وكأن عصا سحرية مست السجن كله . خرجت فرق النظافة تنظف فناء السجن الذى هو أشبه بصفيحة كبيرة للزبالة ! حمل عدد من المساجين الجرادل والمقشات وراحوا يدعكون بلاط الممرات فى السجن . بعد أن كانت تغطيه طبقة من التراب بحيث لا تعرف هل تدوس على أسفلت أو بلاط أو تراب ! وتشعلق مسجونون آخرون على الأعمدة الحديدية ينظفونها ويلمعونها خشية أن يتشعلق المفتش عليها ويكتشف التراب . وأسرع المسجونون يخبئون، ما لديهم من الممنوعات . الذين معهم .. نقود أو حشيش أو سجائر يخفونها فى شرجهم .. ولم أتصور فى حياتى أن الشرج ممكن أن يتسع ليصبح خزانة نقود أو فريجيدير !

وكان على أن أستعد أيضا لحضور المفتش . أن المأمور سبق أن قال لى أمام أحد المفتشين أيضا أن غرفتى ملأى أكثر من اللازم يجب أن أعيد ثلاثة أرباعها الى البيت وأكتفى بالضرورى . وحرت ماذا أفعل . وقررت أن أستيقظ فى الساعة الثالثة صباحا لأقوم بعملية تنظيف فى الغرفة !

المصباح وضعته تحت السرير وأخفيته تحت الصحف والمجلات . الشمعة التى أستعين بها عند انطفاء النور وضعتها داخل فردة حذاء ، وغطيتها بأحد الجوارب ! والراديو أين أضعه ! وضعته تحت المرتبة . ولكننى خشيت أن يفتش المفتش المراتب . فوضعته فى جردل البول . ثم خشيت أن يكون المفتش فضوليا ، ويقلب ما فى جردل البول ، فقررت أن أضعه فى جيبى الخلفى . ولكن ماذا يحدث لو تحرك فجأة القرص أثناء جلوسى أو تحركى وأخرج الراديو صوتا فى أثناء وجود المفتش ! ولكننى قامرت بوضعه فى جيب البنطلون الخلفى على أمل أن يخجل المفتش ولا يفتش البنطلون ! ثم هناك وابور صغير لتسخين الطعام وهو ممنوع أيضا . فأخفيته تحت كمية من البرتقال والبلح !

وبقيت من الساعة الثالثة صباحا أنتظر المفتش . ثم وضعت حقيبتى تحت السرير ، وأخفيت سبتين أضع فيهما الجبن والمخللات والفاكهة والكبريت تحت السرير أيضا . حتى تبدو الزنزانة متواضعة عندما تطل عليها الطلعة البهية لسعادة المفتش .. وفى الساعة الثانية وصل المفتش . وصاح عسكرى : انتباه ! وسمعت العساكر يعدون فى الطرقات ويلمعون أحذيتهم وزرايرهم الصفراء ويعدلون وينظمون فى هندامهم .

وبقيت أنتظر وصول المفتش الى غرفتى ولكن المفتش مر على المسجونين السياسيين مرور الكرام . ثم نزل الى غرفة المأمور ليشرب القهوة ويقرأ جرائد الصباح . وتنفست العنابر والزنازين الصعداء . وبدأ السجانون يفتحون الزنزانات ، وقالوا لنا ان الخطر زال ..

وبدأنا نمشى فى أروقة السجن . ونلقى بأعقاب السجائر على البلاط ، وبدأ السجانون يفكون أربطتهم الجلدية ، وزراير جاكتاتهم .. وعدت الى غرفتى وأخرجت الحقائب من تحت السرير ، وتخلص بنطلونى من الراديو ، وعادت غرفتى الى ما كانت عليه .

وفجأة صاح الحراس انتباه ! وأسرعنا نعود الى زنزاناتنا ونغلق الأبواب علينا . أن المفتش سيفتش من جديد ! لقد انتهى من شرب القهوة وقراءة جرائد الصباح . وعدت أقوم بعملية اخفاء الممنوعات من جديد . وأحمل الحقائب وأضعها تحت السرير ..

وأسرع عدد من المسجونين يجمعون أعقاب السجائر من الأرض ، ويعيدون مسح البلاط ، ويتشعلقون على الأعمدة الحديدية يعيدون تنظيفها خشية أن تكون اتسخت فى خلال الساعة التى كان يقرأ فيها المفتش جرائد الصباح . وصعد الضباط الى الدور الثانى الذى نحن فيه ، ليشرفوا بأنفسهم على نظافة الأبواب والنوافذ والأسقلت والبلاط !

وساد السجن الهدوء . كأن الحراس يمشون على أطراف أصابعهم بعد أن كانوا يضربون الأرض بأقدامهم وكأنهم يجلدونها . وتوقفت مظاهرات الانتحار اليومية ! نعم اننا كل يوم نشهد محاولة للانتحار ! وهى طريقة المسجونين للاحتجاج على أى ظلم وقع عليهم . فالذى يحدث أن يتشعلق أحد المسجونين على « كمرة » حديد من الحديد الذى يحمل بلكونات السجن الداخلية ، بحيث لا يستطيع أحد الوصول اليه ثم يجلس فوق الكمرة مهددا بأن يلقى نفسه من الدور الثالث الى الأسفلت . ويقف المسجونون فى البلكونات يرجون المسجون ويتوسلون اليه ألا ينتحر . وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات ، حسب قدرة المسجون على الاحتمال ، يحضر الضابط أو المأمور ، فيروى له شكواه ، يوعده الضابط بأنه لن يعاقب لأنه حاول الانتحار ثم ينزل المسجون من مكان الانتحار بين تصفيق المعجبين !

ولكن تحدث فى بعض الأحيان محاولات انتحار حقيقية . فقد حدث أن ألقى أحد المسجونين بنفسه من الدور الثالث ، والغريب أنه سقط واقفا دون أن يصاب بخدش ..

وأنا أتفرج على المسجونين وهم يتعلقون بالأعمدة ويصعدون عليها وأعرف منها كيف أن اللصوص يجيدون تسلق مواسير المياه لسرقة العمارات ! وحدث أن أراد مسجون أن ينتحر فأخذ موس وفتح بها بطنه بحيث أصبحت ترى أمعاءه ! وفتح أحد المسجونين خصيته ! وكان منظر الخصيتين والدم يسيل منهما وهو يسير على قدميه منظرا غريبا جدا !

وبقيت محبوسا فى داخل زنزانتى عدة ساعات ، حتى جاءت الأخبار بأن المفتش غادر السجن بسلامة الله . وفتحت الأبواب وخرجت الممنوعات من المخابىء ، وخرجت الحقائب من تحت السرير !

ولم يدخل المفتش زنزانتى ! ولم يفتشها طبعا . وقال لى الضباط أن المفتش خاف أن يدخل غرف السياسيين ، لأن لسانهم طويل ، وقد يقولون أشياء ، ويتكلمون معه بلهجة لا تتفق مع مقامه السامى أمام المأمور والضباط والمسجونين ! وحسنا فعل !

ولقد أمضينا اليوم نضحك ! لقد زهقنا من عملية اخافة زميلنا الارهابى رقم ١١ ، وإظهار العفاريت واتفقنا معه على أن نعمله المسيح الجديد " أن الكتب الدينية تقول أنه سيظهر فى آخر الدنيا المسيح الدجال وسيدعى النبوة ، فلماذا لا يدعى زكريا النبوة ويقول انه المسيح الدجال !

واتفقنا معه على أن نشيع حوله الكرامات والمعجزات ! فيتظاهر أحد المساجين بأنه مات ، ثم يمر الارهابى رقم ١١ بيده على الميت ، فتعود إليه

الروح ! أو يطلب سماع أغنية فى الراديو ، وفجأة يذيع الراديو الأغنية التى يطلبها سيدنا الارهابى ! أو ندعى أن الارهابى مر بأحد المسجونين فشكا المسجون من طول سجنه ، فيقول له الارهابى رقم ١١ بعد ساعة ستخرج . بعد ٥٠ دقيقة . بعد ٤٠ دقيقة .. بعد ٥ دقائق . وفجأة يجىء السجان يبلغ المسجون نبأ الافراج عنه .

ووافق صديقنا الارهابى رقم ١١ أن يقوم بدور المسيح الدجال !

وفجأة وجدنا أن كتب الدين تقول أن المسيح الدجال بعين واحدة بينما زكريا بعينين اثنتين !

وقلنا له الحل هو أن نخرق احدى عينيه !

واستغاث سيدنا الارهابى بالحراس ووعدناه أن نترك له العين ..

ثم بدأنا نمثل المعجزات والكرامات التى سوف يحققها سيدنا الارهابى وإذا بسيدنا الارهابى يصدق فجأة انه أصبح نبيا ، وأن الرسالة نزلت عليه بحق وحقيق .

وأحضرنا ثلاثة من المساجين تظاهروا بأنهم ماتوا ، ثم بدأ سيدنا الارهابى يحييهم ..

وفجأة قام الأموات الثلاثة وضربوا سيدنا الارهابى رقم ١١ علقة .. اقتنع بعدها أنه ليس نبيا ولا مسيحا ، ولا سيدنا ، ولا حاجة أبدا !



كانت أمي على حق !

سجن الاستئناف

١٥ مارس سنة ١٩٦٦ :

أخي العزيز .....

قرأت خطابك المؤرخ ٣ مارس . ان خطاباتك تسعدني . انني انتظرها بفارغ صبر . أنا يحتلني شعور انني أعيش معك . ولقد أسعدني أنك بدأت تضيق بالروتين في حياتك ، وانك قررت أن تخرج من غرفتك في الفندق التي سجنت نفسك فيها . وقد شعرت في الوقت نفسه أنه يجب أن اكتب حتى لا أنسى الكتابة ! وشعوري انك تقرأ ما أكتب يجعلني أجد لذة في أن أكتب إليك ، وأكتب طويلا ! ولولا الظروف التي أنا فيها لكتبت لك اكثر ، ولكني أنتهز فترات معينة لأستطيع أن أكتب لك فيها ، وبعد أن كنت اشكو أن باب الغرفة يقفل على ٢٣ ساعة ونصفا كل ٢٤ ساعة ، أصبحت الان ، وغرفتي مفتوحة من الساعة الثامنة الى الساعة الخامسة بعد الظهر ، إلا عندما يصيح الحراس « انتباه » فنعرف ان المأمور في طريقه الى الطابق الذي انا فيه ، فنجري جميعا الى غرفنا ونغلق الأبواب خلفنا ! ومع ذلك فقد أصبحت ازهد في هذه الحرية ، وأتمنى أن يغلقوا الباب ، لأنفرد بك ، وأكتب إليك ، واتحدث معك ، وافتح لك قلبي ، وأناجيك ، وأتكلم معك على الورق ، وإن كنت أتحدث إليك وأتكلم معك طول الليل والنهار بغير قلم وبغير ورق !

لقد خرجت اليوم ، لأول مرة منذ انتهاء المحاكمة ، لأذهب الى مستشفى المنيل الجامعي - القصر العيني الجديد - لأقوم بتحليل الدم . وقد مضى على اكثر من أربعة اشهر لم أحلل دمي ، ولقد تقدمت أطلب السماح بتحليل دمي منذ أربعة أشهر ، ولكن الطبيب هنا أخصائي في أمراض الولادة !!

وبقى الطبيب حائرا ومترددا وخائفا يقدم ساقا ويؤخر ساقا ، ثم طلب منى أن يحلل البول أولا ، ليرى هل فى البول سكر أم لا ؟ وتم تحليل البول وقالوا لا يوجد سكر ، ومادام لا يوجد سكر فى البول فلا يجرؤ الطبيب أن يطلب تحليل الدم ! بعد أخذ ورد ، وجذب وشد ، اتفقنا أن أحصل من الدكتور الصيفى على آخر شهادة بتحليل الدم وأن به « سكر » ، وحصلنا على الشهادة ، وأرسلنا الطلب الى النيابة ، ثم جاءت الموافقة بأن أذهب لتحليل دمى فى مستشفى القصر العينى ..

وحضر ضابط وجندى ليصحباني ، وضابط من المباحث ، وركبنا سيارة ملاكى ، وهى أحسن بكثير جدا من السيارة اللورى التى كنت أركبها فى ذهابى الى المحاكمة . فقد كانت السيارة اللورى التى كنت أركبها فى ذهابى الى المحاكمة أشبه بالجمل ، وكانت تقفز فى أثناء الطريق ، وحدث مرة أن توقفت وراح الضباط والعساكر يصيحون « اللى يحب النبى يزق » ! ولكن فى هذه المرة كانت السيارة محترمة ! وكانت أول سيارة محترمة أركبها منذ سبعة شهور ونصف ! وعند باب المستشفى رأينا خيرية وزينب ! ولوحت لهما بيدى ، لأن الضابط توسل الى ألا أتحدث اليهما وإلا فسوف يتخرب بيته !!

وذهبنا الى عنبر اسمه المعتقل ، وهو أحد عنابر المستشفى ومن الصدف الغريبة انه عنبر مرضى البول السكرى ، وقد خصص العنبر للمعتقلين ، وبابه مغلق بالمفتاح ، وطرقنا الباب ، وفتح لنا عسكرى ، وجلسنا فى صالة العنبر مع ضابط ، الى أن يذهب ضابط المباحث ، ويبحث عن الطبيب الذى سيقوم بعملية التحليل . وكنت مهتما أن أذهب الى هذا العنبر ، لأرى كيف يعيشون فى المستشفى . وقابلت هناك محمد يوسف الأميرالاى الذى كان مسجونا معى فى سجن الاستئناف ونقل الى مستشفى القصر العينى ، وكنت أتصور أن الحياة فى المستشفى جنة ، وانها أحسن من الحياة فى السجن ، ولكنى لم ألبث أن اكتشفت اننا كنا مخطئين جدا فى تصورنا ، وأن الحياة فى السجن أحسن كثيرا جدا من الحياة فى معتقل المستشفى ! عرفت أن الزيارات ممنوعة ! وأن بنات محمد يوسف كن يحملن تصريحا بالزيارة من النيابة ، ولكن المعتقل رفض الاعتراف بهذا التصريح . بينما كان محمد يوسف يستطيع أن يقابل أسرته وهو معنا فى سجن الاستئناف ، مرة كل خمسة عشر يوما . وعرفت أن الطعام من البيت ممنوع ، وأن المرضى يأكلون من أكل المستشفى وهو لا يطاق ! وكنت أتمنى أن أذهب إلى المستشفى متصورا اننى سأكون فى غرفة وحدى طوال اليوم ، ويجيئنى

الزوار ، ويكون فى غرفتى تليفزيون وراديو ، كما كان يحدث فى الماضى مع المسجونين الذين كانوا ينقلون الى المستشفى ، ولكن النظام الجديد ألغى كل هذه الرفاهية ، وجعل المريض المقيم فى المستشفى يتمنى أن يشفى سريعا جدا ليعود الى السجن من جديد !

وقد طلب محمد يوسف اعادته الى السجن ، والغريب أن طلبه رفض !! فإن دخول الحمام موش زى خروجه !

ولقد حمدت الله أن طلب المحامين نقلى الى المستشفى لم يقبل ! فإن الحياة فى المستشفى كما رأيتها اليوم ، ليست هى الحياة التى كنت أتخيلها وكان المسجونون معى يبالغون فى وصف جمال الحياة فى المستشفى وكأنها غاية المراد من رب العباد ! ..

ولقد استقبلنى الدكتور محمد عبدالمنعم أبوالفضل أستاذ قسم البيولوجيا الكيميائية الذى سيتولى التحليل ، وقال لى أن التحليل لا ينفع اليوم ، وطلب منى أن أعود اليه يوم السبت ، وأن أجمع ٢٤ ساعة بول ، وفهمت أنه أراد أن يعطينى فرصة لأرى الشارع مرة أخرى !

ولقد تصورت وأنا خارج من باب السجن اننى سأفرح عندما أرى الشوارع التى لم أرها منذ وقت طويل .. ولكنى فى الواقع لم أشعر بطعم الحرية كما كنت أتصور ! كنت أتوهم اننى سألتهم الشوارع بعينى ، سآكل الناس بنظراتى ، ولكنى لم أحس بأى شىء ، كنت أشبه بسائح ، وكنت أتوهم اننى سأرى أن المدينة قد تغيرت ، ولكنى لم أشهد شيئا مختلفا أو جديدا !

وسارت بى السيارة فى شارع الدواوين ، ومرت أمام البيت الذى كنا نسكنه ، وهدم وأصبح عمارة ، وأمامه مدرسة الأوقاف التى كنا تلاميذ بها ، وبجوارها الحوارى التى كنا نلعب فيها الكرة ، وقد مرت بسرعة ذكرياتى على أيام طفولتنا فى هذه الأماكن ، حيث ولدت أحلامنا ، وحيث أصدرنا مجلتنا الأولى بالبالوظة ، ثم عندما مررت بالمكان الذى كانت فيه مطبعة أحمد شفيق باشا وتذكرت عندما أصدرنا مجلتنا الأولى بالمطبعة وعمرنا ١٤ سنة !! ومرت السيارة بعد ذلك أمام بناء مدرسة المنيرة التى كنا تلاميذ بها ، ثم بناء دار العلوم التى كانت مدرسة المنيرة فى وقت من الأوقات ، ثم أمام معهد المعلمين الذى كان أيضا مدرسة المنيرة فى وقت من الأوقات ! وأحسست كأننى أمشى من جديد فى طفولتنا ، فى تلك الأيام التى كانت بنطلوناتنا قصيرة وأحلامنا طويلة ! عندما كنا نصدر مجلة التفوق والبيان والأسد بالقلم الرصاص ، ثم مجلة الطالب بالبالوظة ، ثم مجلة

التلميذ بالمطبعة ، ثم رحت اتذكر كيف كانوا يضربوننا « علق » لحبنا للصحافة ، ما ابعد نظر امي !! وتذكرت بعد ذلك أن ما يصيبنا الان هو نوع من « العلق » التي كنا نتلقاها ونحن اطفال ، ونتصور أنها نهاية العالم ، ثم تمضي الأيام ، ونذكر هذه العقوبات ونضحك ، ولعله سيجيء يوم نتذكر فيه أيضا « العلق » التي نأخذها اليوم ، وسوف نضحك أيضا !

وفي طريق عودتي ، مرت السيارة بجاردن سيتي ، ثم مرت أمام الجامعة الأمريكية التي كنا تلاميذ بها ، ثم مرت أمام عمارة بحري حيث كانت مكاتبنا في مجلة آخرساعة !

ولقد كانت هذه الرحلة تحليلا لذكرياتي ، لا تحليلا لدمي ، وما دمي إلا ذكرياتي !

ونسيت أن أقول لك انني في المستشفى احتفلت بي الممرضات ' وكن يجرين ورائي أثناء انتقالي من عنبر الى عنبر ، حتى ضاق بهن ضابط المباحث وقال « مرقعة بنات » واضطررت أن أوافقه على رأيه منافقا ، بينما كنت في قرارة نفسي سعيدا بهذا الاحتفال !

ونسيت أن أقول لك انني سررت عندما علمت أن وزنك نقص ، وأن بنطلوناتك أصبحت في حاجة الى تضييق .. ولقد كنت أتمنى أن تنتهز الفرصة وتنقص وزنك . ولعلك لا تعرف أنني أرتدي حزامك الأسود بعد أن أضفنا اليه عدة خروق ، وانني أستعمل كلسوناتك . وانني ارتدي بعض كرافتاتك ! وهذا يسعدني كثيرا ، فإنني أشعر وأنا أرتديها كأنك معي .. لا أستطيع أن أحضر أي شيء من بيتي .. لأن بيتي مغلق بالضبة والمفتاح بأمر نيابة أمن الدولة !

أما حالتي المعنوية فهي جيدة ، وكلما أحس بحب الناس أجد في ذلك هناء وسعادة . وانني متفق معك في ان الناس هائلون . وأن حبهم هو اجمل ما في الحياة . وكم أشعر بسعادة وأنا امشي بين المسجونين وأراهم يرفعون أيديهم الى السماء ويبتهلون لي ، أو يقولون ربنا معاك . قلوبنا معاك . كلنا معاك ! ان هذه التحيات التي أسمعها في كل مكان كأنها موسيقى بتهوفن الخالدة التي لا أمل سماعها والتي تملأ روحي هناء وتفاؤلا وإيمانا .

والان تعال أضمك الى صدري وأقبلك قبلة طويلة ، طول الأيام ، والأسابيع ، والشهور ، التي لم نلتق فيها ..

وسوف نلتقي بإذن الله ..

خطاب على جهاز تسجيل !

سجن الاستئناف
٢٣ مارس سنة ١٩٦٦
أخي العزيز ...

لا تتصور فرحي بخطابك الذى هربوه الى ، الذى اخبرتنا فيه بوصول حديثي « على جهاز التسجيل » الذى سجلته خيرية في الزيارة في غفلة من الحراس . لقد كنت أنتظر بفارغ صبر لأعرف انك تجلس الان في فراشك وتسمع صوتي ... ولاشك أن صوتي جعلك تعيش معنا باذنك بعد أن عشت معنا بإحساسك وبقلبك . وأرجو أن يجيء اليوم الذى نعيش فيه معا بعيوننا أيضا ! أن نجاحنا في إدخال جهاز تسجيل داخل السجن ارسل عليه إليك خطاباتي بصوتي هو مغامرة مذهلة لا يقوم بها إلا مجانين .. وقد قمنا بها !

ولقد فرحت بالخطاب لأنه كان خطابا طويلا . وكنت عادة أضع الخطاب في جيبي الى أن يغلق باب الزنزانة . لأخلو الى الخطاب وأستمتع به . ولكنني لم استطع الانتظار وغامرت ، وجلست أقرؤه وباب الزنزانة مفتوح ، وأنا مهدد بدخول اى حارس أو ضابط قد يسألني ماذا تقرأ ! ولكن ولله الحمد لم يدخل احد ! وقرأته مرة ومرتين وثلاث مرات . ثم قرأته بعد أن اغلق باب الزنزانة ، وقبل أن أنام ، وبعد أن استيقظت من النوم ! وهو سوف يفارقني اليوم ، وكانه حبيب سيفارقني ، وانا سعيد أن الأيام اثبتت ان رأينا في المرأة في محله . فإن في هذه المحنة ظهر بوضوح أن المرأة « ارجل » كثيرا من الرجال ! والواقع أن هذا ليس مفاجأة لى . فقد توقعت ذلك دائما . وأنت لا تتصور حماس النساء والأمهات لك . ففي عيد الأم كانت هناك امهات يزرن أولادهن المسجونين ، وكانت السيدات يقلن لى

« والنبى تسلم على على أمين وتقول له كل أم موش ممكن راح تنساه مهما غيروا اسم عيد الأم » ! لقد صدر قرار بتغيير اسم عيد الأم الى عيد الأسرة حتى ينسانا الناس ، ولم ينسنا الناس ، ولم ينسوا عيد الأم !

ولقد كان اليوم يوما مهما بالنسبة لى . لقد زارتنى أسرتى . وامضينا وقتا طويلا جميلا نضحك ونتحدث ونمرح ونروى قصصا وحواديت . وكانت المقابلة فى غرفة المأمور ، ولكنا لم نشعر بوجوده ! ولقد أحسست اننى أتكلم لك ، وأتكلم معك ، وأقول لك اننى بخير ، وأن أعصابى قوية ، وأن الأيام تمر على بسرعة ولا أصدق أنه مضى علىَّ مسجونا ثمانية أشهر ويومان ! واننى الان أدخل الشهر التاسع ! ولعل كثرة الأحداث التى وقعت لى ، وتتابعها ، وسرعتها ، جعلت الأيام تقفز ، ولا تجعلنى أشعر أنها تمضى على مهل !

ولقد كان اليوم يوما جميلا حقا . فما كدت أخرج من مقابلة أسرتى حتى رأيت فى الحوش ابراهيم شفيق القبانى مندوب بنك التسليف فى الشركة العامة لمنتجات الجوت وسيد حسن عزام المهندس بقسم التجهيز بشركة الجوت ، وهما المتهمان بأنهما قالا أن مصطفى أمين مظلوم وسيطلع براءة ! ومشيت معهما فى الحوش وقالا انه مضى عليهما فى السجن ٣١ يوما . فقلت لهما أن شعورى انهما سيفرج عنهما فى خلال ثلاثة أيام . وأن هذا هو احساسى ، فإذا لم يتم هذا فمعنى ذلك اننى فقدت أحسن خواصى ، وهى حاسة الاحساس !

وما كدت أنتهى من هذا الحديث حتى جاء مسجون من الذين يعملون فى ادارة السجن وهمس فى أذاننا بأنه وصل الان خطاب من النيابة بالافراج عنهما بدون كفالة ، وهجم الاثنان على بالقبلات ، وقبلتهما ، وشعرت بسعادة لا حد لها بالافراج عنهما ، فقد هزنى أن يقبض عليهما بسببى ، وتعذبت وأنا أرى زوجة أحدهما تبكى ولا تستطيع أن تواجه عريسا وراء القضبان ، وهى لاتزال فى شهر العسل !

وانتشر الخبر فى السجن كله ، وأقبل على السجانون والمسجونون يهنئوننى ويقولون لى]عقبالك » . وراح المسجونون يستنتجون من الافراج عن هذين المسجونين انه سيفرج عنى أيضا ! وحاولت أن أفهمهم أنه لا علاقة بالافراج عنى بالافراج عن المهندسين . ولكن المسجونين أصروا - رأسهم وألف سيف - أن لا بد أنه سيفرج عنى قريبا جدا . وراهنى مسجون اسمه الأستاذ مصطفى عبدالعظيم بعشرة جنيهات انه سيفرج عنى فى خلال خمسة عشر يوما ! وهرول السجانون الى يقولون انهم

واثقون أن معنى الافراج عن هذين المهندسين انه سيفرج عنى خلال أيام ، ويقسمون ويؤكدون ويراهنون ، ويتهمونني بأنني أعرف أنه سيفرج عنى ، وانى اخفى عنهم هذا السر الرهيب ! وعبثا حاولت اقناعهم أن هذه الأحلام لا أساس لها من الواقع . وغضب بعضهم وقالوا لى : سيبنا يا أخي نفرح ! لماذا تريد أن تنكد علينا وتفسر هذا الحلم الذى نشعر جميعا بأنه سيتحقق فورا ..

وقلت لهم اننى لا أريد أن يبنوا قصورا فى الهواء ، واننى أعتقد أن المسألة ستطول .. ولكن أحدا منهم لا يريد أن يصدقنى . ان كل من فى السجن يتصور اننى سأخرج قريبا ، وأن المسألة مسألة أيام .

وكثير من هؤلاء يحبوننى ، وبعضهم يحبون أنفسهم .. إذا خرجت فسوف أبلغ المسئولين المظالم التى شهدتها بنفسى ولمستها بيدى ..

ولقد سررت كثيرا بأن فائق السمرائى وسعيد فريحة مقتنعان تمام الاقناع ببراءتى بعد أن حاولت المفتريات والأكاذيب أن تضلل سعيد . ولا تتصور يا على فرحى وسعادتى عندما أسمع بأن الرأى العام مؤمن ببراءتى ، لا فى مصر وحدها ، بل فى كل البلاد العربية ان هذا أكبر عزاء لى . انه يجعلنى أحب الناس كلهم . يجعلنى أتمنى أن آخذ الدنيا كلها بين ذراعى وأقبلها وأشكرها . اننى أرى الرأى العام هنا كل يوم ! اننى أحس به وألمسه وأصافحه وأتحدث اليه . انهم يقولون لى بألسنتهم وبعيونهم وبأيديهم أشياء جميلة تسعدنى . هى الدواء لجراحى ، والبلسم لآلامى . انه لولا هذه المحنة لما رأيت عواطف جميلة بريئة طيبة مخلصة كالتى رأيتها . أولئك الناس الذين يعرفوننى ولا أعرفهم . الذين لا أملك لهم ضرا ولا نفعا . ولكن يعطوننى حبا وثقة ودعوات جميلة نبيلة . لقد كنا على حق فى ايماننا بهذا الشعب ، وفى تفانينا فى خدمته والدفاع عنه ، ان فى هؤلاء البسطاء وفاء غريبا ، انهم لا ينسون أبدا أى شىء قدمناه لبلادنا . انهم يتحدثون عنا وكأنهم يعرفوننا طوال أعمارهم . وفى بعض الأحيان احس بأن ما أعطاه الناس لى فى هذه الفترة الوجيزة هو اضعاف ما أعطيناه للناس طول عمرنا . وأن الله لا يمكن أن يتخلى عن الذين عاشوا حياتهم للناس ومن أجل اسعاد الناس ، ولم يفكروا يوما فى انفسهم . وهذا ما يجعلنى أؤمن بأننى سأجد هؤلاء الناس الطيبين فى أى مكان سأذهب اليه . وانه مهما حدث فإن الناس سيكونون النافذة التى أطل منها إذا أغلقت جميع النوافذ ، وسيكونون الباب الذى أخرج منه ، اذا أغلقت كل الأبواب بالسلاسل والقضبان ، وسيكونون درعى إذا انهالت على

السهام ، وسيكونون الشعاع اذا أظلمت الدنيا أكثر مما أظلمت حتى الآن ..

ولقد حدث منذ أيام أن جاءنى شاب مسجون وقال اننى أريد أن أصافحك ' أريد أن أتحدث معك دقيقة ' وتحدث معى وتكلم عن نفسه ، وكيف أنه يخشى اذا خرج من السجن أن يعتقل ، وأن البوليس لفقق ضده تهمة احراز مسدس بدون رخصة ودهشت لالحاح هذا الشاب فى أن يرانى ورفضه أن ينتظر الى اليوم التالى ، فقد كنت أتحدث مع بعض الأصدقاء ..

وفى اليوم التالى سمعت أن هذا الشاب نفسه هرب '

فقد غافل حارسه فى المحكمة واختفى ، ولم يعثر البوليس له على أثر ..

وعندما سمعت هذا عرفت ، لماذا أصر هذا الشاب على أن يصافحنى فى اليوم السابق !

لقد أراد أن يصافحنى قبل أن يهرب !

ويحدث أن تجرى فى السجن مناقشات

بعض الناس لا يتصور أنه يوجد فى هذا البلد من يتحمل الاساءة لشخصه ، ولا يغير مبادئه ، ولا يحاول أن يحطم الذين حطموه ' وكم أقول لنفسى : آه لو يعلمون ما تحملت ' آه لو عرفوا اننا وقفنا ندافع عن هذه الثورة طوال هذه السنين الطويلة ، برغم ما كان يصيبنا شخصيا منها ! لو علموا مثلا أن الجمهورية صدرت سنة ١٩٥٤ وهدفها الأول أن تفلس أخبار اليوم وكيف كان بعض المسئولين يهدد أصحاب الاعلانات بالنفى خارج البلاد اذا وضعوا إعلاناتهم فى أخبار اليوم ، وكان يحرق سيارات التوزيع بقنابل مولوتوف ، ثم جاءت أزمة مارس فنسينا كل هذه الاساءات ووقفنا الى جانب الثورة ، عندما تخلى عنها الجميع ، وخرجت المظاهرات تهتف بسقوطها . وقال لنا الرئيس جمال عبدالناصر يومها انه لن ينسى مادام حيا موقف أخبار اليوم فى أزمة مارس .

وسوف يذهلون اذا علموا أنه عندما كانت أخبار اليوم تحارب معارك الثورة كلها . وكنا نقوم بالدعاية لها فى صحف العالم الكبرى كانت لجنة الكسب غير المشروع تحقق فى أخبار اليوم وتبحث دفاترها ، ومكثت تحقق فى كل مليم دخل أخبار اليوم وبعد ذلك وضعت تقريرا قالت فيه أن كل قرش دخل أخبار اليوم حلال ..

وسوف يذهلون اذا علموا أن الرئيس جمال عبدالناصر عرض علينا مكافأة مبلغ مائة ألف جنيه ، وأننا رفضنا أن نأخذ مليما واحدا بينما كان الناس تتصور اننا مأجورون لهذه الثورة . واننا نقف هذا الموقف المتحدى لأننا نقبض الألوف من جمال عبدالناصر ! والذى كان يحدث اننا كنا ننفق .

على الدعاية لبلادنا من أموالنا . ونسافر فى مهام رسمية لبلادنا ونرفض أن نتقاضى مليما واحدا بينما يتقاضى الوزراء وكبار الموظفين نفقات سفرهم وإقامتهم فى مهام لا قيمة لها '

وهم لا يتصورون أن أخبار اليوم قد أممت دون أن نأخذ مليما واحدا ، أو نطلب مليما واحدا ، بينما كل أصحاب الصحف أخذوا تعويضات ، أو خرجوا يملكون العمارات

وهم لا يصدقون اننا ، أنا وأنت ، الوحيدان فى الصحافة اللذان ليس لنا معاش ! ومئات الأمثلة الأخرى ، لا أظن أن التاريخ سوف يغفلها ، أو سوف ينساها ، ولا يهمنى أن يعرفها الناس ، بل لا أريد أن يعرفوها ، فأنا كما قلت كل ما يهمنى هو التاريخ . وهو أحكم القضاة العدول .

وانني أشكرك على المبلغ الذى أرسلته لخيرية ، فقد كنت فى أشد الحاجة إليه ، فقد انتهيت من كل النقود التى كانت عندى . وأرجو اذا كان فى الامكان ارسال مبلغ آخر

وقد سررت أن خيرية وزينب لم تنسيا أمى فى عيد الأم ، فقد ذهبتا ووضعتا وردا على قبرها فى ذلك اليوم . اننى شعرت انهما فعلتا ما تمنيت طوال الوقت أن تفعلاه ، وما أعرف أنك كنت تتمنى لو انهما فعلتاه . والواقع اننى تأثرت بهذا وفرحت به كثيرا ، وكان أجمل هدية تلقيتها فى عيد الأم .

والاشاعات هنا كثيرة بأن الأحكام ستصدر عقب العيد مباشرة ، وبرغم ما سمعته من سعيد ، عن مقابلة محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان للرئيس جمال عبدالناصر ، فإننى افضل أن أكون حذرا فى تفاؤلى حتى لا أصاب بصدمة وأنا أقدر أسوأ الاحتمالات . فإذا صدر الحكم ضدى فمعنى ذلك أنى سأنقل من سجن الاستئناف الى ليمان طره . وهم يقولون انه سجن صحى أكثر من السجن الذى نحن فيه ، والذى يعتبر بشهادة الضابط أسوأ سجون الجمهورية . ويقولون أن سجن طره فيه حدائق ، وفيه حوش للعب الكرة ، ومسرح للتمثيل والسينما . والشىء السيىء فيه أن الزيارة مرة كل شهر لا كل ١٥ يوما كما هى الان وأنه لا يسمح للمسجون بأن يتناول طعامه من الخارج ، وإنما يأكل أكل السجن .

ولقد كان كل ما يهمنى أن أعرف هل يمكن أن أحصل على فول مدمس وبيض دائما . فقيل لى أن ذلك ممكن جدا ، ولهذا فإن الأكل لن يكون مشكلة بالنسبة لى . وستبقى هناك مشكلة السجائر فقد لا يسمحون بالسجائر الكنت ، وممكن أن أعود نفسى على سجائر البلمونت ، ولن تكون هذه مشكلة أيضا .

ومع كل هذه الاحتمالات فإنك ترانى متفائلا بالمستقبل ، وانني معتقد ان غدا يوم أجمل من اليوم ، وان كل يوم يمضى ، يقربنى الى اليوم الموعود ، وأشعر أن الأيام معى وليست ضدى . واننى مؤمن بأن الله لن يتخلى عنا أبدا . وسيعطينا أياما جميلة سعيدة حلوة ، واننا سنضحك كما لم نضحك أبدا ، وسنمرح كما لم نمرح أبدا ، وسنجعل أيامنا أعيادا متصلة الى أن نموت .

وأن كل ما يحدث اليوم هو اننا ندفع ضرائب متأخرة عن أيام حلوة عشناها في الماضى ، وعن أيام حلوة سوف نعيشها في المستقبل . ومن عادة مصلحة الضرائب أن تعطى تخفيضا كبيرا للذين يسددون ضرائب المستقبل قبل موعدها !

لقد مكنا الله من أن نحول الأيام التعسة الى أيام محتملة ، والفضل في ذلك لايماننا وللخطابات التى يهربها أصدقائى ، ولما أراه والمسه من عطف وحب الناس . وهذه نعمة من الله اقدرها ، واشكره عليها واحمده ، وأرجو أن يمنحنى الله الفرصة لأمد يدى لأكبر عدد من البؤساء ، لأسعدهم ، ولأرى الابتسامة على شفاههم ، كما رأوا الابتسامة على شفتى .

والان اقبلك قبلة طويلة .. وإلى اللقاء .

● ● ●

٥٠٠ جنيه من أم كلثوم



سجن الاستئناف
٢٤ مارس سنة ١٩٦٦
أخى العزيز ...

اقبلك وأرجو أن يصل إليك هذا الخطاب منى فى العيد الكبير ليحمل إليك تهنئتى بالعيد ، راجيا أن نحتفل بالعيد الثانى معا ..

رأيت سعيد فريحة . كنت ذاهبا إلى مستشفى القصر العينى لتحليل الدم . وعندما وقفت السيارة أمام الفناء الداخلى رأيت سعيد مع خيرية وزينب . وعانقته وقبلته . كان مذهولا . ثم أشرت بيدى اشارة معناها انه يستطيع أن يقابلنى فى غرفة الطبيب . واظن أن سعيد لم يفهم الاشارة . ولكن زينب وخيرية فهمتا الاشارة ، واللبيب بالاشارة يفهم . لم يكن فى استطاعتى استعمال لغة الكلام . كان معى عدد من الضباط والحراس يحاصروننى . وعندما كنت جالسا مع الطبيب دخل سعيد . وبدلا من أن ينتهز هذه الدقائق الثمينة ليقول لى أخبارك انهمر فى البكاء . وأمضيت الدقائق فى تهدئته وتطييب خاطره . وقال سعيد انه سيفعل المستحيل ليقابلنى فى السجن ! قلت له ضاحكا اعمل المستحيل لاخراجى من السجن !

وبعد لحظات دخل ضابط المباحث وأنهى المقابلة . ومع ذلك سررت بها . وشعرت كأننى قابلت سعيد مرتين ، ومن الطريف اننى رحت أحدثه عن تجديدات اقترحها فى صحف دار الصياد . فقال لى سعيد : مالك وهذا ! المهم هو أنت !

أنا ؟ أنا لست مهما . اننى أفكر فى زنزانتى فيكم فى صحف الصياد . فى صحف أخبار اليوم وفى الصحافة المصرية والارهاب الذى تعيش فيه . فى أصدقائى الصحفيين وتلاميذى الذين يهددونهم طوال الليل والنهار بتحويلهم الى متهمين بالتجسس اذا فتح واحد منهم فمه ودافع عنى !

لقد سررت كثيرا بحضور سعيد . وسررت بالمبلغ الذى أرسلته معه لى . كنت فى أشد الحاجة الى نقود فى السجن . وكنت مهتما بأن يصلنى مبلغ أستطيع به أن أسدد دين أم كلثوم انني لا أستطيع أن أنام الليل وأنا مدين . لقد أنقذتني أم كلثوم فى أحرج لحظات حياتي . عندما قبضوا على أخذوا كل ما معى من نقود . أوقفوا مرتبى . رفضوا أن يدفعوا أى معاش . صادروا أموالى فى البنك . كان القرار أن أموت جوعا . سدوا على جميع المسالك حتى لا يصلنى قرش واحد منك .. أنفقت سكرتيرتى زينب كل ما تملك على . باعت مصوغاتها . لم يبق معها مليم واحد لشراء الطعام الذى يرسلونه الى يوميا فى السجن . كنت أعرف أن كثيرين من أصدقائى سوف يقبلون* أن يقرضونى فى هذه المحنة . ولكنى رفضت أن أحرجهم لأننى أعرف أنهم كانوا يقبضون على كل من يمد يده بمساعدة مسجون سياسى . أعرف أن عددا من تلاميذى كان على استعداد لأن يقامر بهذه التضحية ، ولكنى لم أشأ أن أعرض واحدا من زملائى للمحنة التى تعرضت لها .

فكرت فى أن ألجأ إلى أم كلثوم . قلت لها اننى فى حاجة فورا إلى مائتى جنيه وأحب أن أنبهها أن هذا المبلغ سوف يعرضها لسخط الدولة ، ان لم يعرضها لتوضع أموالها كلها تحت الحراسة ! .. قلت لها اننى لن أتضايق إذا رفضت أن تدفع هذا المبلغ وإذا رأت أن الظروف لا تسمح لها بأن تقرضنى هذا المبلغ . قلت لها اننى لا أعرف متى أرده لها . فقد لا أستطيع أن أرده قبل عشرة أعوام ، وقد لا أستطيع أن أرده أبدا !

وأرسلت لى أم كلثوم خمسمائة جنيه ، ورفضت أن نوقع لها ايصالا بالمبلغ .

ان النقود التى أرسلتها الى وصلتنى فى الوقت المناسب ، بعد أن انتهيت من انفاق آخر مليم كان معى فى السجن ..

من أهم الأخبار عندى أن بعض المسجونين السياسيين خرجوا من السجن لحضور جلسات محاكمتهم أمام الفريق الدجوى ، وعادوا يخبروننى أن أفراد أسرهم الذين رأوهم فى المحكمة ، قالوا لهم أن راديو اسرائيل أذاع أنه تم الافراج عنى ! وقلت فى نفسى هذه مصيبة لأن معنى ذلك أن الدولة لن تفرج عنى ، حتى تثبت أن أخبار اسرائيل كاذبة ! وكانت اذاعة اسرائيل قالت قبل ذلك أنه صدر الحكم على بالسجن خمس سنوات مع ايقاف التنفيذ . وغرض اسرائيل من هذه الأنباء أن تقول أن مصر تضغط على الحريات وتقبض على الصحفيين .

حالتى فى السجن تتحسن يوما بعد يوم . وبعد أن كنت أنام مبكرا ، وأستيقظ عند صلاة الفجر وأبدأ القراءة ، أصبحت أقرأ حتى الساعة الواحدة صباحا على صوت أم كلثوم الذى يذيعه ميكرفون السجن . وأصبحت أستيقظ فى الساعة السادسة صباحا . وانقطعت عنى الصحف الانجليزية فترة ثم استأنفت الوصول . وقرأت كتابا ترجمة أحمد بهاء الدين عن رسائل نهرو من السجن الى ابنته أنديرا غاندى . وقرأت كتابا عن بنيتو موسولينى تأليف كريستوفر جيزيت .. ورأيت فيه شبها مما يجرى عندنا ، وأرجو ألا تكون النهاية واحدة ' وقرأت كتاب تيرنس روبرتسون عن القصة الكاملة لمؤامرة السويس .

أمشى الآن ساعة كل يوم ، حرارة الجو تجعل المشى غير مريح .

تسليتى هنا أن كل مسجون يريد أن يقابلنى ويعرض على قصته أو مشكلته أو قضيته الكل هنا يفتقد « فكرة » ويقولون انها كانت شعاع الأمل الوحيد فى ظلام حياتهم . لقد أطفأوا آخر شمعة فى هذا البلد !

يقولون لماذا لا تطبع « فكرة » فى مجموعات . وعدتهم اننى سأقنعك لكى تفعل ذلك . فى رأيى أنه يجب ألا تتردد أبدا . ابدا فى إعداد هذه الكتب وأطبعها فورا .

أمضى بعض الوقت فى القيام بوظيفة « قاضى الغرام » مسجون يختلف مع زوجته ويقرر أن يطلقها ، ثم يجىء ليستشيرنى .. وحدث أمس أن كنت فى الفسحة ، وجاءت زوجة أحد المسجونين التى كانت فى الزيارة ، وحاولت أن تقبل يدى . وقالت لى أنا زوجة محمود ! ولم أعرف من هو محمود هذا ! فقالت لى : المسجون الذى كان يريد أن يطلقنى وانت نصحته بألا يطلقنى ، وقد أبلغنى اليوم أنه نزل عند رأيك وعدل عن الطلاق !

وحمدت الله اننى لم أنصحه أن يطلقها ، وإلا لأمسكت بزمارة رقبتى فى حوش السجن !

ومن الغريب أن المسجونين العاديين يتوهمون اننى أفهم فى كل شىء فى القانون .. وفى المسائل المالية وفى الخدمات الزوجية ..

وحدث من أيام أن جاءنى مسجون وهمس فى أذنى أنه قرر الهرب ، وأنه أعد كل شىء ، وأنه جاء يستشيرنى ويعرض على الخطة التى وضعها ليهرب .

وشعرت بسعادة لأنه ائتمنى على سره الرهيب .. ونصحته بألا يهرب ، واقنعته بأنه لو هرب اليوم فسوف يبقى طول حياته مطاردا من الشرطة ، وقبل الشباب نصيحتى وهو يبكى ..

وبعد خمسة أيام فقط حكمت المحكمة ببراءته ...

وجاء الى السجن ليأخذ ملابسه وعانقنى وشكرنى على النصيحة !

ولقد كنت فى أول الأمر أضيق بالزنزانة التى أعيش فيها . فقد كانت تغلق أبوابها ٢٣ ساعة ونصف ساعة فى كل يوم . ولا تفتح إلا نصف ساعة فقط .. وكان اذا مر المأمور فى غير الوقت المحدد لفتح زنزانتى . ورأى الزنزانة مفتوحة اقام الدنيا وأقعدها ! وعرفت أن هناك تعليمات من وزير الداخلية بالتشدد معى أنا بالذات أكثر من بقية المسجونين . بمعنى أن زنزانات المسجونين الاخرين كانت تفتح طوال النهار . فيما عدا زنزانتى أنا ..

ثم وصلت النقود ! واشتريت سجائر بلمونت ! والسيجارة البلمونت هى الجان الذى يقول : افتح ياسمسم فى مغامرة ألف ليلة وليلة ! فما يكاد باب الزنزانة يرى السيجارة البلمونت حتى ينفتح عن آخره وهكذا استطاعت سيجارة بلمونت أن تقاوم وزير الداخلية !!

وهكذا امكن التغلب على الأوامر المشددة . وأصبحت زنزانتى تفتح طوال اليوم فيما عدا الدقائق التى يمر فيها المأمور . أو أحد الضباط الذين يحبون تنفيذ التعليمات حرفيا !

وبعض ضباط السجن آدميون . يتورون على هذه الأوامر الوحشية . ويعاملوننا كآدميين . وهؤلاء الضباط أخاف عليهم . خشية أن تكتشف مصلحة السجون انهم آدميون فتضعهم معنا فى الزنازين ! والعجيب أن حرصى على هؤلاء الطيبين يجعلنى لا أحاول تهريب الخطابات فى وردياتهم . حتى أحميهم من خطر العقاب . وأجد لذة عجيبة فى استغفال الضباط القساة الذين يعاملون المسجونين كأنهم حيوانات لا تعمل إلا بالضرب والصفع والركل والشتائم والاهانات !

ولست وحدى الذى يفعل هذا . كل المسجونين الاخرين لا يرتكبون المخالفات إلا فى وجود الضباط الجلادين !

وأمضى وقتى فى التمشى مع المسجونين فى دهاليز الطابق الثانى . أدخن سيجارتى . وأتحدث الى المسجونين . وأستمع الى قضاياهم . وأشترك معهم فى إعداد الدفاع عن انفسهم .

وانا على صداقة وطيدة مع ثلاثة شبان متهمين فى قضية رشوة . أحدهم هو فاروق عبدالقادر مدير شركة النصر للتصدير . ومحمد هاشم مساعده . ولبيب المتولى مراجع الحسابات . وكل واحد منهم شخصية مختلفة . ولكن تجمعهم قضية واحدة . فاروق شاب مؤدب جدا . هاشم يحب المناقشات

لبيب شاب ظريف مرح خفيف الدم يقطع صور الفتيات الجميلات من مجلة الشبكة ، ويمضى طول الليل يحلم بهن وهو نائم فى الزنزانة ، ثم يقوم فى الصباح يستحم ويتطهر ويصلى !

وقد درست قضيتهم بإمعان ، وبحثتها بعناية ، واكتشفت أن القضية ملفقة فعلا وانها لو عرضت على أى محكمة عادلة ، فسوف تحكم ببراءتهم . ولكن احد الأجهزة لفق القضية ، ورمى شاهد الاثبات من النافذة بعد أن أرغمه على الاعتراف على المتهمين الثلاثة !

وفى كل قضية من القضايا المسجونة معنا فضيحة ! وكلها تدل على أن العدالة فى اجازة ، وأجازة طويلة ! أحيانا اجلس فى زنزانتى وأتمنى أن اخرج لادافع عن كل واحد من هؤلاء المظلومين ، لأهاجم التلفيق والكذب ، ثم أجد اننى وحدى أعجز من أن أفعل هذا . ومن كثرة المظالم التى أراها امامى اصبحت اعتقد ان الله وحده هو الذى يستطيع أن يرفع كل هذا الظلم ! وهى مهمة تحتاج الى سنوات وسنوات ، لأن العدل يركب السلحفاة ، والظلم يركب الصاروخ !

ان هؤلاء الثلاثة المتهمين كذبا بالرشوة مضى عليهم فى السجن ١٦ شهرا ، ويلحون فى المطالبة بسرعة محاكمتهم ، ويرسلون البرقيات يتوسلون فيها الى المسئولين أن يقدموهم الى محكمة الجنايات !

والمسئولون يخشون اذا هم قدموهم الى محكمة عادية أن ينفضح الجهاز الذى لفق القضية !

واخيرا جاءتهم البشرى : انهم سيقدمون الى محكمة الجنايات فى الاسبوع الأول من شهر ابريل !

أصبح الناس فى هذا البلد يرقصون من الفرح اذا قدموا الى محكمة الجنايات ، لأن فيها شهودا ودفاعا وقضاة ، واستئنافا ، ونقضا وإبراما ، وعدالة !

وكل هذا غير موجود فى المحاكم الاستثنائية التى يرأسها الفريق الدجوى !

ومع ان السيجارة البلمونت اصبحت الان تقوم بدور مفتاح الزنزانة خير قيام إلا اننى أصبحت أدخل الزنزانة قبل الموعد المقرر ، وأنفرد بنفسى فيها ، وقد رتبت الزنزانة بحيث اصبحت بالنسبة الى الزنازين الأخرى غرفة شبه محترمة ! واحضرت خمس شماعات وعلقتها فى الحائط لأخفى الشقوق والثقوب التى فى بياض الزنزانة ، وأعلق بذلاتى وكرافتاتى على شماعة ، والروب دى شامبر على شماعة ، والفوطة على شماعة ، والبرنس

على شماعة . واكثر شيء يضايقنى هو دخول التراب من نافذة الزنزانة ومن بابها ، وقد احضرت غطاء نايلون احفظ فيه البدلة لأحميها من التراب ، فلا أكاد أفتح النافذة حتى يهب نسيم من التراب يغطى الحائط والملايات البيضاء والكتب والعبد لله !

ولكنى أستفيد من الكوارث كعادتى ، فانا أغسل الصحون بنفسى ، بعد أن يتولى غسلها أحد المسجونين ، وأجد لذة فى اننى أستطيع أن أتناول طعامى فى طبق نظيف ، هذه نعمة كبرى أرجو الله أن يديمها ! ..

وكان من اكثر متاعبى أن مفتاح النور ليس فى داخل الزنزانة ، وإنما خارج الزنزانة ، وبعد اغلاق الزنزانة يجب أن آتى بكرسى واقف عليه حتى اصل إلى الشراعة التى فوق الباب ، وأمد ذراعى بين قضبان الشراعة ، وأقوم بعدة حركات بهلوانية إلى أن تصل يدى إلى مفتاح النور . ولا تستطيع ذراعى أن تدخل بين القضبان الضيقة إذا كنت مرتديا جاكتة البدلة ، أو الروب دى شامبر . وكثيرا ما كان يحدث أن أكون راغبا فى النوم ، ولا أكاد أنتهى من هذه الحركات البهلوانية حتى يطير النوم من عينى ، واقوم بهذه العملية البهلوانية مرة أخرى لأضىء النور حتى أقرأ ..

وأخيرا عودت نفسى أن انام والنور مفتوح ...

ولما كانت الحاجة أم الاختراع ، فقد استطعنا تهريب لمبة مكتب كهربائية ، وأمكن عمل بريزة « سرية » تحت السرير .. وأصبح هذا المصباح يحل كل المشاكل .. وفى الصباح أخفى المصباح تحت الكتب والمجلات قبل أن يبدأ التفتيش الصباحى على الممنوعات !

ونحن نمضى بعض أوقاتنا فى الضحك ! نعم نضحك ونحن داخل الزنازين !

اننا نقاوم الجلادين بالضحك ! وأعتقد أن ضحكاتنا قادرة أن تحمينا من عذاب وآلام سياط الجلادين !

ان زميلنا الارهابى رقم ١١ شكا الى ادارة السجن من أنه يخاف من النوم وحده فى الزنزانة ، لأنه يرى أشباحا داخل الغرفة ، وأقسم انه رأى أقزاما برؤوس مقطوعة يحملون نعشا داخل زنزانته ، وأن القطط والعفاريت لا تجعله ينام ...

وإدارة السجن تعرف جيدا أن الارهابى رقم ١١ خواف جدا على الرغم من أن الادعاء فى المحكمة اتهمه بانه ارهابى خطير جدا وسفاح وانه سيلقى القنابل والديناميت على كبار رجال الدولة !

ولهذا سمحت له ادارة السجن أن ينام مع ثلاثة من المسجونين السياسيين فى زنزانة واحدة .

واطمأن الارهابى رقم ١١ ، ودخل الزنزانة ضيفا على أصحابها الثلاثة ، ويبدو أن اطمئنانه زاد ، وتأكد انه ليس وحده فى الزنزانة ، فأراد أن يخيف زملاءه ، فادعى انه يستطيع استحضار العفاريت !

وتظاهر الموجودون فى الزنزانة انهم يصدقونه ..

وأطفأوا الأنوار ، حتى تطمئن العفاريت ، وراح الارهابى رقم ١١ يقرأ التعاويذ ، ويطلق أسماء الله الحسنى . ثم ادعى أن العفاريت لا تظهر لأن أحد الموجودين فى الغرفة نجس ، وانه مع ذلك يمكن احضار أحد العفاريت الحمر ، وهؤلاء العفاريت ارهابيون خطرون فوافق المسجونون على استحضار واحد منهم .

وبدأ الارهابى رقم ١١ يتلو التعازيم من جديد ، ثم فجأة غير صوته بصوت عفريت وقال « السلام عليكم » ايذانا بأن العفريت قد حضر فى الظلام الدامس .. وهنا قام زملاؤه فى الزنزانة على اطراف أصابعهم ، والقوا على الارهابى بطانية سوداء ، وانهالوا عليه يضربونه فوق رأسه بالشباشب .

وتصور الارهابى رقم ١١ أن العفاريت حضرت فعلا ، وأن اللعبة « انقلبت جد » فأخذ يصرخ ويولول ويصيح - الحقونى ياهوه ! العفاريت بيضربونى !

وحدث قبل ذلك بأيام أن ذهب الارهابى رقم ١١ إلى دورة المياه ، واتفقنا مع أحد المسجونين السياسيين أن يختبىء تحت سريره . وعاد الارهابى الى زنزانته وأغلق الحارس عليه الباب بالمفتاح ، وأطفأنا الأنوار ، وما كاد الارهابى رقم ١١ يجلس على سريره حتى بدأ يسمع صوتا غريبا ، وأصيب بذعر ، وفتح النور فلم يجد أحدا ، ولكنه وجد أن كلسونه فى حاجة الى التغيير .

وأبدل الارهابى كلسونه بكلسون نظيف ، وإذا بصوت مجهول يقول له : أنا عفريت واحد نفذوا فيه حكم الاعدام !

وما كاد الارهابى رقم ١١ يسمع هذا الصوت المخيف حتى أصيب بهلع ، وفى هذه المرة أراد أن يغير الكلسون ، وجميع ملاءات السرير !

وفى السجن شخصيات غريبة ، بينها المسجون جليل عوض ، وهو يرفض أن يناديه أحد باسم جليل ، ويصر أن اسمه « جليلة » وهو أحد المصابين بالشذوذ الجنسى المنتشر انتشارا خطيرا داخل السجن .

وكانت جليلة ترتدى خارج السجن ملابس سيدة ، وتعيش كأنها سيدة تماما ، وتتكلم بصوت السيدات وتمشى مشيتهن . والسجن كله بما فيه من حراس وضباط يعاملون جليل كأنه سيدة ، وينادونه ياجليلة ، أو يا أنسة جليلة أو ياست جليلة !

وجليلة هذه فى الستين من عمرها ، سمراء ، وهى تتباهى وتروى ذكرياتها عن شبابها عندما كان لها ستة عشاق فى شارع واحد !

وأهم شخصية فى السجن تاجر مخدرات ، ونطلق عليه اسم الحاج ابراهيم ، ويتحرك فى موكب ، ويسير أمامه أتباعه ، يوسعون له الطريق ، وخلفه مسجون يحمل فوطة ومسجون يحمل السجائر ، ومسجون يحمل الكبريت

وعندما يتضايق ملك المخدرات من حارس لا يحبه ، يشير بإصبعه الى أحد أتباعه ، فيتقدم التابع ويضرب الحارس علقة ، ولا يهم المسجون العقاب ، كل ما يهمه أن يرضى ملك المخدرات !

ومن أكثر الجرائم المنتشرة الآن داخل السجن الاختلاسات والرشوة ، وفى كل يوم نرى زبائن جددا من المتهمين فى هذه القضايا . ولاحظت أن الرشوة تنتشر فى عصر الظلام . وتحدثت إلى كثير من المختلسين والمرتشين ، ووجدت أن الذى شجعهم على ارتكاب هذه الجرائم انهم كانوا يستظلون بحماية بعض أصحاب النفوذ ، وكانوا يتصورون انه مادام هؤلاء أقوياء فلن يجرؤ أحد على كشف أمرهم ، وكان يشجعهم على ذلك أن الصحف تحمى الكبراء أو من يلوذ بهم ، ولقد فهمت الان لماذا كان الذين يحيطون بأصحاب النفوذ يعارضون بشدة حرية الصحافة ، ويقاومون كل محاولة لتحرير الصحافة من الرقيب ، وفى أول الأمر كنت أظن أنهم يفعلون ذلك لايمانهم بالدكتاتورية ، وتبينت فى السجن انهم كانوا يحمون أنفسهم من خطر اضاءة الأنوار !

والشىء الذى يستوقف النظر فى السجن هى حالة الحراس السيئة ، تصور أن العامل خارج السجن يعمل سبع ساعات فى اليوم ، والحارس داخل السجن يعمل ١٢ ساعة ولا يأخذ بدلا ، ومرتباتهم ضعيفة جدا ، ومرتب يومهم لا يكفيه لكى يأكل هو وأولاده عيش حاف ثلاث مرات كل يوم ! « وعيش وزيتون » مرة فى الاسبوع !

وحالة الفقر والبؤس والجوع تجعل بعضهم يقسو على المسجون ، ويجعل بعضهم يهرب المخدرات داخل السجن ، أو يقاسم المسجون طعامه وسجائره ..

وأعتقد أننا عندما نريح السجان سوف نريح المسجون ، لأن السجان البائس المعذب يجعل حياة المسجون جحيما لا يطاق .

لن تدخل السجن !

سجن الاستئناف
٢٥ مارس ١٩٦٦
أخي العزيز ....

زارني هيكل يوم الخميس . قال لي أن الرئيس يبلغني سلامه وتحياته ! وقال هيكل أن الرئيس لا يستطيع تخفيف الحكم لأسباب سياسية . ولكن الرئيس يعدني أنني لن أدخل السجن . وكل ما سوف يحدث أنني سوف أنقل بعد الحكم إلى المستشفى فلا أدخل السجن على الاطلاق ، وسأبقى في المستشفى ، ثم بعد ذلك يصدر قرار بالافراج الصحي .

وقال هيكل انه أبلغ الرئيس بما قلته في المقابلة السابقة ، بأنني لا أرغب في أن أذهب الى مستشفى قصر العيني ، لأن الحالة فيه سيئة . وأن الرئيس وافق أن انقل من السجن إلى مستشفى الكاتب ، أو أي مستشفى خاص أريد أن أقيم به فترة من الوقت إلى أن يتم الافراج عني .

ولا أعرف لماذا أشعر أن هيكل يكذب علي . ولا أفهم لماذا تمت محاكمتي على الاطلاق إذا كان هيكل صادقا فيما قاله لي من أن الرئيس يريد أن يبلغني أنه لا يزال يحبني وأنه لن ينسى أبدا الخدمات التي قدمتها لبلادي .

قال لي هيكل أن علي صبري وسامي شرف وصلاح نصر هم الذين وقفوا ضدي ، وانهم يكرهونني ، وانهم الذين تحمسوا لعمل القضية وتحمسوا لتقديمي إلى المحاكمة .

حدثني عن عمله كرئيس مجلس ادارة أخبار اليوم إلى جانب رياسته لمجلس ادارة الأهرام . وكان يبدو سعيدا لأنه يتولى رياسة المؤسستين معا .

قال لى أنه أراد إخراج جميع المحررين الشيوعيين من أخبار اليوم . وأن على صبرى وكمال رفعت وقفا ضده فى اخراج ستة من الشيوعيين الذين أراد اخراجهم من أخبار اليوم .

وانه أخرج اثنين منهم ، وسيخرج صلاح حافظ وسعد كامل من اخبار اليوم ، وسيعينهما محررين فى مجلة « بناء الوطن » وقال لى أنه سيخرج عددا من محررى أخبار اليوم المشاغبين وغير المنتجين ، وينقلهم الى مؤسسات أخرى غير صحفية .

قلت له أنت تعلم انه عندما أراد الرئيس أن ينقلنى من منصب رئيس مجلس ادارة الهلال الى رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم قال لى أن أكتب له قائمة بأسماء جميع محررى أخبار اليوم الذين لا أريد أن أتعاون معهم لينقلهم إلى مؤسسات غير صحفية .

ويومها قلت للرئيس اننى وأنا صاحب أخبار اليوم لم أفصل محررا أو عاملا ، فكيف أفصل محررا وأنا أجير ؟

اننى لا أريد نقل أى صحفى من أخبار اليوم إلى مؤسسة غير صحفية .

قال الرئيس : ولكن كيف تعمل معهم ، وقد شتموك ، عندما أعطيتك اجازة ، وأخرجتك من أخبار اليوم ..

قلت له : ان كل هؤلاء أولادى ، ومن حق الولد على أبيه أن يتبول عليه وهو يضعه فوق ركبته !

ولم أفصل محررا أو أحدا من الذين شتمونى .

وبعد ذلك حدثت مجزرة جريدة الجمهورية ، عندما صدر قرار بتعيين عشرات من محررى الجمهورية فى شركات السردين ومؤسسات اصلاح الأراضى والأخشاب والأحذية .

وحاولت يومها جاهدا أن أوقف هذا القرار الغاشم وفشلت ، وقال لى المشير عامر يومها أن الغرض من هذا القرار هو إنقاذ جريدة « الجمهورية » من الغرق !

وكانت النتيجة أن « غرقت » الصحافة كلها !

قال هيكل : هل تعلم أن سعد كامل وصلاح حافظ شتماك بعد دخولك السجن .

قلت : أعلم ذلك ، ولكن سابقة اخراج محررين من أخبار اليوم ونقلهم الى مؤسسات أخرى هى كارثة الصحافة .

قلت لهيكل أن الصحف المصرية فى الوقت الحاضر لا تعجبنى . اننى أشعر أن المحررين يكتبون وهم يرتعشون من الخوف . الطباعة زفت .

فأبدى هيكل دهشته ، وقال انه يبحث عن شخص ليتولى رياسة تحرير جريدة « أخبار اليوم » وعن شخص آخر يتولى رياسة تحرير مجلة « آخرساعة » . ورشحت احسان عبدالقدروس لأخبار اليوم . وقلت أن فى اخبار اليوم عددا من المحررين الأكفاء كل منهم يصلح رئيسا لتحرير آخرساعة . رشحت سعيد سنبل لأخبار اليوم وأحمد زين لرياسة تحرير الأخبار ، فقال انهما صغيرا السن .

قال لى أن خالد محيى الدين رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم هو الذى اتصل بالدكتور عبدالقادر حاتم وطلب منه وقف مرتبى فى اليوم التالى للقبض على وأن الدكتور حاتم أرسل بعد ذلك خطابا إلى مؤسسة أخبار اليوم بوقف مرتبى .

وأنا أعرف أخلاق خالد محيى الدين ، وأعرف أنه ليس الرجل الذى يطلب وقف مرتب صحفى يوم القبض عليه ، بغير انتظار نتيجة الحكم عليه ، وهو شىء لم يحدث له مثيل فى تاريخ اخبار اليوم ولا فى تاريخ الصحافة ! والذى أعتقده أن الأمر صدر بوقف مرتبى ، وقد تلقيت رسالة فى السجن من أحد تلاميذى فى « أخبار اليوم » أن لا خالد محيى الدين ولا حاتم هما اللذان أصدرا الأمر بوقف مرتبى ، وبعدم صرف باقى مرتبى عن الواحد والعشرين يوما التى عملت فيها فى أخبار اليوم قبل القبض على ، ولا بعدم صرف مكافأتى ، ولا واحد منهما أصدر الأمر برفع اسمى واسم على أمين من الصفحة الأولى من أخبار اليوم والأخبار كمؤسسيها قبل أن يحقق معى ، وقبل أن أحاكم . وقبل أن يحكم على !

وأما الذى اقترح كل هذا فهو شخص يعرفه هيكل جيدا !

وقال هيكل أن صليب بطرس المستشار الفنى لأخبار اليوم أبلغه أن مسألة وقف المرتب ليست حتمية ، وإنما جوازية ، وانه لذلك عاد ، واتصل بحاتم وطلب منه أن يسمح بصرف المرتب ، وأن حاتم وعده ببحث الأمر .

وقلت له اننى أستطيع أن أعيش فى السجن بعشرة جنيهات فى الشهر ، ولكنى فى دهشة أن يحكم على أولادى بالجوع قبل أن يحكم على !

فعاد وقال ان الرئيس قال له : اننى مازلت أحب مصطفى وإننى لن أنسى انه خاطر بحياته ، وركب طائرة أثناء عدوان سنة ١٩٥٦ ، وقام بالدعاية فى العالم ضد العدوان ، وتفاوض فى جلاء الانجليز والفرنسيين والاسرائيليين ، وقام بمهام سياسية كبرى فى أمريكا .

قلت له : وأنا مازلت أحب الرئيس بالرغم من كل ما حدث لى .

قلت لهيكل اننى متفق مع الرئيس من قبل على انه اذا كانت مصلحة مصر أن يقطع رقبتى فليقطعها . ولكن فرق بين قطع رقبتى وتلويث سمعتى .. ظلما .

ومسألة نقلى إلى مستشفى لا يهمنى فى شىء . ان معنى الحكم على هو إعدامى كصحفى ، فإذا كان هذا هو الغرض من الحكم فأمرى إلى الله .

وعدنى بأن يزورنى بعد اسبوعين . ولكنى لا أصدق أنه سيفعل ذلك فهو يزورنى « بالأمر » !

عاد وتحدث عن تصميمه على « تنظيف » أخبار اليوم بإخراج المحررين الشيوعيين والمحررين المشاغبين منها . عارضته بشدة وقلت له : اننى أعارض فى إخراج المحررين من الصحف بقرار جمهورى ، وقد يجىء يوم يخرجونك أنت من « الأهرام » بقرار جمهورى وضحك هيكل ساخرا من هذا الاحتمال !

سألنى هيكل إذا كنت أريد سجائر أو أدوية فشكرته وقلت ان عندى ما يكفينى .

وقلت له ان هناك تعليمات فى السجن بتشديد معاملتى أكثر من أى مسجون سياسى آخر فى سجن الاستئناف . فقال هيكل انه فى دهشة أن يسمع هذا !

قال لى أن لطفى حسونة نائب رئيس تحرير « الأخبار » نصحه بأنه لا داعى لهذه الزيارة ، فقد تؤدى إلى متاعب له وانه تركه يتوهم أن هذه المقابلة تتم بغير علم الرئيس .

قلت ان كل ما أصابنى فى هذه المحنة لم يؤثر فى أبدا .. وأن عقيدتى كما هى :

وأن إيمانى ببلدى لم يتغير . وإننى على استعداد أن أتحمل كل المظالم من أجل مصر ومصلحة مصر . وإننى لو كنت عرفت أن هذا سيكون جزائى ، وعادت عقارب الساعة إلى الوراء لفعلت نفس الشىء ، وخدمت بلدى بنفس التفانى والاخلاص .

وإننى أعتقد أن الله أراد أن يمتحن حبى لبلدى ، وهو امتحان قاس . ولكنى واثق بأننى نجحت فى هذا الامتحان .

قلت لهيكل أنا لا يهمنى الحكم . لاننى أعرف أننى برىء وأنت تعرف جيدا كيف تصدر هذه الأحكام .. وأنا مطمئن جدا لحكم التاريخ .

ولكن الشىء الذى يؤلمنى أن يدوس بعض الذين أحبهم على الحقيقة باقدامهم .

وقلت لهيكل اننى لست وحدى المظلوم الوحيد هنا . ان كل القضايا السياسية الموجودة معى فى سجن الاستئناف ملفقة مزيفة

ورويت له ادلة الزيف فى كل قضية منها وسألته لمصلحة من تلفق القضايا ؟ ان التلفيق لا يصنع تاريخا . اننى بدأت اشك ان كل شىء أصبح يلفق فى هذا البلد ، وقد بدأنا نكذب على الناس وسوف نكذب على أنفسنا . وانا اتوقع كارثة مائة فى المائة .

ولم يبد هيكل دهشته عندما قلت له أن كل المسجونين السياسيين معى أبرياء ، وكل القضايا ملفقة . وأن كل الاعترافات المزعومة وقعت تحت التعذيب الذى لا يتصوره بشر . وقلت له : اننى واحد من ألف مظلوم ولست أبدا المظلوم الوحيد ، ولا أطالب برفع الظلم عنى وحدى .

عاد هيكل يؤكد أن الرئيس قرر الا أنقل الى السجن ، بل إلى مستشفى خاص أختاره أنا ، ثم بعد فترة قصيرة أذهب إلى بيتى ، وأن المسألة سوف تتم على مراحل ، وأن الرئيس يقول فى كل مناسبة أنه لا يمكن أن ينسى خدماتى للبلد ، ولهذا لن يوافق على أن أبقى فى السجن . وأن المسألة الهامة الان هى خروجى من السجن ، وبعد ذلك يمكن حل جميع المسائل تدريجا . فيصدر عفو صحى ، ثم تعلن براءتى ، ثم أعود إلى الصحافة .

قلت أنا لا أفهم أن يحكم على لتعلن براءتى بعد ذلك .

وانا لا أظن أن على صبرى مثلا بالقوة التى تجعله يحكم على برىء بالسجن ، ولا أصدق هيكل عندما يقول لى أن الذين يتآمرون على أقوى من العدالة !

على الرغم من أننى تعودت ألا أصدق ما أسمع ، وعلى الرغم من أننى أعرف أن من صفات هيكل أنه يكذب كثيرا ، إلا أن هذه المقابلة أراحتنى ، فأنا أعلم أن هيكل لا يمكن أن يجرؤ أن يحضر الى فى السجن إلا إذا كان هذا بأمر الرئيس عبدالناصر شخصيا ، وخاصة أن ما قاله على لسان الرئيس من أنه لن ينسى خدماتى الكبرى لبلدى هو نفس ما جاءنى من الأستاذ محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السوداء ، وما قاله الرئيس لعدد من زعماء البلاد العربية الذين تحدثوا إليه فى شأن ايمانهم ببراءتى . ولكن هيكل لم يقل لى ما قاله الرئيس لهم أنه لا يقصد إلا « تأديبى » . وإننى تجاوزت حدود المهمة » وإننى أعترض على السياسة المقررة » ! ويعلم الله اننى لم أعارض السياسة ، كل ما هناك اننى كنت اناقشها مع الرئيس بصراحة ، وبناء على طلبه هو ، وكان واجبى أن أصارحه برأيى بغير لف ودوران ، حتى لو كنت أعرف أن هذا الرأى قد يضايقه . والغريب أن

الرئيس لم يشعرنى فى يوم من الأيام طوال هذه السنوات أن صراحتى معه تغضبه . بل على العكس كان بعض من حوله ينصحوننى إلا أكون صريحا معه . والسبب حالته الصحية ، ولكننى كنت مصمما دائما أن أقول الحقيقة !

وقد قلت الحقيقة وقطعوا رأسى ! ولن يجرؤ أحد بعدى أن يقول الحقيقة !

سألنى هيكل هل صحيح أننى طلبت من المحكمة إذنا بالزواج من سكرتيرتى .

وقال أن البعض فسر حكاية طلبى الزواج من المحكمة بأننى أريد أن أقول أننى غير مهتم بالمحاكمة ولا بالسجن ، وأننى أتحدى وأقول « طظ » ، وأننى سأتزوج فى السجن لأننى واثق أننى سأخرج منه .

وقلت لهيكل أننى لم أطلب من المحكمة إذنا بالزواج ، لأن هذا ليس من شأن المحكمة .

وأنا أعتقد أن هذه الكذبة أبلغت للرئيس ليقال له أننى « أتحدى » وإننى غير مهتم بالمحاكمة وإننى واثق من أننى سأخرج من السجن .

وهذا بغير شك سوف يضايق الرئيس ويثبت له أننى « لم أتأدب بعد » والذين يعرفون الرئيس يعرفون أنه عندما يسمع هذا سوف يؤيد الحكم على ، وسوف يبقينى فى السجن !

وقلت أننى ألاحظ أن الذين لفقوا هذه القضية لا يكتفون بالأكذوبة الكبرى ، بل يؤلفون كل يوم كذبة صغيرة ضدى . وهذا لا يهمنى فى شىء . أننى من كثرة الخناجر القديمة التى أغمدت فى ظهرى أصبحت الخناجر الجديدة لا تصيبنى ، وإنما تصيب الخناجر القديمة !

وقلت له أننى شعرت من كثير من التصرفات معى ومع أصدقائى ومع المتصلين بى ، بأن المطلوب هو أن يتخلى كل الناس عنى ، وأكدت له أنه لو تخلى الناس كلهم عنى ، فلن يتخلى الله عنى ، ولا يمكن أن يتخلى الله عن مظلوم بقرار جمهورى !

أحدثت زيارة هيكل لى فى السجن ضجة : المأمور والضباط والسجانون والمسجونون تصوروا أن معنى هذه الزيارة أن الافراج قريب جدا . وهم يقولون أنه لا يمكن أن يحضر هيكل إلى السجن إذا كنت مدانا ، وإذا لم أكن موضع عطف الرئيس . وقال المسجونون السياسيون أن المجرم يحوم حول مكان الجريمة ، وهم يتهمون هيكل بأنه وراء كل ما حدث ، وأنه هو المستفيد الأول مما حدث ، وأنه لهذا يحوم باستمرار حول جثة القتيل .

ولقد كان هيكل فى هذه المرة الطف من المرة السابقه ، ولم يكن « مشدودا » كما كان فى زيارته الأولى

قلت لهيكل أن خطاب الرئيس فى السويس أعجبنى لأنه تمسك بسياسة عدم الانحياز ، وفى رأيى أن انحيازنا للغرب أو إلى الشرق سوف يؤدى إلى نكبة كبرى .

وقلت اننى سررت لأن الرئيس لم يحاول أن يتدخل فى حكاية عزل الرئيس سوكارنو فى أندونيسيا ، والاطاحة بالرئيس نيكروما فى غانا ..

انه يجب أن نتوقف عن التدخل فى شئون الدول الأخرى ، ونلتفت إلى شئوننا التى أهملناها .

وقال هيكل أن من رأيه أن ما حدث فى اندونيسيا هو صراع على السلطة ، وانه قال هذا الرأى فى التليفزيون .

وكنت قد تلقيت رسائل من خارج السجن بأن الناس افتقدت ظهورى فى التليفزيون فتقرر أن يملأ هيكل هذا الفراغ ..

يجب أن أصبر .. أن الظلم يجىء سريعا ، والعدل يجىء بطيئا وسوف يجىء العدل !

● ● ●

السر الخطير الذى أذعته !

سجن الاستئناف

٢٧ مارس ١٩٦٦

أخى العزيز ...

أقبلك قبلة حارة طويلة ، طول الشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثوانى التى لم نلتق فيها . وأضمك إلى صدرى ، وأطمئنك أن روحى عالية جدا ، وأعصابى ممتازة ، وقدرتى على الاحتمال تزيد ولا تنقص .

أشعر أن الوقت لا يقتلنى ، أنا الذى أقتله . لا أعرف متى يصلك هذا الخطاب قد يتأخر ويصلك بعد صدور الحكم . وأريد منك ألا تنزعج منه . أى حكم يصدر لن يصدمنى . أنا واثق من براءتى . مؤمن بأن التاريخ سيحكم لى . وأنا مطمئن لحكم التاريخ . كأننى قرأت الحكم مقدما قبل أن يصدر . ولست أعرف متى يصدر التاريخ حكمه . ولا يهمنى ذلك كثيرا ، مادمت أعرف مقدما حيثيات حكم براءة التاريخ لى . ولا يهمنى أن أعيش لأعرف هذا الحكم ، لأننى أعرف من الآن حكم التاريخ . وقد يظلمنى حكم البشر سنة أو عشر سنوات ، ولكن ما قيمة هذه السنوات فى عمر التاريخ . وفى بعض الأحيان أتصور نفسى كالضابط الفرنسى دريفوس الذى حكمت عليه فرنسا ظلما ، ثم جاء أميل زولا وتبنى قضيته ، وحكمت بعد ذلك المحاكم بإلغاء حكم الادانة ، وحكمت له الدنيا بالبراءة . ولست أعرف من هو اميل زولا الجديد الذى سيدافع عنى ، ولكن شعورى أن عشرات من الناس الذين لا أعرفهم سيكون كل واحد منهم أميل زولا الجديد .

ولقد جاءتنى أنباء من خارج السجن أن الحكم مقرر بالادانة قبل القبض على ، وقبل التحقيق ، وقبل المحاكمة . وأن النائب العام محمد عبدالسلام

كتب بخط يده ان لا قضية هناك ، وأن أحمد موسى رئيس نيابة امن الدولة الذى حقق معى قرر أننى برىء وتقرر إخراج النائب العام الشريف من منصبه ، وتقرر اخراج رئيس نيابة أمن الدولة الذى رفض أن يزور !

ومن الرسائل المهربة التى وصلتنى ان الحكم ليس قضائيا ، ولكنه حكم سياسى

وقيل لى ان بعض خصومى فى المناصب العليا يقترحون أن يصدر الحكم قبل وصول دين راسك وزير خارجية أمريكا إذا تحققت الأنباء أنه سيقوم بهذه الزيارة ، حتى يؤكد الحكم للناس أن أصدقاء التفاهم مع أمريكا يعاقبون بشدة وعنف وقسوة ، ويقترحون أن تتم عملية ذبحى قبيل وصول كوسجين رئيس وزراء روسيا إلى القاهرة ، تماما كما تذبح الخراف تحية لقدوم كبار الزائرين فى الأرياف !

والذين اطلعوا على هذه الرسائل المهربة من زملائى المسجونين السياسيين يقولون لى . ما رأيك فى هذا البلد الذى يصنع بك كل هذا !

قلت لهم : مازلت أحب بلدى ، فإذا رأى بلدى أن مصلحته أن يقدم رأسى فداء له فسوف أقبل هذه التضحية راضيا . ان هناك مئات من الشبان أرسلوهم إلى اليمن وماتوا هناك . شبان فى عمر الزهور ، فلأعتبر نفسى أرسلت إلى يمن أخرى فى مهمة وطنية !

أنا واثق أنه سيجىء يوم يعلن فيه بلدى براءتى ، ورد اعتبارى .

ان أكثر من مئات الأشخاص يعلمون الحقيقة المروعة . يعلمون ماذا قدمت لبلادى من خدمات .

وأنا أعتقد أن الحكم سيصدر ضدى . وهذا هو الخبر الصحيح الوحيد . الذى أصدقه . أما ما قاله لى محمد حسنين هيكل عندما جاء لزيارتى فى السجن بأن الرئيس يؤكد لى بأن الحكم لن ينفذ ، واننى سأنقل فورا إلى مستشفى ، ثم بعد ذلك يصدر عنى افراج صحى ، فإننى لا أصدق هذا .

ولقد قلت لكل من تحدث معى فى هذا الموضوع ، وفى مقدمتهم هيكل ، بأننى أعتبر الحكم قد صدر على فعلا يوم القبض على ، ويوم صدرت التعليمات للصحف بأن تشهر بى ظلما ، وتنشر الأكاذيب عنى ، وتنسب الى اعترافات غير صحيحة لم تصدر منى .

واعتبر الحكم قد صدر ضدى يوم حذف اسمى وإسمك كمؤسسى أخبار اليوم والأخبار ، ويوم توقفت « فكرة » عن الظهور . ويوم تقرر الا أقدم لى محكمة جنايات عادية ، بل الى محكمة برياسة الفريق الدجوى الذى

أعلم منه أنه لا يحكم ولكنه يتلقى الحكم بالتيلفون . والذى كان يحدثنى تليفونيا فى أثناء المحاكمات العسكرية السابقة ويطلب منى أن أوصى عليه المحرر القضائى احمد لطفى حسونة فى وصف الجلسات حتى قرأ الرئيس فى الوصف أنه قاض جبار !

وعرفت أن الحكم قد صدر ضدى عندما تقرر أن تكون محاكمتى سرية ، وعندما صدرت الأوامر إلى الصحف بأن تنشر الاتهامات كاملة ، ولا تنشر كلمة واحدة للدفاع !

وعرفت أن الحكم صدر ضدى عندما وقف وكيل النيابة فى أثناء المحاكمة يقول انه يطالب برأسى ، لأننى قلت لأمريكا خبرا هاما . وأذعت سرا خطيرا من أسرار الدولة العليا ، وهذا الخبر هو أن السيد حسن ابراهيم نائب رئيس الجمهورية سوف يتزوج السيدة قدرية .

وهز الفريق الدجوى رأسه موافقا أن هذا خبر من صميم أسرار الدولة العليا !

والواقع أن هذه المسألة التافهة كانت موضع تحقيق طويل عريض عقب القبض على ..

قالوا لى : كيف تقول لملحق السفارة الأمريكية أن حسن ابراهيم سيتزوج السيدة قدرية ..

قلت : هذا نبأ اجتماعى عادى ، وليس سرا من أسرار الدولة . فراحوا يؤكدون أنه سر من أسرار الدولة العليا .

قلت : ماذا أفعل اذا كان هو يعرف الخبر ، وسألنى عنه ، ومصر كلها تعرف الخبر ؟

قالوا : كان يجب أن تضرب الملحق الأمريكى بالجزمة ، وتقول له أرفض أن تسألنى هذا السؤال الخطير فى مسألة تتعلق بسياسة الدولة العليا !

قلت لهم : اننى مكلف من الرئيس عبدالناصر شخصيا بأن أقنعه باستئناف المعونة لمصر ، فكيف أضربه بالجزمة لأنه يسأل هذا السؤال .

ثم ان حسن ابراهيم تزوج السيدة قدرية فعلا وهى سيدة فاضلة ومحترمة ، وزواجه منها لا يسىء إليه .

وعندما وقف وكيل النيابة فى المحاكمة ، وذكر الخبر قال انه خطير وخطير جدا ! وسرى وسرى جدا . وانه يجب أن أعاقب بأشد العقوبة من أجل اذاعة الخبر السرى الهام !

وابتسمت وقلت أن التاريخ سيقول انه حكم على أكبر صحفى فى البلد ،

واتهم بأشنع التهم لا لشيء ، سوى انه قال ان حسن ابراهيم نائب رئيس الجمهورية سيتزوج السيدة قدرية !

واتصور انه سيتاخر الحكم ، فالمطلوب « طبخ » حيثيات تقنع الراى العام الذى لايزال مؤمنا ببراءتى . وسوف يضع الفريق الدجوى حيثيات على أساس لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى . كما فعلوا فى الأشرطة . ابقوا « لا تقربوا الصلاة » وحذفوا « وانتم سكارى » .

وكالعادة ، وكما فعلوا بأبرياء قبلى ، سوف تبذل الجهود الجبارة لتلويثى ، ولاثبات ادانتى ، ولتصويرى بصورة الخائن لوطنه ، ولانكار كل الخدمات التى قدمتها لبلادى . ولكنى مؤمن بالله ، واثق ان الله سيمد لى يده ، فتحمى يده راسى من المطاعن والأكاذيب والتلفيقات ، كما حمانى عند اتهامى ، وحرمانى من الدفاع عن نفسى عند محاكمتى . والأمر الذى صدر للصحف بنشر الاتهام ضدى ، وحذف الدفاع عنى !

ومن الطريف أن بلادنا تحتفل هذه الأيام بالعيد المئوى للصحافة المصرية ، ولاشك ان الذين لا يحبوننى سوف يجدونها فرصة مناسبة وطيبة جدا لنشر الحكم على اكبر صحفيى مصر ! ولعلهم يرون أن خير الاحتفال بالصحافة المصرية هو دفن الذين اقاموا صحافة مصرية عظيمة فى مصر .

ولقد قلت لهيكل اننى واثق بانه لو كان الأمر أمر الرئيس عبدالناصر وحده لما عوملت هذه المعاملة ، لاننى اعلم أنه يعرف وطنيتى ، وما قدمته لبلادى من خدمات ، ولكنى اعلم أيضا ان هناك من يريدون القضاء على . فالمسالة ليست عقاب شخص ، وإنما المقصود القضاء على كصحفى . وهم يتصورون انهم لا يمكنهم القضاء على إلا بهذه الطريقة . ولقد بذلوا فى الماضى عدة محاولات وفشلوا ، وكان الرئيس ينصرنى فى آخر الأمر عليهم ، وهم يريدون فى هذه المرة أن ينتهزوا هذه الفرصة الذهبية ويطمئنوا تمام الاطمئنان إلى انهم قضوا على ، وقضوا على مستقبلى الصحفى ، وقضوا على تاريخى كله . ولكن هل هذا ممكن !

ان المعركة ليست بينهم وبينى . ما أضعفنى وأقواهم . وإنما المعركة هى بينهم وبين الله ، وهو اقوى من كيد الكائدين ! وقلت لهيكل قد تستمر العاصفة سنة أو عشر سنوات ، ولكن تأكد ياهيكل انه فى النهاية سوف تشرق الشمس ، وسيرى الناس فى ضوئها الحقيقة ، وسيقولون : هذا الرجل خدم بلاده بوطنية وبشرف وإخلاص ، وعندئذ سيتحول الطين الى تراب والأكاذيب إلى هباء .

اننا نخطىء كثيرا إذا حاسبنا بعض أصدقائنا إذا تخلوا عنا في هذه المحنة .

ان طاقة الناس واحتمالها لها حدود ، ويجب أن نعطى عذرا للطبيعة البشرية .

وإذا كان عشرة أو عشرون خافوا أن يقفوا بجوارنا في هذه المحنة فإن هناك مئات وألوفا فعلوا الشيء الكثير لنا ، وأسعدونا بحبهم وعطفهم ، ولست أستطيع أن أنسى مدى حياتي ما لقيت من عطف وحب في هذه الفترة . بعضهم قامر بوظيفته من أجلي . بعضهم قامر بلقمة العيش ، عيشه وعيش أولاده في سبيل أن يريحني في زنزانتي . بعضهم دخل السجن في سبيلي . بعضهم خالف الأوامر المشددة وتحداها لأنعم ببضع ساعات من الحرية كان المفروض ألا انعم بها . هؤلاء هم الذين يهمونني ، لأن هؤلاء هم الرأي العام الصحيح هم الملايين ، هم الذين لا تؤثر فيهم المؤثرات الصغيرة التي تؤثر في الكبار من أصدقائنا .

انني أحرص في اتصالاتي خارج السجن على أن أتفادى الاتصال بأي صديق لي ، لأنني أعلم أن هؤلاء الأصدقاء تحت المراقبة ، وأنا لا أريد أن أحرج أحدا ، لأنني عاجز أن أحمي أي واحد منهم .

انني لم أيأس أبدا . ولن أيأس أبدا مهما حدث . انا لا أضيق بهذا السجن الذي أنا فيه . ان روحي لم يستطع أحد أن يسجنها حتى الان . لا يوجد قفص يكفيها ، ولا زنزانة .

ان روحي لاتزال كما تعهدها ، بل أؤكد لك أن روحي أصبحت أكثر انطلاقا داخل السجن مما كنت خارج السجن . انها لا تخاف شيئا . انها لا تتلفت حولها ، ولا تتلفت وراءها .

انني في السجن أشجع كثيرا مما كنت خارج السجن !!

انني أجد في كل شيء ما يبعث على السخرية والضحك . القضبان والقيود والسلاسل لم تحبس حريتي ، ولم تقيد روحي . ان روحي أقوى من الحديد . انها حطمته ، وهزئت به ، ومضت تقفز وتنطلق ، وتعيش في الدنيا كلها !

ولم يخلق بعد الطغاة الذين يستطيعون تقييد أرواح الأحرار !



العمل الطيب لا يموت !

سجن الاستئناف
٣٠ مارس ١٩٦٦
أخى العزيز ....
لست أعرف هل أستطيع أن أكتب إليك إذا صدر الحكم أم لا .
ولقد رأيت أنه يجب أن أستعد لكل الظروف ، فى حالة ما إذا تعذرت الكتابة ، أو تعذر الاتصال .
ولهذا أحب أن أرجوك ملاحظة بعض الأمور وهى :
ان كثيرين من العرب الذين لجأوا إلى مصر فى أيام الطغيان قد اقترضوا منى مبالغ كما تعلم ، وأعتقد أنه فى إمكان بعضهم أن يسددوا هذه المبالغ أو بعضها فى هذا الوقت بالذات . فإذا أمكن ذلك ، بغير احراج لهم ، وبغير أن نطلب أى شىء من الذين لا يستطيعون سداد مالا يستطيعون فإننى أحب أن أسدد مبالغ ، سأكون مستريحا اذا أمكن تسديدها .. فأنا أكلف سكرتيرتى بأن تدفع مرتبات شهرية لبعض الأسر الفقيرة قدرها مائة وأربعة وستون جنيها كل شهر . وقد توقفت عن دفع هذه المرتبات من أول أغسطس الماضى ، بسبب القبض على . ويهمنى كثيرا أن يدفع المبلغ المتأخر من أغسطس إلى الان وأن يدفع المبلغ الشهرى بعد ذلك بانتظام طول مدة سجنى .
ولقد أبدى كثيرون هنا رغبتهم فى مساعدتى ، ولكنى أفضل ألا نقترض من أحد ولكن نحصل على جزء من المبالغ التى كنا ندفعها لكثير من الزعماء العرب فى أثناء محنتهم .
وبعض هؤلاء تحسنت حالتهم بعد سقوط حكم طغيان عبدالكريم قاسم أو سقوط حكم كميل شمعون . وأعتقد أن هؤلاء لن يمانعوا فى أن يسددوا لنا بعض هذه المبالغ التى اقرضناها لهم عندما كانت مصر لا تدفع لهم ما يكفيهم فى أثناء التجائهم إليها .

ولقد علمت أن البعض منهم أبدى استعداده أن يسدد هذه القروض ، وكل الذى يهمنى ألا نرهقهم . اننا فعلنا ما فعلناه ليس من أجل أشخاصهم ، وإنما من أجل الثورة التى آمنا بها .

وكنا ندفع هذه المبالغ لهم فى صمت ، ولم نطالب حتى الرئيس أن يسددها لنا ، بل لم نقل شيئا عما نفعله من أجل هؤلاء الذين يحاربون معركة الحرية .

ولقد كنا نجد لذة فى أن نقف بجوار المظلومين والمضطهدين وكان هذا الأمر يسعدنا كثيرا ، فإننا على استعداد لأن نضحى بكل ما نملكه من أجل بلادنا .

وأنا واثق أن أى عمل طيب لا يمكن أن يموت .. مؤمن بهذا كل الايمان .

واثق بأن الذين ساعدونا فى أزماتهم ومحنهم وفى أثناء طردهم من بلادهم ، سوف يسارعون الى الوقوف بجوارنا ، كل بقدر استطاعته .

ان ثقتى بالناس لا حد لها . ان حب الناس هو رصيد ضخم لا يمكن أن ينتهى .

وهذا يجعلنى أشعر اننى لا أرهقك ، ولا أضايقك ، عندما أطلب منك هذا الطلب .

ومرة أخرى أضمك إلى صدرى وأقبلك ..



الذين يولدون فى العواصف لا يفزعون من زئير الرياح

سجن الاستئناف
١٢ ابريل سنة ١٩٦٦
عزيزتى ....

أقبلك ، وأشكرك على خطابك . وأنا فاهم جيدا شعورك وموقفك . أننى أعلم كل ما قلته . ان أحدا لم يقله ، ولكن احساسى كان يقول لى كل كلمة قلتها .

وتأكدى اننى لا أفكر فى الانتقام من أحد من الذين أساءوا الى . الذين حكموا على قبل أن يسمعوا دفاعي . الذين ما كادوا يروننى واقعا حتى أغمدوا الخناجر فى ظهرى ! اننى لا أكرههم .. اننى أرثى لهم . انهم يضعون سوابق ، سوف تطبق عليهم فى يوم من الأيام . ان الله يمهل ولا يهمل . وأنا أفهم عذابك ، وأحس بألمك ، وأقدر خيبة أملك ، ولكن أنا سعيد بإيمانك بالله . ان هذا الايمان سوف يجعلك تستمرين فى تحمل مالا يتحمله البشر .

وأنا أراك اليوم تماما كما كنت فى أزماننا السابقة . عندما كنت تتحدثين عن المنطق وعن العدالة وعن القانون . وكنت أقول لك أن المسألة هى مسألة وقت . وكثير من الناس لا يحتملون الظلم مرة واحدة ، ولكنا احتملناه عدة مرات . ولقد عشنا قبل ذلك فى دنيا من الأكاذيب ، والافتراءات ، والادعاءات والوعود التى لا تتحقق . ويبدو أن الظروف القاسية شاءت أن تعيش مرة أخرى فى نفس الرواية . ولكن تأكدى أن الخاتمة واحدة إن شاء الله .

انه يجب أن نحتمل ، ويجب أن نشكر الله لأنه يعطينا القدرة على أن نتحمل . وأن تغمد الخناجر فى ظهورنا ونبتسم . وأن نضرب بالسياط فنشكر الضاربين لأنهم لم يضربونا بالرصاص !

تأكدى أن وطنيتنا لا يمكن أن تنال منها الأكاذيب ..

ان وطنيتنا ليست فى طبل أجوف نضربه ، وإنما هى معارك خضناها ، وأزمات عشناها . أيام كنا نثبت فى الميدان بينما كان غيرنا يكاد يقتله الخوف والفزع والجبن والأشباح !

ان الذين يولدون فى العواصف لا يفزعون من زئير الرياح . والذين بنوا مجدهم بعرقهم ودموعهم وأعصابهم لا يخشون على الجبل الشاهق الذى بنوه من أن تلقى عليه الأتربة والأحجار ! ان هذه الأحجار تزيد حجم الجبل ، ولن تنقصه أبداً !

ولا يجوز أن تهتز القيم والمبادىء أمامك ، أو أن تهتزى لما ترين الان ! ان هذه أزمة وقتية . محنة زائرة . انها أضعف من أن تنتصر علينا . اننا أقوى منها لأن الحق معنا ، والتاريخ معنا ، والزمن معنا .

ولا تجزعى على بناتنا .. انهن كلما كبرن ، كبرت الحقيقة معهن وتضاءل الظلم بجوارهن . ان كل يوم يمضى يقربنا من النور ، ويبعدنا عن الظلام .

وأنا سعيد كذلك أن ايمانك بالله وعدالته ، يزيدنا قوة . فإن هذا الايمان يجعلنا أقوياء جدا ، ويجعل الذين يطعنوننا فى الظلام ضعفاء جدا .

ملحوظة : أختم خطابى لأن النور انطفأ ..

وقد أكملت لك هذا الخطاب على ضوء شمعة .. أو على الأصح نصف شمعة !



المؤامرة الملفقة !

سجن الاستئناف

٢١ ابريل ١٩٦٦

أخى العزيز .....

أقبلك قبلة طويلة . ولا تعرف مقدار سرورى بخطابك المؤرخ ١٥ ابريل . ومن الغريب أن اهتماماتك وأنت فى لندن هى صورة طبق الأصل من اهتماماتى وأنا فى سجن الاستئناف ! أنا كذلك مهتم كثيرا بمتابعة مباريات كرة القدم ، وقراءة ما تكتبه الصحف المصرية عنها . وهى فى رأيى أحسن شىء يكتب الان فى صحفنا ! وفى الوقت نفسه أشاهد مباريات الكرة مرتين فى الاسبوع . مرة يوم الجمعة ومرة يوم الأحد . وفى كل مرة نبذل جهودا جبارة لنحصل على حق مشاهدة التليفزيون . يوسطنى المساجين لدى المسئولين إلى أن نحصل على هذا الشرف العظيم . ولكننا نتفرج على نصف المباراة فقط ، ونكمل النصف الثانى بقراءة الصحف فى اليوم التالى . ومع ذلك فإن الهاف تايم الواحد يسعدنا كثيرا . ولكن لا نتفرج على التليفزيون فى الجو الهادىء العادى . اننا كأننا جالسون فى المباراة نفسها . فإن المساجين ينقسمون بين الأندية ، يهيصون ويهتفون ، ويحكمون على الحكم ، ويهددون بتحطيم التليفزيون إذا لم يعجبهم قرار الحكم !

ومن العجيب أيضا اننى أقرأ فى الصحف نفس الموضوعات التى نهتم بها . فأنا أيضا أقرأ كل ما نهتم به تقريبا . أنا مثلا أتابع كل ما تكتبه صحف العالم عن الموقف فى أندونيسيا ، وعن الطائرة النفاثة الجديدة التى سوف تتسع لـ ١٩٠ راكبا . وعندما رأيت صورتها تمنيت أن نركبها معا . ولقد قرأت مرتين كتابا عن موسولينى من تأليف كريستوف هيبرت

ولقد قرأت ما كتبه أوليفر ليتلتون - وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط أثناء الحرب - عن حادث ٤ فبراير ، وكيف أن ما كتبه هو صورة لما كنا نقوله فى أخبار اليوم ، وما كانوا يكذبونه فى تلك الأيام .

ولقد فكرت أن أجلس وأكتب تاريخ الأحداث السياسية الماضية ، ولكننى لم أستطع لأن هذا يحتاج إلى مراجع ، والاطلاع على مجموعات الصحف القديمة ، وهذا غير متوافر فى السجن ، والكتابة فى السجن ليست عملية سهلة ، فإنه فى كل لحظة يجىء حارس ويفتح طاقة فى الباب ، ويطل منها ليرى ما تفعل ! وعندما أحس بأن كثيرا من المراجع تنقصنى ، أعدل عن الكتابة ، وأكتفى بأن أستذكر الأحداث فى رأسى ، وأرتبها ، وأفكر فيها . حتى إذا جاء الوقت المناسب للكتابة ، كانت العملية سهلة جدا .

وفى بعض الأحيان أتمنى ، لو أتفرغ بعد خروجى من السجن إن شاء الله للأبحاث التاريخية وأسافر وأطوف العالم ، وأتحدث الى الشخصيات الهامة التى اشتركت فى تاريخ المنطقة ، وصنعت أحداثها أو أثرت فيها ، فالواقع أن اللغة العربية خالية تماماً من الكتب السياسية الحقيقية ، والجيل الحالى لا يكاد يعرف شيئا عن أحداث ما قبل الثورة . وفى رأسى أفكار لعشرات من الكتب . وأعتقد أن فى رأسك كذلك أفكارا لكتب كثيرة . وقد تكون فى لندن لك فرصة لتكتب عددا من الكتب ، أو لتنظم مقالاتك ومقالاتى ، بحيث تصلح لأن تكون كتبا فى يوم من الأيام .

والتاريخ كما تعلم هو هوايتى ، وأنا مهتم به كثيرا . ولقد وجدت هنا كتب شارع الصحافة وأسرار الصحافة وثورة الصحافة ، والصحافة مهنة ورسالة . ولا تعرف كيف يتخاطف المسجونون هذه الكتب الأربعة ، ويتخانقون عليها . وهم يقرأون فيها مقالاتنا ، ويذهلهم الدور العظيم الذى قامت به « أخبار اليوم » ويقولون أن هذه الكتب هى أعظم مرافعة لى . وانه كان يجب أن أقدم هذه الكتب الأربعة فى محاكمتى ، وأقول أن هذه هى مرافعتى الوحيدة ولا أريد أن أقول بعد ذلك كلمة واحدة دفاعا عن نفسى .

وابتسمت وقلت فى نفسى أن هذه الكتب تتناول جهودنا أو بعضها حتى عام ١٩٥٢ ولكن الجهود التى بذلناها من أجل بلدنا كانت أعظم كثيرا مما تحدثت عنه هذه الكتب الأربعة !

واننى أشعر الان أن من أكبر أخطائنا اننا لم نصدر كتبا عن تاريخ بلادنا . ان المقالات والتحقيقات والأفكار التى نشرناها فى هذه السنوات كان من الممكن أن تملأ مئات الكتب . ولكننا كنا مهتمين بالصحافة فقط ، ناسين أن الكتب تعيش أكثر كثيرا مما تعيش الصحف .

وأعتقد أن حياتى فى السجن يمكن أن تتحول إلى كتاب . فإن الأحداث والطرائف فيها يمكن أن تصنع كتبا ممتعة .

حدث فى هذا الاسبوع أن فوجئنا بإدارة السجن تنقل إلى الغرف المجاورة لنا المساجين المرضى بالجرب !

وذهلنا أن قانون السجون يقضى بعزل هؤلاء المسجونين ، أو وضعهم فى مستشفى السجن . ولكن وجودهم بجوارنا يجعلهم يختلطون بنا ، ويستعملون نفس دورة المياه . وهذا يعرضنا جميعا لمرض الجرب والعياذ بالله .

وثار المسجونون السياسيون ، وانتدبونى للتحدث للمأمور فى هذا الأمر ، وذهبت إلى المامور ، وأبلغته احتجاج زملائى .

وقال المأمور انه احتاج للغرف التى كان فيها مرضى الجرب لوضع الدوسيهات والملفات للمحافظة عليها !

قلت : من الغريب انك تهتم بالمحافظة على حياة الدوسيهات ولا تحافظ على حياة المسجونين !

قال المأمور : يجب أن تعلم أن هذه هى العدالة .

قلت له : أنت تخطىء إذا ظننت أن العدالة هى المساواة بين مرضى الجرب والأصحاء ! ان الاشتراكية تعالج مرضى الجرب وتحولهم إلى أصحاء ، ولكنها لا تحول الأصحاء إلى مرضى بالجرب !

قال لى : ليس عندى أمكنة .

قلت : ممكن أن تنقل بعض المساجين من غرفة فى الدور الثالث ، وتخصص لهؤلاء غرفة كمستشفى أو معزل صحى .

قال المأمور : لو نقلت أحدا من الدور الثالث فسيقولون انهم دفعوا نقودا للمأمور !

وقال المأمور ما معناه انه لو انتقلت الأهرام من مكانها المكين ، ولو انتقل قلبه من الشمال إلى اليمين لما نقل المرضى بالجرب بعيدا عن المسجونين السياسيين ! وعندما يئست من اقناعه . قلت له إذن سأتركك للمساجين السياسيين ! وإذا بالمساجين السياسيين يكتبون برقيات إلى النائب العام ومدير السجون يتهمون المأمور بالتآمر على قتلهم وتعريضهم لمرض الجرب !

وعندئذ تراجع المأمور ، ونقل المساجين المصابين بالجرب إلى حيث كانوا بدلا من الملفات والدوسيهات !

وحدث فى يوم الاثنين الماضى أن كان موعد نظر قضية أخبار اليوم الخاصة بمحمد حمدى أمام محكمة الجنايات . والقضية طريفة فقد أملت المخابرات خبرا على أخبار اليوم ضد الوزير المفوض السابق محمد حمدى بمناسبة احدى القضايا ! وظهر أن الخبر كاذب ورفع محمد حمدى قضية على اخبار اليوم وأنا الان أحاكم بصفتى رئيس تحرير !

ومحكمة الجنايات ملاصقة لسجن الاستئناف فى باب الخلق والمسافة بين البلدين أقل من مائة متر .. وإذا بى أجد فى السجن ١٢ جنديا بالمدافع الرشاشة فى انتظارى .

ومشى بعضهم أمامى ، وبعضهم خلفى ، وبعضهم بجوارى ... ومعنا ضابط حراسة وضابط من المباحث العامة . وكان موكبا عسكريا خطيرا ! ويظهر انهم خافوا أن أهرب ، أو أن يخطفنى الناس !

وعند باب المحكمة الداخلى رأيت أفراد أسرتى ، وأردت أن أتحدث إليهم ، ولكن ضابط الحراسة منعنى وقال ان لديه تعليمات ألا أتحدث مع أحد !!

ولكنهم لم يدخلونى إلى غرفة المحكمة ، وأدخلونى إلى غرفة الحرس ، وذلك حتى يخلوا قاعة محكمة الجنايات من المتفرجين .

وجاء محامى أخبار اليوم يطلب مقابلتى ، وهو المحامى الوحيد فى القضية ، وإذا بالضابط يمنع المحامى من مقابلتى .

وقلت للضابط اننى سأقف فى قاعة المحكمة وأقول انهم منعونى من مقابلة محامى قبل الجلسة ، وأن هذا شىء لم يحدث له مثيل فى تاريخ القضاء المصرى .

وارتعش الضابط وأسرع الى رؤسائه .

وجاء الأمر بالسماح للمحامى بمقابلتى . وقال لى المحامى أن هناك مفاوضات صلح وأن أخبار اليوم ستكتب كلمة اعتذار ، وتعطى لصاحب الدعوى مبلغا فى مقابل مصاريفه .

وفى هذه الأثناء جاءنا خبر أن الجلسة تأجلت ، وذلك لاعلان على أمين ، وأن الجلسة القادمة يوم ٢٥ يونيو .

وعدت بالموكب نفسه الى سجن الاستئناف .

واكتفيت بتحية أسرتى من بعيد لبعيد !

لم أسمع فى هذه الفترة شيئا عن التصديق على الحكم . وآخر ما لدى من اخبار هو ما قيل لمحجوب رئيس وزراء السودان ، وهو ما كرره هيكل . ولكن هيكل كان عندى منذ حوالى شهر . وقد أكد لى أن التصديق سيتم فى

خلال ١٥ يوما . وقال لى أنه سيزورنى كل اسبوع . ولكن يظهر أن وفاة عبدالسلام عارف وكثرة المشاغل منعته من بحث الحكم أو التصديق عليه .

واليوم ٢١ ابريل ، وبذلك يكون قد مضى على مسجونا تسعة أشهر ، وقد مرت والحمدلله بسرعة ، لأنها كانت مليئة بالأحداث .

وبحكم قانون السجون أكون قد أمضيت عاما مادمت حسن السير والسلوك . وأنا ولله الحمد حتى الان حسن السير والسلوك !

ومن أغرب ما تلاحظه فى السجن ، أن المسجونين السياسيين يعيشون على الأمانى والأحلام ، وهم أشبه بالغريق يتعلقون بقشة ..

فكل خبر يقرأونه فى الصحف ، يربطون بينه وبين مصيرهم ..

فإذا قرأوا أن كاسترو زعيم كوبا عفا عن الذين تآمروا عليه ، قالوا انه لابد أن الرئيس سيعفو عنهم .

وإذا قرأوا عن عبدالرحمن عارف أنه أفرج عن المسجونين السياسيين وأوقف المحاكمات فى العراق ، تصوروا أن هذا سيحدث فى مصر ، وأن الرئيس سيوقف محاكماتهم .

وفى بعض الأحيان أحاول أن أفهمهم الفارق بين هذه الأحداث وقضاياهم وأنه لا علاقة بما حدث فى مصر وبما حدث فى كوبا .. وفى أحيان أخرى أسكت حتى لا أحطم قصور أسبانيا التى يبنونها فى الهواء .

وكل مسجون يأتى إلى هذا السجن من ليمان أبوزعبل أو ليمان طرة ، أو سجن القناطر الخيرية أو أى سجن من سجون الجمهورية يحمل إلى تحيات عدد من المساجين الذين لا أعرفهم ، والذين يجعلون المسجون يقسم على المصحف أن يبلغنى سلامهم !

والذين يدخلون السجن يقولون أن شعبيتى زادت بعد سجنى عما كانت قبل سجنى . فهم يعتقدون اننى مظلوم . والناس تحب المظلومين .

ومن رأى عدد من المسجونين السياسيين اننى كنت فى حاجة الى هذا السجن ، وأن سجنى فى مصلحتى . واننى استفدت كثيرا مما حدث لى !!

وحدث أن كنت أمشى فى السجن . ورأتنى احدى السيدات ، فهجمت على وراحت تصافحنى وتقول : وحشتنا فكرة ! والله وحشتنا خالص !

فقلت لها : أنا مصطفى ولست على !

قالت : أعرف ذلك جيدا .. ولكنى أحبك من أجل فكرة ! ومادمت مسجونا فلن نقرأ فكرة !

وسألتنى عنك وعن صحتك ..

وأمسك بها الحارس يدفعها بعيدا عني ، لأن محادثة المسجونين ممنوعة ، فراحت تصيح وتقول : قلبنا معاكم .. والنبى بندعى لكم ! أنت وأخوك ..

ولازم تعرف وتتأكد أن فكرة راح ترجع تانى ! قلبى بيقول لى كده !

وجاءنى صول لا أعرفه ولم أقابله قبل الان ، وألح فى مقابلتى ، وقال لى أن أحلامه لا تنزل الأرض . وأنه حلم بأنه يعطينى مجلة آخرساعة بدون غلاف ، وانني أخذتها ووضعتها تحت ابطى ، وأراد أن يأخذها بعد أن أقرأها . فقلت : لا هذه المرة سأحتفظ بها على طول ! وقال أنه قام من الحلم متفائلا جدا لى ، وبأن الفرج قريب ، وأنى سأعود لأكتب فى الصحف التى أحبها !

وامتلأ السجن بنبأ هذا الحلم ، وأقبل السجانون على مهنئين ، ويقولون أن أحلام هذا الصول عجيبة ولا تنزل الأرض أبدا !

ولم أصدق الحلم طبعا ، ولكنى سررت بأن هذا الرجل فكر فى ، لدرجة أنه رآنى فى المنام !

فهذا الرجل الذى لم أعرفه ، ولا علاقة لى به ، ولم أتحدث معه مرة واحدة ، فكر فى قبل أن ينام ، وتمنى لى الخير ، ولهذا رآنى فى الحلم ..

ولقد فقدت هذا الاسبوع صديقا عزيزا ..

وإسمه « النص » ..

وهو متهم فى عدة جرائم سرقة ..

وقد كان هو الذى يحمل لى يوميا الطعام ويشترك فى تهريب الخطابات ، وكان مخلصا جدا وأمينا جدا .

ولكن أفرج عنه بعد أن أمضى فى السجن ٤٨ شهرا . وقد وعدنى أنه سوف يستقيم ، وأنه سيفتح دكانا ، وهو يحمل الاعدادية ، وقد فارقته وأنا أشعر اننى أفارق صديقا عزيزا .

وسوف يتولى حمل الطعام بدلا منه حرامى آخر وإسمه « بطيخة » وأرجو أن يكون خير خلف لخير سلف .

ومن العجيب انك تقابل فى أوساط المجرمين أخلاقا عالية ، تجد فى بعضهم رجولة وشهامة ومروءة ورغبة فى التضحية .

وبينما تجد هذه الرجولة والشهامة تجد أخلاقا سافلة فى طبقة مفروض أنها متعلمة .

فإن عندنا أحد المسجونين ولنطلق عليه اسم درويش . وهو متزوج وزوجته تعمل موظفة فى احدى الشركات . ويظهر أنه اختلف مع زوجته .

ولا عمل له إلا أن يحضر مسجونين يستكتبهم خطابات غفلا من الامضاء ، ويرسلونها إلى مدير الشركة التى تعمل بها يقولون فيها أن الناس تقول أن هذه الموظفة عشيقتك ، فإذا لم ترفتها ، فسوف نبلغ المسئولين . ويرسل يوميا هذا التهديد والوعيد الى عدد من المسئولين حتى يرفتوا زوجته عقابا لها لأنها لم تزره فى السجن !

ويظهر اننا نعيش فى عهد التلفيقات والناس على دين ملوكهم !

قضايا كثيرة حولى ملفقة ! أكاد أقول أن الأبرياء فى هذا السجن أكثر من المجرمين .

وبين القضايا التى معى قضية زائفة مزيفة ملفقة ـ اسمها قضية الحزب الشيوعى العربى .. والمتهم الأول فيها حكم عليه قبل ذلك بسبع سنوات فى تهمة تزييف نقود . ثم لما رأى أن الحكومة تعين الشيوعيين فى وظائف كبيرة وفى الصحف ، تضايق انه لم يعين فى وظيفة . وادعى انه شيوعى ، ولكن الشيوعيين قالوا له انه مزيف نقود وعبثا حاول اقناعهم انه مزيف النقود ليخرب الاقتصاد المصرى وتصبح مصر شيوعية !

وخطرت له فكرة ..

وهى أن يوهم المخابرات أنه رئيس حزب اسمه الحزب الشيوعى العربى وأن الحزب يفكر فى انقلاب وإعلان مصر دولة شيوعية ..

وحرص أن يبلغ هذه المعلومات إلى زوج أخته الذى يعرف أنه متصل بالمخابرات وكان يتصور أنه عندما تعلم الحكومة ذلك سوف تستدعيه فورا ، وتعينه بمائتى جنيه فى أخبار اليوم !

وفرحت المخابرات بهذه الفرصة واتفقت معه على أن يدعى أنه سيقوم بانقلاب لمصلحة الصين .

وقبض عليه . وادعى على ١٢٠ شخصا انهم أعضاء الحزب . واعترف عدد منهم كذبا بأنهم أعضاء فى الحزب ! مع انه لا يوجد حزب ، وهو فى الواقع رئيس وأعضاء وأنصار هذا الحزب !!

ولكنه باع الترام .. ووجد من يشترى الترام ، بل ويركب الترام !

وقال لى بصراحة عجيبة : لو اننى قلت أن الحزب هو أنا وحدى ، لما اهتم بى أحد ، ولكن عندما أدعيت أن كل هؤلاء أعضاء معى وانهم وزراء فى الانقلاب أصبحت شيئا مهما !!

وقد طلبوا منه أن يكتب قائمة بأسماء الوزراء الذين قرر أن يؤلف منهم الوزارة عندما ينجح الانقلاب . وأخذ صاحبنا يذكر كل انسان أساء إليه فى حياته ، وقرر أن يعينه وزيرا !

وتذكر أن موظفا صغيرا فى مجلس الفنون والاداب اسمه عدلى أبادير ، يتولى احدى النقابات ، وطلب « الزعيم » منه أن يعينه مستشارا للنقابة ، واعتذر عدلى ، لأن « الزعيم » غير مقيد فى جدول المحامين .. وهنا عاقبه « الزعيم » بأن عينه وزيرا للثقافة ، وجاءوا بعدلى وضربوه وعذبوه فاعترف بأنه وزير الثقافة فى الانقلاب ..

وتذكر أن شفيق اندراوس وكيل بنك الاسكندرية فى الموسكى اختلف معه ، فعينه وزيرا للاقتصاد ، وقبضوا على شفيق وعذبوه حتى اعترف انه وزير الاقتصاد وتذكر الزعيم أن محمد النشرتى التمورجى بالقصر العينى رفض مرة أن يدله على عنوان ممرض زميل له استدان منه جنيهين ، فعين الممرض وزيرا للصحة ، وقبضوا على النشرتى وعذبوه حتى اعترف انه وزير الصحة ! وتذكر الزعيم انه تشاجر مع عادل سليمان المحرر بالجمهورية ، فعينه وزيرا للاعلام ، وقبضوا على عادل وانهالوا عليه ضربا وركلا وتعذيبا حتى اعترف بأنه وزير الاعلام ! وتذكر أن أنور زعلوك صاحب مجلة الحقائق رفض أن يعينه محررا فى مجلته فعينه محافظا للوادى الجديد ، واعترف أنور تحت وابل من التعذيب الذى لا يتحمله بشر انه فعلا محافظ الوادى الجديد ! ثم تذكر الزعيم أن شقيقته متزوجة من سامى سلام الجرسون بالأوبرج ، وأن سامى دون جوان بين الراقصات ، ويخون زوجته ، ولهذا قرر أن يعاقبه على خيانته لشقيقته فعينه وزيرا للخارجية فى الانقلاب المزعوم .. وقبضوا على سامى وضربوه وعذبوه وعلقوه حتى اعترف بأنه فعلا اتفق مع الزعيم أن يكون وزير الخارجية المزعوم !

ونشرت الصحف بالعناوين الضخمة نجاح الدولة فى القبض على أعضاء الحزب الشيوعى العربى ، واعتراف قادة الحزب جميعا بأنهم دبروا انقلابا للاستيلاء على الحكم ، وأن هذا الانقلاب لمصلحة الصين !!

هذه هى عينة القضايا الملفقة الموجودة معى فى السجن !

وإلى اللقاء ..

● ● ●

التهمة الجديدة !

سجن الاستئناف :

أول مايو سنة ١٩٦٦ :

أخى العزيز ....

اقبلك قبلة طويلة ، تحمل لك شوقى إليك . من يصدق انه عندما يصلك هذا الخطاب سيكون قد مضى إلينا أكثر من ثمانية أشهر دون أن نلتقى ، ولكن عزائى أن لقاءنا يتم يوميا بهذه الرسائل الروحية التى نتبادلها ، والتى تخترق الأسوار والقضبان .

ولقد ذهلت هذا الاسبوع عندما سمعت أن هيكل قال لخيرية وعدد من الزعماء العرب أن « على بيلبخ فى لندن وانه متصل بالمخابرات البريطانية » !

ولقد توقعت هذه التهم الظالمة . فإن الذين دبروا اتهامى الظالم ، لابد أن يخترعوا لك أيضا اتهاما ظالما ! انهم سمعوا الناس تقول ما ذنب على ؟ لماذا تمنع فكرة من الظهور ؟ لماذا يلغى عيد الأم ؟ لو فرض أن مصطفى مجرم فما هى جريمة على ؟ .. ان الضابط نصار كان على رأس المتهمين باغتيال الرئيس وعمل انقلاب ، وكان شقيقه الدكتور نصار وزيرا فى الوزارة ، وبقى فيها برغم الحكم على أخيه ! وعندما قام الشواف بالثورة على عبدالكريم قاسم ، كان شقيقه الدكتور الشواف وزيرا فى الوزارة ، وبقى فى الوزارة برغم ما حدث لأخيه ، فلماذا يعامل على هذه المعاملة !؟ وهنا لابد من اختراع تهمة تبرر التصرفات التى اتخذت ضدك .. وأنا بعيد عنك آلاف الأميال ولكنى أعرف انك برىء من هذه التهمة .

وأنا واثق أن الذين يتهمونك بهذه الأكذوبة يعرفون أنك برىء . ولكن كل ما يريدون ويحلمون به أن يوقعوا بيننا وبين بلادنا محاولين التشكيك

فينا ، والكذب علينا . وهم لا يكفيهم انهم نجحوا فى تلفيق التهمة على ولكنهم يخشون منك . انهم يعرفون أن الناس تتحدث عن موقفك . عن انك لم تفقد ايمانك بوطنك ، حتى وأنت ترى الخناجر تغمد فى ظهرى ، وانك لم تقل كلمة واحدة تسىء إلى البلد الذى أحببناه . وهذا الموقف المشرف لا يعجبهم ولا يرضيهم . ولهذا يجب أن يلوثوك أنت أيضا . وأنا لست حزينا لهذه الاتهامات الظالمة ، وإنما أنا أرثى للذين يظلموننا . أولئك الذين لا يعرفون أن الله أقوى منهم ، وأنه سوف يفسد تدبيرهم ، ولابد أن التاريخ ظلمهم على أنفسهم . ان الحقيقة لابد أن تظهر . ولابد أن التاريخ سوف يصفع هؤلاء الكاذبين على أقفيتهم !

أو لعل هؤلاء الكذابين عندما رأوا موقفك المشرف أرادوا أن يختلقوا هذه التهم ، لكى تزهق ، وتتكدر ، وتغير موقفك ، مادمت تتهم ظلما بما لم تفعله . وهم ينسون أن المسألة ليست سياسة ، وإنما هى مسألة مبدأ . وأن الذين تحملوا من أجل وطنهم ، مالا يتحمل البشر ، لا يمكن أن يغيروا مواقفهم ، أو يبدلوا مراكزهم ، أو يتخلوا عن بلادهم ، من أجل تهم ظالمة ، أو ردا على الطين الذى يلقى عليهم !

ويستدلون على تهمتهم الظالمة بأنك تعيش فى لوكاندة ماى فير ! سبحان الله ! انهم لا يعرفون اننا صحفيون عالميون . لا يعرفون اننا نستطيع أن نكسب عشرات الألوف من عرقنا ، ومن العمل الفنى ، وليس من العمل السياسى ! لا يعرفون اننا خدمنا ألوف العرب ، ووقفنا بجوارهم فى أزماتهم ومحنهم ، بدون مقابل .. فليس عجيبا أن يقف العرب من أصدقائنا بجوارنا فى محنتنا هذه . اننا مكثنا سنوات طويلة نساعد من أخبار اليوم الزعماء العرب المضطهدين من كل بلاد العالم العربى . كنا ندفع لهم مرتبات شهرية كبيرة . كنا نفعل لهم ما لم تفعله بلادنا . فهل من الغريب أن نجد اليوم من يقف الى جوارنا .. أم أن أولئك الظالمين يتصورون أن كل الدنيا مثلهم ، تكفر بالعمل الطيب ، وتتنكر للجميل ، وتعض الأيدى التى أطعمتها ، وتدوس بالأقدام على الذين رفعوهم فوق الرؤوس !

ان الأغلبية العظمى للناس طيبة ، مخلصة ، وفية ، ولقد أحببنا الناس جميعا ، فأحبنا الناس جميعا . كنا نعطى لكل الناس فلا عجب أن يقف الناس إلى جوارنا فى محنتنا ..

ان الذين يظلموننا يضعون أنفسهم . يتصورون اننا ضعفاء مثلهم . أن الذهب له قيمته فى كل سوق الدنيا . ان كفاءتنا العالمية قادرة أن تدر علينا مئات الألوف . ولقد وضعنا خبراتنا وكفاياتنا وعبقريتنا فى خدمة بلادنا

مجانا . لم نطلب ثمنا . بل على العكس كنا نتلقى الضربات فى مقابل الخدمات . كانت تدبر لنا الدسائس ، وتحاك الأكاذيب ، وكانت توضع الخطط للابعاد بيننا وبين الرئيس جمال عبدالناصر . وتحملنا كل هذا ، ورضينا بهذا العذاب الدائم ـ ويعلم الله كم تحملنا وكم تعذبنا ، دون أن نشكو ، ودون أن نتوقف عن خدمة بلادنا . ولقد عرفنا الناس على حقيقتنا . وفشلت الأكاذيب فى القضاء علينا ، ولم تصل المطاعن إلا الى أقدامنا . ثم جاءت هذه المحنة . وتصور الذين لفقوها لنا انهم هدمونا الى الأبد . ان كل الناس سيتخلون عنا . انه لن يبقى لنا أصدقاء فى هذا العالم . ان الذين وقفنا بجوارهم فى أزماتهم ومحنتهم لن يقفوا الى جوارنا فى أزمتنا . ولكنهم نسوا أن الله يعطى كل انسان بقدر ما فى قلبه . واننا أعطينا الناس قلوبنا فأعطانا الناس قلوبهم .

لا أستطيع أن أصف لك سعادتى بالحب الذى ألقاه هنا من كل المسجونين وأقارب المسجونين . ان هؤلاء عندى هم الرأى العام . هم الشعب . الفقراء والقادرون . الأبرياء والمجرمون . ان كل واحد منهم يتحدث عن فكرة ! ان عسكرى هنا يأخذ عشرة جنيهات فى الشهر كان يقتطع من قوته قرش صاغ ونصف قرش يوميا ليشترى الأخبار ثم الأهرام ليقرأ فكرة .. وبعد أن انقطعت فكرة انقطع عن قراءة الصحف ! انهم لا ينسون هنا عيد الأم . ولا ليلة القدر . ولا المساعدات التى كنا نقدمها للفقراء .. ولا قصة ليلى المريضة بالسرطان ! ان بعضهم يحفظ قطعا من فكرة صم ! انهم يصلون ويدعون لى ولك فى صلاتهم . انهم لا يكتفون بأن يدعوا فى صلاتهم لأنفسهم .. انهم يشركوننا معهم فى أمنيتهم بالخروج من السجن !

ولقد أصبحت أمشى فى السجن وكأننى أمشى فى أخبار اليوم ! ان كل من فى السجن كأنهم أصدقائى وأولادى وتلاميذى وقرائى ! اننى أرى فى عيونهم الحب والتقدير والاهتمام . الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم . الأبرياء والمجرمون . العجائز والشبان .. الذبن يحملون شهادات عالية ، والذين يجهلون القراءة والكتابة .

ولقد حدث حادث غريب أمس .. فإن أحد ضباط البوليس فى قسم الوايلى اتهم هو واثنان من المخبرين بأنه عذب أحد المتهمين حتى مات من التعذيب وقدم الى محكمة الجنايات فحكمت عليه بالسجن عشر سنوات وحكمت على المخبرين بخمس سنوات سجنا لكل منهما . وأدخل الضابط سجن الاستئناف توطئة لنقله فى اليوم التالى الى اللبمان .

وسمع المسجونون بما حدث ، وإذا بينهم بعض الذين كان يعذبهم هذا الضابط وهو فى قسم الوايلى ، فأبلغوا زملاءهم بجرائمه ضد الأبرياء وتلفيقه التهم لهم . واجتمع المسجونون وهجموا على زنزانة الضباط ، يريدون فتحها بالقوة ، وقتله فى داخل الزنزانة . وكانوا فى حالة ثورة . وأمكن بمجهود ضخم تهدئتهم وإعادتهم الى غرفهم . وكان كل من فى السجن ثائرا على الضابط المحكوم عليه ، حتى ولو لم يصبه أذى منه .

كان كل واحد يشعر أن الكرابيج التى ضرب بها الأبرياء أصابته هو . ورأيت فى هذا الضابط مصير كل الذين لا يحترمون العدالة . ويعذبون الأبرياء ويدوسون على الشرائع والقوانين التى تحمى المتهم وتعتبره بريئا الى أن تحكم عليه .

وفى هذا الاسبوع عرضت على قاضى المعارضات قضية المهندسين اللذين اتهما بأنهما قالا أن مصطفى أمين برىء !

ووقف المحامى يقول :

— ان هذين المتهمين ليسا وحدهما اللذين يقولان ان مصطفى أمين برىء !

ان البلاد كلها تقول هذا .. فإذا كانت هذه تهمة .. فيجب أن يوضع الـ ٢٨ مليون مصرى فى السجن !

وقال المحامى :

— اننى عضو مجلس الأمة عن دائرة شبرا الخيمة . وقد كانت البلدة هادئة الى أن قبض على هذين المهندسين بهذه التهمة .. وانقلبت البلدة .. تعالوا وشوفوا ماذا يقول الناس الان ، بعد أن علموا أن الذى يقول أن مصطفى أمين برىء يقبض عليه !

اننى أقترح اضافة مادة جديدة فى قانون العقوبات تعاقب بالسجن كل من يقول أن مصطفى أمين برىء !

ونظر القاضى الى وكيل النيابة وقال :

— أظن نفرج عنهما بكفالة ..

فقال وكيل النيابة : أرجو التأجيل كى أعاين المكان الذى وقعت فيه الجريمة !

وتأجلت القضية اسبوعين ..

* * *

كانت نتيجة التحليل أن السكر غير موجود فى الدم .

وإذا استمرت النتيجة هكذا فى الشهر القادم فمعنى ذلك أن كارثة سجنى هى التى أدت الى شفائى من السكر !!!

وإن كان الأطباء في السجن يقولون أن من رأيهم أن هذا يدل على أن الصحافة وأخبار اليوم هي التي تجيء بالسكر ، وأن عدم الاشتغال بالصحافة هو الذي أدى الى الشفاء !

وهم يقولون : العادة أن شعور المسجون بالسجن وضيقه به يؤدي الى زيادة السكر لا إلى نقصه ..

وأن هذه أول حالة من نوعها رأوها !!

ولقد فرحت كثيرا بهذه النتيجة ، وإن كانت سوف تضايق الذين يريدون نقلي الى المستشفى ، ولقد بدأت أفلسف المسألة ، وأقول لنفسي انني اذا قيل لي أنه لكي تشفى من السكر يجب أن تدخل مصحة كالسجن وتبقى فيها سنة فهل كنت أقبل أم لا ؟ وأحاول اقناع نفسي بأنني كنت أقبل ! واذا ظهر في الشهور القادمة أن السكر انتهى فعلا فسوف أسجل الاكتشاف ، وسوف تسمع أن جميع مرضى السكر وضعوا في السجن للعلاج والشفاء !

والواقع انني أفضل ألا أكون مريضا بالسكر وفي سجن ، على أن أكون مريضا بالسكر وفي مستشفى !

ولا أظن أن نتيجة التحليل سوف تؤثر في ذهابي الى المستشفى أو عدمه ، فلو كانوا يريدون ارسالي الى المستشفى لأرسلوني مهما كانت نتيجة التحليل ، ولو انهم لا يريدون فإنهم لن يرسلوني للمستشفى مهما كانت النتيجة . وهذه مسألة يجمع عليها الأطباء هنا ..

ولقد كان هذا الاسبوع اسبوعا هاما نظرا لوجود سعيد فريحة وفائق السمرائي ومحمد أحمد محجوب . وفي الوقت نفسه كانوا النافذة التي أطل منها على العالم ، وأرى منها ما يجرى ساعة بساعة . ولقد سررت أن سعيد بعد أن اطلع على الحقائق اقتنع ببراءتي ، بعد أن كانت الأكاذيب قد ضللته وخدعته وجعلته يتصور انني مخطىء . وكان يهمني كثيرا أن يعرف الحقيقة كاملة . وسيجيء يوم تعرف فيه الدنيا كلها الحقيقة ، وسوف تبيض وجوه ، وتسود وجوه . ان ايماني بشروق الفجر يزداد كل يوم . ان الظلام لا يمكن أن يعيش الى الأبد ..

وفي الختام أقبلك وإلى اللقاء ..

فى مستشفى المجاذيب !

سجن الاستئناف :

٣ مايو سنة ١٩٦٦

أخى العزيز ....

أكتب هذا فى ٣ مايو ، لا أعرف متى يصل إليك . ولكننى أتصور أنه سيكون عندك يوم ٢٣ مايو . مرت سنة كاملة منذ آخر لقاء . الأيام تمر بسرعة . والأيام تمر ببطء . يومها كتبت عن هذا الوداع فى أخبار اليوم رسالة من المحرر . الذين قرأوها بكوا . كان قلبى هو الذى يتكلم . قلت فيها أشياء كثيرة . عندما انفجرت بالبكاء فى المطار . عندما تمزق قلبى لحظة الوداع . كان ذلك احساسا من أن فراقنا سيطول . سيطول جدا . لست أعرف سبب هذا الشعور . احساس داخلى عجيب . لعله نوع من أخبار الغد !

لم يتغير شىء . كأننى بعد سنة لا أزال فى المطار . أرى ظهرك وأنت تسير نحو الطائرة . حولى كل أصدقائى وأشعر أننى وحدى .. أتذكر أننى كنت ألومك .. لأنك تؤخر سفرك . كنت أقول أن قلبى يحدثنى بأنك إذا تأخرت فلن تسافر . تحققت نبوءتى .. كان يجب أن تسافر . ولو كنت بقيت هنا . وحدث ما حدث . لكنت أتعس رجل فى العالم . وأنت بعيد أقرب كثيرا مما لو كنت هنا . خارج السجن أو فى زنزانة أخرى بجوارى . أشعر الان أنك قريب جدا . أشعر اننى أتحرك معك . اتضايق عندما تحبس نفسك فى غرفتك . أحس كأنك تحبسنى معك . كلما خرجت الى هايدبارك خرجت معك . أتفرج على التليفزيون فى غرفتك بالفندق .

.. أسافر معك الى برمنجهام أشهد مباراة الكرة . أهتف فرحا لانتصار فريق شيفيلد . وفى الوقت نفسه أحس أنك معى . فى نفس الزنزانة

السرير الضيق يسعنا . المقعد الواحد يكفينا . السلاسل تربطنا . الباب المغلق يجمعنا . نركب فى مرجيحة واحدة . نهتز بين اليأس والأمل . أيد مجهولة تدفعها الى الأمام وإلى الوراء .. ولكننا لا ندوخ . لا نخاف أن نسقط من المرجيحة . نؤمن بأنها ستقف فى وقت من الأوقات . سننزل منها سالمين آمنين !

فى بعض الأحيان أشعر أنهم أدخلونى مستشفى المجاذيب ! هنا مجنون يعتقد أنه زعيم و « خواف » اعترف انه ارهابى . ولص يقسم انه أشرف الشرفاء . وبرىء اضطر أن يقول فى التحقيق أنه متآمر . وأحيانا يهتاج المسجونون . كما يفعل المجانين . يشتمون بعضهم . أو يضربون بعضهم ، أو يجرحون أنفسهم بالأمواس حتى تسيل الدماء . والحراس هم الممرضون . والضباط هم الأطباء . والمأمور هو الحكيمباشى . وفى بعض الأحيان تنتشر العدوى . ويصاب الأطباء والحكيمباشى بالجنون ! وأضع يدى على رأسى . أتحسس عقلى . أحمد الله على انه لم يطر . لا أزال عاقلا . انها نعمة كبرى . أن العقل أثمن من الحرية ! اذا كنت فقدت حريتى فقد احتفظت بعقلى . شىء خير من لا شىء .. ونصف البلاء ولا البلاء كله ! الشىء الذى يجنن المساجين السياسيين هو موعد التصديق على الأحكام ! قبل العيد الصغير يقولون بعد العيد الصغير . وقبل العيد الكبير يقولون بعد العيد الكبير . وفى يناير يقولون فى فبراير . وفى فبراير يقولون انه فى مارس . يسمعون أن تيتو سيصل الى مصر . يقولون ستصدر الأحكام قبل وصول تيتو . ويصل تيتو ولا تصدر الأحكام . فيقولون قبل وصول كوسيجين . فإذا وصل كوسيجين قالوا ستصدر بعد سفره ! وكل متهم يتحول الى قاض . يصدر الأحكام . يصدر أحكاما قاسية على الذين لا يحبهم . ويحكم على نفسه طبعا بالبراءة ! الظريف انهم جميعا يحكمون على بالبراءة . انهم جميعا بلا استثناء يحبوننى .. المسجون السياسى يقابل زوجته وأسرته كل ١٥ يوما . كل زيارة لا تجىء ويدها فاضية ! ان يدها دائما مليئة بإشاعات عن الأحكام ! والأخبار تجعل المسجونين كبندول الساعة . يتحركون بين التشاؤم والتفاؤل ! وهم يعتبرون أنفسهم المحور الذى تدور حوله الكرة الأرضية . كل شىء فى العالم يؤثر على الأحكام ! الافراج عن المسجونين فى الجزائر يفرحهم فى القاهرة . العفو عن المتهمين فى بغداد يجعل المتهمين يرقصون فى سجن الاستئناف ! وكثير منهم يعيشون على الأحلام . الحلم والرؤيا يؤثران على مزاجهم . وفى السجن واعظ يعتبر نفسه خبيرا فى تفسير الأحلام ! وهو يفسر كل الأحلام بأنها

براءة ! حلم أحد المسجونين أنه كان يأكل ملوخية . قال الشيخ الملوخية خضراء ، والخضرة براءة . وحلم مسجون ثان انه كان يركب طيارة . قال الشيخ محمد أن الطيارة تنطلق . والانطلاق معناه اطلاق السراح . وحلم مسجون ثالث انه كان يبيع « كشرى » أمام السيدة زينب . قال الواعظ أن السيدة زينب حفيدة رسول الله وهى لا تجىء إلا للأبرياء !

وفى السجن شخصيات غريبة ، شخصية عجوز اسمه عباس بيه . محام متهم فى قضية الشيوعية . عمره ٨٠ سنة . وهو متهم برىء بالشيوعية . لا يتكلم إلا بالقرآن والأحاديث النبوية . وهو يفتح مكتب محام فى السجن . يستشيره اللصوص وقطاع الطرق والنشالون . ثمن كل استشارة قانونية سيجارة بلمونت ! وهو يجمع السجائر ويشترى بها طعاما !

وفى السجن شاب اسمه كامل . كان بطل مصر فى الملاكمة . وهو متهم بالشيوعية ـ ووجدته هائجا غاضبا ثائرا . ان زملاءه يطلقون عليه لقب بطليموس ! قلت له أن بطليموس ليس شتيمة ! انه أحد البطالسة الذين حكموا مصر . وظهر أن سر غضبه أنه كان متزوجا من فتاة جميلة جدا . ثم رفعت عليه قضية أمام الكنيسة .. وطلبت الطلاق .. لأنه عاجز جنسيا . وأن بطليموس الثالث عشر كان متزوجا بكليوباترا . وطلقته لأنه كان عاجزا جنسيا ، وأحبت قيصر !! ولكى تعرف سر ثورة ، صديقنا كامل » هذا على لقب بطليموس ، هو انه سمع أن بطليموس عاجز جنسيا . ثم يجلس ويلقى عليك درسا تاريخيا فى حكاية بطليموس وكليوباترا . ويعترف بالقضية التى رفعتها عليه زوجته ، ويؤكد لك أنه كسب القضية . وبعد ذلك طلق زوجته الكذابة !

وأنا أصدق بطل الملاكمة ، وهو صادق لا يكذب. ولكن زملاءه هنا يعاكسونه ويدعون انه بطليموس الرابع عشر !

وسبب حرارة الجو كثرت الخناقات والمشاجرات . حدث أن أحد المتهمين السياسيين كان يحلق ذقنه . وبعد أن انتهى من حلاقته جاء زميل ليجلس على كرسى الحلاق . واعترض المتهم السياسى لأن الحلاقة يجب أن تكون بإذنه . وقد وعد مسجونا آخر بهذا الدور . وحدثت مشاجرة لرب السماء . ونزل المتهم السياسى الى المأمور وقدم بلاغا يقول فيه أن المسجون لبيب يريد قتله ، وأن حياته فى خطر ، وانه يطلب نقل لبيب من هذا الدور ! وهدد لبيب بأن يقدم بلاغا ضد هذا البلاغ .

وأراد الارهابى رقم ١١ أن يقلد المسجون السياسى ، فهو له عقلية القرود . إذا رآك تدخن أشعل سيجارة . وإذا رآك تمسح حذاءك مسح

حذاءه . وإذا رآك تمشى على يديك ورجليك ، مشى هو على يديه ورجليه . ولهذا قلد المتهم السياسى . وقدم بلاغا ضد زميله يتهمه بأنه ينشر الشيوعية فى السجن ويهاجم الرئيس !

وكانت نتيجة هذه الخناقات والمشاجرات أن صدرت التعليمات بتطبيق نظام الضبط والربط على المسجونين فى الدور الثانى الذى نقيم فيه . ومعنى الضبط والربط أن تغلق علينا الزنزانات . ولا تفتح إلا نصف ساعة فى اليوم . وفعلا أقفلت الزنزانات . ولم تنقذنى إلا زيارة فائق السمرائى . وكانت الزيارة فى حضور المأمور . وعندما انتهت الزيارة طلب منى المأمور أن أصفى الخلاف بين المسجونين السياسيين . فقلت له اننى آثرت أن أبتعد عن هذا الجو . ولكنه ألح فى أن أتدخل . فقبلت التدخل بشرط العودة الى فتح الأبواب . وإنهاء مسألة الضبط والربط . ووافق المأمور وتمت تسوية الخلافات . وفتحت أبواب الزنزانات !

وهكذا ترى اننا مشغولون ! كل يوم لدينا مشاورات واجتماعات للأقطاب . ومفاوضات . وحرب وهدنة وسلام . ولقد جرى تفكير فى تأليف مجلس أمن . ليحل المشاكل التى تهدد السلام . وأجمعوا على أن أكون أنا مجلس الأمن . لكنى رفضت بشدة . لأنه لا ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه . وأنا فى حاجة الى هدومى . وأذكر مصير الكونت برنادوت الذى قتل عندما تدخل بين العرب واليهود !

وفى الدور ثلاثة متهمين فى قضية رشوة . فاروق وهاشم ولبيب .. وهم من أحسن المتهمين معنا . وكانوا يكونون ثالوثا مقدسا . يأكلون معا ويمشون معا . ويصلون معا ويتفسحون معا ويستحمون معا . وهم كلهم أصدقائى . وفجأة اختلف الثلاثة ! وكان خلافهم أثناء نظر قضيتهم أمام محكمة الجنايات . والخلاف على مسائل هايفة . وحاولت أن أصالحهم وأجعلهم يفهمون أنهم فى مركب واحد . إما يعومون معا ، أو يغرقون معا ! والمثل الذى يقول فتش عن المرأة ، لعب دورا فى هذا الخلاف . ان زوجة أحدهم قالت ان زوجة الثانى أوصت أحد الشهود على زوجها وحده ! وتنعقد مجالس صلح ، وتنفض المجالس ، وتجرى اجتماعات جانبية ، واجتماعات جماعية ، وتنفض الاشكال ، ثم يعود الخناق من أول وجديد !

والعجيب أن الثلاثة أبرياء ، ومركزهم واحد فى القضية ، إما أن يبرأوا معا أو يدانوا معا ، ولكنهم لا يعرفون !

وعندنا أربعة من الاخوان المسلمين . تهمتهم انهم قرروا نسف قطار الرئيس سنة ١٩٥٥ ثم عدلوا عن ذلك . وهم مختلفون فيما بينهم .

والخلاف حول من منهم يؤذن للصلاة ! كل واحد منهم يعتقد انه احق بان يتولى الأذان . فهم يتسابقون الى الأذان ! ولهذا نجد الواحد منهم يؤذن الفجر قبل موعده بنصف ساعة حتى يسبق زميله ، واحيانا نجد اثنين منهم يؤذنان في وقت واحد . وإذا استمر هذا النزاع فسيؤذن الواحد منهم لصلاة الظهر في الفجر ، ولصلاة العشاء في الظهر !

وفي نهاية العنبر يوجد ثلاثة متهمين في قضية منشورات بالاسكندرية . اخوان وصديق لهما . شبان صغار السن . احدهم موظف في بنك والثاني في مطار الاسكندرية والثالث في احدى الشركات . أصيب احدهم بحالة غريبة بعد دخوله السجن . فقد النطق وفقد السمع معا . اصبح يتكلم معنا بالاشارة . أو يكتب ما يريد أن يقول . ونكتب له ما نريد أن نقول . والاطباء في السجن حيارى في هذه الحالة الغريبة لا يعرفون ماذا يفعلون . واغلبية كبيرة من المسجونين من المتهمين في قضايا المخدرات . كثير منهم أطفال صغار . أولاد في السابعة عشرة والخامسة عشرة . وقد رأيت من أيام تلميذا في الرابعة عشرة من عمره . جميل الشكل . يبدو انه من أسرة طيبة . تهمته أن صديقا له طلب منه أن يوصل خشبا إلى أحد البيوت . ثم ظهر أن الخشب مسروق . قبضوا عليه . أدخلوه الزنزانة . فزع عندما راى شكلها . راح يبكي . كان جائعا وقد انتهى موعد توزيع الطعام . كان حائرا لأنه لم يتعود هذا الوسط وهذه الحياة . أحسست كأنه ابني ! اسرعت اليه أحمل فاكهة وطعاما . ومجلات ليقراها . وأخذت احدثه وأسرى عنه . حتى جففت دموعه . وبذلت جهدا كبيرا حتى لا يرى دموعي . وحمدت الله عندما افرج عنه بعد يومين عندما ابرز للقاضي شهادة ميلاده ، وعرف أنه أصغر من أن يسجن في سجن الاستئناف !

والسجن مشغول الان ! انهم يعلون أسواره ! ان ارتفاع السور خمسة أمتار ، وهم يرفعون فوقه أعمدة من الحديد طولها ثلاثة أمتار ، سيضعون فيها اسلاكا شائكة ، لمنع الذين يفكرون في الهرب ، وفي الوقت نفسه لمنع الذين يستعملون الحبال في احضار ممنوعات من خارج السور . مثل الشاي والحشيش وأمواس الحلاقة !

وهذه هي اهم أخباري ! أو هي صورة لحياتي واهتماماتي ! ولكن الصحف العربية والأجنبية لاتزال هي اكثر ما يسليني . وفي الوقت الذي كنت أتتبع فيه باهتمام مذكرات طبيب تشرشل في الصانداي تيمس ، كنت انا اقراها باهتمام ، واقرأ بشغف تعليق المعارضين والمؤيدين .

وأنا أنتظر بشغف الأعداد الأخيرة من جريدة التيمس لأرى التغير الذى حدث في صفحتها الأولى . وسأطلب أن ترسلوا لى جريدة التيمس بانتظام ابتداء من اليوم والأيام التالية .

ولقد وصلت الى القاهرة صديقة قادمة من رحلة الى الأردن ولبنان والكويت . كتب لى أحد أصدقائى رسالة مهذبة ذكر فيها « قالت لنا انها أثناء رحلتها الى عمان وبيروت والكويت ذهلت لعدد الناس الذين يهتمون بأخبارك .. أينما دخلت يكفى أن يعرفوا انها مصرية يروحوا فورا يسألونها : ازى مصطفى أمين .. وما هى أخباره وما تم فى مسألته .. الخ .. لاحظت حاجة غريبة أن الكل متتبع أخبارك باهتمام ويعرفون أدق التفاصيل ، لدرجة انهم يعلمون انك ختمت مرافعتك بكلمة غاية فى الابداع .. ويعرفون أو على الأصح متأكدين من براءتك ولا فرد واحد يشك ثانية فى انك خائن لبلادك ويدعون لك من كل قلوبهم . وكانت هى مذهولة من مثل هذا الشعور العام فى البلاد العربية » ..

ولقد وصل إلى السجن متهمون من سوريا ومن السعودية ومن ليبيا ومن الكونغو وهم يقولون نفس الكلام .

وكرر لى فائق السمرائى السفير العراقى السابق فى القاهرة عند زيارته لى هذه المعانى كلها .

وقال لى أن جريدة عبدالرحمن البزاز فى العراق كتبت تقول انها علمت من أوثق المصادر اننى سأنقل الى المستشفى ثم يفرج عنى « افراج صحى » .

وفائق متفائل ، ويعتقد أن الافراج عنى سيتم قريبا وهو مؤمن بأن الرئيس لا يمكن أن ينسى خدماتى من أجل بلدى ، ولا تفانى فى خدمته طوال هذه السنين .

ولقد سررت بشعور الناس كثيرا . ان حكم الناس وحكم التاريخ هو الذى يهمنى أكثر من أى شىء . وما أسمعه من أفواه الناس يسعدنى ويجعلنى أشعر أن ما دفعت كان أقل كثيرا مما أخذت . وأن كل ما حدث لى لا يساوى هذا العطف الذى أحس به من الذين كانوا يحبوننى ، والذين كانوا يكرهوننى ..

الحياة فى الزنزانة !

سجن الاستئناف :
١٠ مايو سنة ١٩٦٦
اخى العزيز ......

اطلعت على خطابك المؤرخ فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٦٦ ، ولقد سررت ان صحتك جيدة ، وان آلام النقرس لم تعاودك منذ وصولك الى لندن . وانا أحمد الله ان صحتى جيدة ، وأنا كذلك اصبت بزكام ، ولكن كان زكاما خفيفا ولله الحمد . وعالجت نفسى بنفسى ، واستطعت بفضل الاسبرو ان اشفى نفسى بغير حاجة الى عرض نفسى على الاطباء ، وأهم شىء احرص عليه فى السجن النظافة ، فأنا اغير ملابسى كل يوم ، ويقوم بمهمة صادق فى الاشراف على تنظيف الغرفة مسجون مهمته ان يحضر فى الصباح المبكر ويأخذ الاطباق وعلب البلاستيك التى يحضر لى فيها الطعام ويغسلها ، ثم اتولى انا غسل الاطباق مرة اخرى زيادة فى النظافة والعناية الصحية . وهو يغير جردل البول ، وامضى الصباح فى ترتيب غرفتى . فأنا أحرص على ان اتولى تنظيف فراشى بنفسى ، وترتيب ملايات الفرش ، ولا اسمح لأحد سواى ان يلمس فراشى وذلك حتى اضمن الا يمتلىء بالقمل والبراغيث !

والحمد لله حتى الآن لم يحدث ضحايا ، وقد حدث ان اكتشفت فى سجن القبة الذى كنت فيه « بقة » وكانت حكاية !

واقرأ بترتيب الصحف الكثيرة التى تصل الى ، ثم اوزعها على المسجونين من زملائى ولكل واحد فيهم ذوق خاص فى الجريدة التى يريدها بعضهم يفضل الانوار وبعضهم لا يقرأ الا الشبكة ! وبعضهم يفضل الديلى تلغراف ، وآخرون يقرأون تايم ونيوزويك ونيويورك تيمس والارهابى رقم ١١ يبدى اسفه لأنهم لا يرسلون الى مجلة ميكى والسندباد !

ومن المهام اللذيذة التى أقوم بها كل يوم نقل الثلج من ترموس فاتن حمامة الى ترموس اصغر ، والى الأكواب البلاستيك ، وترموس فاتن يجعلنى اشعر ان عندى فى شقتى الصغيرة « فريجيدير » خاصا !

وأتولى بنفسى غسل اكواب الشرب والمعالق ، ثم افرش المفرش على المائدة ، وارتب السفرة استعدادا لوصول طعام الافطار الشهى .

والزنزانة تتحول الى غرفة مكتب ، والى غرفة نوم ، والى غرفة طعام ، والى صالون . فأننى اغطى السرير فيصلح كنبة ، ويجلس بعض المساجين على الكراسى ، وبعضهم يجلسون على السجادة .

وكما اهتممت بتأثيث شقة الزمالك اهتممت بتأثيث شقة سجن الاستئناف . وقد اصبحت غرفتى اكثر الغرف اناقة ونظافة وترتيبا فى السجن كله . ولست فى حاجة الى وضع صور زيتية على الحائط ، فان المساجين الذين قبلى تولوا ذلك ، بأن حفروا على الحائط عددا من الآيات القرآنية ، والدعوات ، والتواريخ !

ونسيت ان اقول لك ان الزنزانة تنقلب ايضا الى حمام ، فأننى استحم فيها وعندى طشت يقوم بمهمة البانيو خير قيام .

ويبقى كل شيء منظما فى شقتى الصغيرة الى ان يحدث تفتيش . وعادة يتم التفتيش فى الصباح المبكر . ويحضر عسكرى يقلب الغرفة رأسا على عقب ، فيبحث تحت المراتب ، وتحت السرير ، ويفتح حقيبة الملابس ، ويقلبها رأسا على عقب بعد أن أكون قد بذلت مجهودا كبيرا فى ترتيبها ، ثم يمرر اصابعه بين الصحف والكتب ، وفى سبتين من الخوص اضع فيهما الفاكهة والجبن والمخللات واسمى السبتين « الأوفيس الخاص » ثم يمرر اصابعه فى جميع البدل المعلقة على الشماعة والروب دى شامبر ويضع يده فى الجيوب . وفى بعض الاحيان يفتشنى شخصيا !

والأشياء الممنوعة هى الراديو والشمع والحبر والشوكة والكلونيا والخطابات !

وأنا اخفى كل ما اكتب خارج زنزانتى !

وقد قال المأمور فى اجتماع مع المساجين ان بعض المسجونين هربوا راديو ، ووضعوه فى مؤخرتهم ، وذهل السجانون : لا يمكن اخفاء راديو فى مثل هذا المكان الدقيق . ولكن المأمور قال انه ممكن اخفاء تليفزيون فى مثل هذا المكان !

والمنتظر ان يضم السجانون هذا المكان الغريب الى الأمكنة التى يفتشونها بدقة واهتمام ! !

وأمس حضر عسكرى وضابط وفتشا غرفتى . وجد العسكرى ساعتى ، وظن انه وضع يده على مخالفة خطيرة !

واسرع بالساعة الى الضابط على حطبه وهو يقول : وجدتها !

ولكن الضابط قال له ببرود ان هذه الساعة مسموح بها من المصلحة !

فأعاد العسكرى الساعة الى مكانها .

وساعتى مشهورة مثل ساعة الجامعة او ساعة محطة القاهرة ، وكل المساجين يسألوننى عن الساعة ، وهى الساعة الوحيدة بين المسجونين ولهذا فهم يعتمدون عليها فى أوقات الصلاة ، وأوقات الفسحة ، والأوقات المقررة لأغلاق الزنازين !

والحياة بغير ساعة مؤلمة جدا . ولقد عشت فى بعض الأيام ـ ايام سجن المخابرات والسجن الحربى ـ بغير ساعة ، وفى سجن الاستئناف لم يسمحوا لى فى الاسبوعين الأولين بساعة . وكنت احاول ان أعرف الوقت بالتشعلق فى نافذة الزنزانة وسؤال السجانين عن الوقت وفى بعض الأحيان يلغى السجان كسور الساعة فاذا كانت الساعة السابعة الا خمس دقائق قال لك انها السادسة ، باعتبارها الساعة السادسة وخمسا وخمسين دقيقة ! ولقد حدث مرة ان نمت واستيقظت وتصورت ان الساعة السادسة صباحا ، واذا بى اسأل وأعرف أننا ما زلنا فى منتصف الليل ! ولكن منذ ان سمحت لى النيابة باستعمال الساعة اصبحت اعرف اين أنا فى ساعات الليل والنهار !

وأهم حديث يسيطر على المسجونين السياسيين هو متى يصدق على الأحكام ! وكل اسرة مسجون تحمل له اشاعة أو خبرا عن موعد التصديق . وهم يحاولون ان يقرأوا بين سطور الصحف انباء غير موجودة عن موعد التصديق ! ومن الطريف ان المساجين يحضرون الى ، ويعرضون قضاياهم ، ويسألوننى عن الحكم الذى اعتقد انه سيصدر عليهم ، كأنهم يتصورون اننى الدجوى ! واننى عادة اعطيهم الأمل ، واطرد عنهم اليأس ، وحديثى معهم يريحهم . والساعة التى يفقدون فيها اعصابهم هى الدقائق السابقة على اغلاق ابواب الزنازين عليهم ، فتجد كل واحد منهم يحاول ان يؤجل اغلاق الزنزانة دقيقة أو خمس دقائق ، ليتمتع بالحرية هذه المدة الصغيرة . وصحيح انها حرية داخل عنبر السجن . لأن المسائل نسبية ، فهم يعتقدون انهم اكثر حيوية فى ردهة العنبر منهم فى داخل الزنزانة . واحاول ان اقنعهم بأنه لا فرق بين الزنزانة ، وبين ردهة العنبر ، وبين حوش السجن ، مادامت كلها محوطة بالأسوار ، ولكن من

العريب ان المسجون يشعر بالحرية عندما يخرج من باب الزنزانة أو عندما يفتح باب الزنزانة دون ان يخرج منها ! فهو يكره الباب المغلق . وحتى لو فتح هذا الباب ، وأدى الى باب مغلق آخر ، او الى عدة أبواب مغلقة ، فمع ذلك يتمنى ان يبقى باب زنزانته مفتوحا .

وأنا شخصيا لا أتضايق كثيرا من اغلاق باب الزنزانة ، فانها هى الفرصة الوحيدة التى انفرد فيها بنفسى ، وأكتب ، أو أقرأ ، لأنه مادام الباب مفتوحا فلابد ان يدق الباب . ويدخل أحد المسجونين ليسألنى عن شىء ، أو ليجلس معى ، أو ليطلب كوب ماء بارد فان ترموس فاتن حمامة اصبح اشبه بسبيل أم عباس !

ولقد لاحظت ان بعض المسجونين العاديين يلحون فى طلب الجرائد ، وأسألهم اى جريدة يريدون . فيقولون اى جريدة !

وأسألهم جريدة عربية أو جريدة افرنجية فيقولون زى بعضه ! وأسألهم هل تعرفون لغة انجليزية فيجيبون لا !

ثم اكتشفت انهم يريدون الجريدة ليحرقوها ، ويصنعوا على نارها الشاى !

وهى فائدة جديدة للجرائد لم أكن اعرفها برغم اشتغالى بالصحافة طوال هذه السنوات الأربعين !

ولقد صنع المسجونون السياسيون ، من لباب الخبز احجار شطرنج ، وهم يمضون جزءا من وقتهم فى لعب الشطرنج .

وانا امضى اغلب وقتى فى المشى ، امشى كثيرا جدا ، اكثر من اى مسجون فى السجن كله . ويجيء زملائى ويمشون معى ، ولكن لا يلبث الواحد منهم ان يتعب ، ويحل مكانه مسجون آخر . واحيانا امشى مع مسجون واحد ، واحيانا نمشى اربعة معا .

وقبل ان ابدأ كتابة هذا الخطاب تصورت ان ليس عندى شىء اقوله لك .

ولكنى ما كدت اجلس واكتب حتى وجدت ان فى حياتى هنا اشياء كثيرة تستحق الكتابة .

ان خطابى سيصلك وقد دخلنا الشهر الثانى عشر من فراقنا . وانا اعرف ماذا يعنى هذا بالنسبة لى ولك . ولكنى مؤمن بأن الغد احسن من اليوم ، وان الله لن يتخلى عنا . ثم فى الوقت نفسه اننى احمد الله لأنه اعطانى فى هذه الفترة كثيرا ، اكثر مما كنت اتصور ان يحدث ، فلقد جعل الله سجنى محتملا ومريحا وملأ قلبى بالصمود والايمان اكثر من اى وقت مضى . وانا سعيد جدا بأيمانك وصمودك واصرارك على ان تحب بلدك .

وانني اقبلك وأرجو ان تعذرنى لأننى لم اكتب لك طويلا فأنت تعلم ان ظروف الكتابة ليست سهلة .

والى اللقاء ....

لست المظلوم الوحيد

سجن الاستئناف :
٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٥
عزيزتي ...
اتريدين ان تعرفى حياتى هنا ؟

فى حوالى الساعة الثامنة صباحا يفتح السجان باب زنزانتى . اذهب معه الى دورة المياه ، وهى عادة مليئة بالمسجونين . ما يكاد يرانى المسجونون حتى يخلوا لى الطريق . ثم اعود الى زنزانتى ، وارتدى ملابسى . ويجىء جاويش يحلق لى ذقنى . ثم يعد طعام الافطار . ان المسجون تحت التحقيق يتلقى طعامه من بيته ، وهكذا افطر ببيض مقلى يصل باردا فى اغلب الاحيان وفول مدمس يصل ساخنا ، و« كرواسون » مختلف الاشكال والاحكام ! عز حقيقى وجبن . اقتسم افطارى مع زملائى المسجونين والحراس . الحراس يريدون ان يكون لهم نصيب الاسد . بطنى وقلبى مع المسجونين ! ثم تصل صحف الصباح والتهمها ، على الرغم من اننى اعرف كيف تملأ الاخبار والتعليقات ! وبحكم التجربة استطيع ان أعلم ما حذفوه من الخبر الصحيح ، وما أضافوه الى الخبر الصحيح حتى أصبح غير صحيح !

وفى الساعة ١٢ ظهرا يسمحون لى بفسحة لمدة نصف ساعة . ويسمونها « الطابور » وهذه الفسحة عبارة عن المشى فى فناء السجن الذى يبلغ عرضه خمسة امتار أو ستة امتار وطوله خمسين مترا ... وتستمر « الفسحة » ساعة ونصف ساعة طبقا لمزاج الضابط !

وفى الساعة الثانية ظهرا اتناول غدائى ، ثم استأنف القراءة . الى ان يغلق باب الزنزانة فى الساعة الرابعة بعد الظهر .

اتفرج على مباريات كرة القدم فى التليفزيون مرتين كل اسبوع ، مرة يوم الجمعة ومرة يوم الأحد ، وفى أغلب الأيام لا يسمحون لنا الا بنصف المباراة ، « أى الهاف تايم الأول » لأن عملية « تمام السجن » تتم فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وهكذا نتفرج على الجزء الثانى من المباراة فى الصحف فى اليوم التالى . وهذا أمر يعذب هواة كرة القدم مثلى ، ولكن المثل البلدى يقول « الطشاش خير من العمى » وفى بعض الاحيان يحدث ان يرتكب احد المسجونين ذنبا ، كان يضبطوا عنده مخدرات أو جهاز راديو أو سكرا أو شايا ، وعندئذ يعاقب السجن كله بأن نحرم جميعا من مشاهدة التليفزيون ، لأن مسجونا واحدا اخطأ . ذلك أن القاعدة فى السجن ان « النعمة تخص والنقمة تعم » .

وفى بعض الليالى احمل مقعدى ، بعد اغلاق ابواب الزنازين ، واقف على المقعد ، بجوار الباب ، والصق رأسى بقضبان الشراعة ، ويفعل المسجونون نفس الشىء ونمضى الليل فى الحديث والحوار والمناقشة من وراء القضبان !

وبين المسجونين بجوارى مسجون سياسى قدموه الى المحاكمة ظلما بأنه الارهابى رقم ١١ فى قضية حسين توفيق ، والشاب مظلوم لم يذبح فرخة طوال حياته ، ولكنهم ارغموه ان يعترف على زملائه بأنه كان يعد معهم مؤامرة اغتيال والقاء قنابل وقتل بالمدافع الرشاشة !

والارهابى رقم ١١ يخاف من الظلام ، فاذا انقطع النور فى السجن ، وهو أمر يحدث كل يوم تقريبا ، اصيب الارهابى الخطير بفزع ، وراح يصرخ ويولول ، بينما المسجونون الأشقياء يقلدون صوت الذئاب والكلاب والقطط .. وفى ليال اخرى يقلد المسجونون صراخ العواصف وزئير الرياح ، ويدعى واحد منهم ان شبح مسجون نفذ عليه حكم الاعدام فى السجن يمشى امام الزنازين ، ويصرخ كل مسجون فى زنزانته مدعيا انه رأى بعينيه الشبح المزعوم ، ويصدق الارهابى رقم ١١ ويرقع بالصوت وهو يقسم ويؤكد انه لم ير الشبح فقط ، وانما هو الآن معه داخل الزنزانة !

وهكذا نستطيع ان نضحك فى احزاننا ، ونحاول ان نغير الجو الكئيب القاتل الى جو مرح . لا أريد ان افقد هنا قدرتى على الضحك ، لو فقدت قدرتى على الضحك لفقدت قدرتى على الحياة !

واستطعت ان أكون فى السجن صداقات مع كل المسجونين ،وقد دهشت عندما قال لى الضباط ان لى شعبية فى السجن . وهى شعبية غريبة

تذهلهم . وقال لى الضباط انه لو عرف ولاة الأمور بهذه الشعبية لوضعوا الضباط معنا فى الزنازين ، وليسوا فى حاجة الى تعليق المشانق ، فالمشنقة موجودة فى غرفة تحت الطابق الذى اقيم فيه ! لا اكاد امشى فى ردهة السجن حتى يتقدم نحوى المئات منهم يصافحوننى ، ويسلمون على ، ويرفعون ايديهم الى السماء داعين لى . وهذا يجعلنى اشعر انى لم اضيع فى الأوهام عمرى ، والمسجونين هنا يكتبون لى خطابات وكأننى احد نجوم السينما . وقد بدأت اتلقى رسائل مهربة من خارج السجن من تلاميذ لى ومن اصدقاء ، ومن قراء لم أعرفهم ، كلها تعلن ايمانها ببراءتى . ولا شك ان ما القاه من هذا الحب والعطف والتشجيع هو اجمل عزاء لى . ولم اكن اتصور ان كل هؤلاء الناس من مختلف الطوائف والطبقات والاتجاهات يعرفوننى. ويعرفون ما فعلت لبلادى أو يشعرون اننى مظلوم ، ويحسون بمقدار الظلم الذى اتعرض له ، على الرغم من حملات الأكاذيب والاتهامات الظالمة ضدى . وقد زادنى هذا الشعور حبا فى بلدى ، وايمانا بشعبها ، وعرفانا لجميلها .

ولكنى احب ان تعرف الدنيا اننى لست المظلوم الوحيد فى هذا السجن . لقد تبين لى انه يوجد مئات غيرى من المظلومين لفقت لهم القضايا ، وزجوا فى السجن بغير جريمة . واجبى ان أعلن للناس جميعا انهم ابرياء . لست البرىء الوحيد . اريد ان أهرب الى خارج السجن رسائل تروى قصص الظلم الذى وقع عليهم . فى الماضى كان العدل هوالقاعدة والظلم هو الاستثناء . اليوم الظلم هوالقاعدة والعدل هو الاستثناء . فى الماضى كان المتهم برىء حتى تثبت ادانته ! الآن المتهم مجرم حتى لو ثبتت براءته . وطالما حذرت وانذرت . ولا حياة لمن تنادى . ولعل الذين ظلمونى ارادوا ان يسكتوا اصوات التحذير والانذار . كان صوتى نشازا بين الأصوات التى تقول ان القوة هى العنف والارهاب وانا فى رأيى ان المظالم والتلفيقات والمحاكم الاستثنائية والمعتقلات هى معالم الطريق الى الكارثة !

وهم يتوهمون ان هذه علامات النصر ! ! انه يتصورون ان المسجونين السياسيين هم الأسرى الذين كانوا يسيرون خلف موكب فرعون ! وكلما طال الموكب كبر حجم الانتصار . انا ارى ان الأسرى من المصريين لا يصنعون موكب منتصر ، بل يصنعون طابور الهزيمة !

اعرف ان الناس خائفة واجفة . الحق يهمس والظلم يزأر . اصبحت الحقيقة هى المجرمة الخائنة ، والأكذوبة هى مثال الشرف والأمانة والوطنية !

انا لم افقد الثقة فى الشعب ، هذا الشعب عجيب ، يحنى رأسه وهو يلعن ظالميه ، يحسب الظالمون انه استسلم ، وانما هو يستعد للانقضاض ، ومع ذلك فان الارهاب قادر ان يسحق الحقيقة ، ويدفنها فى التراب .. ولكنى مؤمن بأن الحقيقة لابد فى يوم من الأيام ان تخرج رأسها من التراب !

الحقيقة تدفن ، ولا تموت ! !

خصص سجن الاستئناف الطابق الثانى للمسجونين السياسيين . ومعنا المحكوم عليهم بالاعدام ، والمسجونون الخطرون . وبعض هؤلاء يقيم وحده فى زنزانة منفردة ، والبعض الآخر يقيم ثلاثة أو اربعة فى زنزانة واحدة ، وكل المسجونين السياسيين ينامون فى هذا السجن على سرير اذا دفعوا اجر السرير ولكن باقى المسجونين فى الطابق الثالث والرابع ينامون على الاسفلت ، ويحشرون فى الزنازين كالسردين . ملابسهم ممزقة . طعامهم لا تأكله الكلاب . لا يرون الشمس . الأطباء يخشون عليهم من انتشار السل والأوبئة . الطابق الذى نحن فيه نظيف نسبيا .

العملة الصعبة هنا فى السجن هى السيجارة « بلمونت » ! وهم يحتقرون السيجارة « الكنت » اشد الاحتقار ! وانا أحلق ذقنى بسيجارة بلمونت ، وامسح حذائى بسيجارة بلمونت ، واعطى سيجارة بلمونت للمسجون الذى يحمل لى جردل البول !

وهناك ممنوعات غريبة . الساعة ممنوعة . وقد اخذوا ساعتى عند دخول السجن . وقدمت طلبا الى رئيس نيابة الدولة ، وبعد استشارة الجهات العليا اذن لى بالساعة ! ومن مضار هذه الساعة اننى اصبحت اشبه بساعة حائط السجن ! كل دقيقة يجىء مسجون ويسألنى الساعة كام !

ومن الممنوعات فى السجن الشوكة والسكين ، باعتبارهما من الاسلحة الفتاكة كالقنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية . وتعودت على استعمال المعلقة ، واصبحت تحل محل الشوكة والسكين ايضا ، ومن الممنوعات زجاجة الحبر ، وهنا يعتبرون الحبر اخطر من الديناميت ، ويحدث احيانا ان بعض المسجونين يضعون الحبر فى عيونهم ، حتى يصابوا بالعمى وينقلوا الى المستشفى ، حيث يجدون فيه بعض الحرية اكثر من الحياة داخل الزنازين ! آه لو عرف خصوم الحرية ان بعض الناس يضحون بعيونهم من اجل قليل من الحرية !

ومن الممنوعات ايضا الكولونيا لأن بعض المسجونين يشربونها ويسكرون بها كأنها الويسكى !

والحارس على باب غرفتي اسمه « احمد رجب » ودمه خفيف مثل احمد رجب ، وهكذا اشعر احيانا انني في غرفة في دار اخبار اليوم ! وانظر الى الترموس الأخضر فأرى امامي صاحبته فاتن حمامة ... واقول لنفسى يابختي ! !

ومن الحوادث الغريبة التي وقعت لي في سجن الاستئناف ان حارسا جاء الى متضايقا في الصباح المبكر ، وقال لي انه سمع بأذنه في الراديو مساء الليلة الماضية الرئيس جمال عبد الناصر وهو يهاجم اخي على امين ، ويقول عنه انه اجتمع مع بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل ويشتغل بالحلف الاسلامي !

وذهلت : وسألت الحارس : هل أنت متأكد من هذا .

واقسم الحارس بأنه سمع بأذنه الرئيس يذكر على امين ! !

وانتشر الخبر بين زملائي المسجونين فانقبضوا ، وقلت لهم ان هذه تهمة ملفقة مثل تهمتي ، وان المقصود بها تلويث اخي بعد ان لوثوني . وفكرت ان ارسل برقية الى الرئيس اقول فيها انني واثق من براءة على وانها تهمة ملفقة ، وان الذين لفقوها قصدوا الاساءة الى انا ، وانني مستعد ان اشنق اذا ثبت ان ما قيل عن اخي صحيح .

ثم جاءت صحف الصباح بعد ذلك ، واذا بنا نجد ان الرئيس تكلم عن على اميني رئيس وزراء ايران ، وليس على امين الصحفي ! ولكن السجان المغفل لم يستطع ان يفرق بين على اميني رئيس وزراء ايران ، وعلى امين رئيس تحرير الأخبار واخبار اليوم سابقا !

لا تستطيع ان تعرف أو تتصور مقدار سعادتي عندما يهربون لي خطابا من صديق من اصدقائي ، أو تلميذ من تلامذتي . انني افرح بخطاباتهم . اقرؤها عشرات المرات ، انها شموع تضيء ظلام الزنزانة ! بعض الرسائل قصيرة وكأنها عود ثقاب . وعندما نضيء عود كبريت في ظلام دامس يبدو الضوء وكأنه نور الشمس !

اريد ان اكتب هنا كثيرا . اكتب مذكراتي . اكتب قصة . لا استطيع الحصار مضروب على . اتمنى ان يعد اخي من الآن عشرات المشروعات لكتب كثيرة . مثل فكرة . مثل مجموعة مقالاتي ويومياتي . انا اعرف ان الظروف التي يعيشها اخي تجعله لا يستطيع ان يركز افكاره في شيء معين . كل ما يهمني ان تاريخنا لا يموت .

أحب ان اقول لك انني وجدت ان الناس ، كل الناس ، احسن كثيرا جدا مما كنت اتصور ، ان الذين تخلوا عنا يحصون على اصابع اليدين . ولكن

الذين لم نخذلهم ، والذين لم نحملهم فوق اكتافنا أظهروا فى هذه المحنة كثيرا من العطف والحب والاخلاص . وقد يكون فى المنجم بعض الصفيح ، وبعض الزجاج ، وبعض التراب ، ولكنى أؤكد لك اننى وجدت فى المنجم الكثير من الذهب والماس والياقوت !

ان أياد كثيرة امتدت الى من وراء القضبان ، اشعرتنى بحبها وثقتها وايمانها ببراءتى ...

ان امى علمتنا ان نحب الناس ، وهذه المحنة علمتنى ان اعشق كل الناس . اننى ارى فى عيون الحراس والمسجونين واقارب المسجونين والموظفين كلمات . كأنها قصائد شعر واسمعهم وهم يتحدثون الى كأننى اسمع أم كلثوم !

أحمد الله ... اننى افضل ان تذهب حريتى ويبقى لى حب الناس ، على أن تجىء حريتى وأفقد حب الناس !

ooo

أحفر طريقى إلى الفجر .. بدبوس !

سجن الاستئناف
٢٧ ديسمبر سنة ١٩٦٥
أخى ..

أكتب اليك خطابا بلا تاريخ . فلست أعرف متى أستطيع أن أرسل هذا الخطاب اليك . ومتى يستطيع أن يصل اليك . وليس هذا أول خطاب أكتبه . لقد كتبت خطابات عديدة . لا أعرف هل تاهت ؟ هل ضاعت ؟ هل صودرت ؟ .

ومنذ ستة شهور قيل لى فى سجن المخابرات إننى أستطيع أن أكتب اليك .. وكتبت خطابا طويلا . وكان الخطاب مؤدبا جدا . وأقسموا بشرفهم أنهم سوف يرسلون لك هذا الخطاب . وعرفت طبعا أن الخطاب لم يصل اليك . وقد كان قسمهم بالشرف مؤذنا بعدم وصول هذا الخطاب !

ولكنى لا أعتمد على هذه الخطابات المكتوبة ! اننى أتلقى منك رسائل روحية .

كل ليلة . كل ساعة ! اننى أشعر أنك معى فى الزنزانة ، كما أحس أننى معك فى لندن . وأتصور أنى استمتع معك برؤية التليفزيون الانجليزى . وأتمتع معك بمشاهدة مباريات الكرة فى انجلترا . واتمتع معك بقراءة الكتب الجديدة التى تقرؤها . والشىء الوحيد الذى يحزننى أننى أعرف أيضا أنك معى فى زنزانتى بسجن الاستئناف . عزائى أن نصفنا حر ، ونصفنا مسجون . وسيجىء يوم يصبح كلنا حرا . لا أعرف متى ؟ ولكننى مؤمن بأن الله معنا . وأنه لن يتخلى عنا أبدا .

لقد أعطانا الله كثيرا . كثيرا جدا . ومن واجبنا أن ندفع هذه الضرائب البسيطة على ما أعطانا الله . كل الذى يهمنى هو التاريخ . وأنا مطمئن

لحكمة العدل . وأثق أنه سيقول للدنيا عن الخدمات التى أديتها لبلادى . وليست هذه أول أزمة تصادفنا .. وقد لا تكون الأخيرة . لقد عودتنا الأيام أن يظلم الليل ، ثم يطلع الفجر ..

لعلك تريد أن تعرف كيف أعيش فى سجن الاستئناف . ان زنزانتى فى الطابق الثانى . متران فى ثلاثة أمتار . لها نافذة عالية تطل على الشارع . استطيع أن أقف بقدمى على درابزين السرير فأطل على الحياة . أقصد أطل على الشارع . أرى المارة والسيارات والدنيا وهى تتحرك !

كل المسجونين يتعلقون بأيديهم فى هذه النوافذ المطلة على الشارع ، ويجىء اقاربهم وأصدقاؤهم ويقفون فى الشارع يتحدثون معهم طوال الليل والنهار ! ولكنى رفضت أن ألجأ إلى هذه الطريقة . التى يسمونها التليفون !

وهكذا ترى أن تليفونى فى السجن هو التليفون الوحيد الذى لا يدق !

زينب وخيرية تزوراننى مرة كل خمسة عشر يوما . لاتتصور كم تسعدنى هذه الزيارة .. اننى أعيش عليها .. أحصى الأيام حتى تجىء .. وأحزن عليها عندما تنتهى . ثم أبدأ أحسب الأيام من جديد . ان هذه الزيارة أصبحت أملا . وهذا الأمل يمنحنى سعادة وهناء . فى بعض الأحيان أراهما عند الظهر ، وهما تحملان لى الطعام .

وأكون أنا فى ساعة الفسحة . وألوح لهما بيدى . وهذا العمل يشبه مخاطرة من مخاطرات جيمس بوند . السلام بالاشارة ممنوع هنا . ولعل السبب هو أن اللبيب تكفيه اشارة !

فى بعض الأحيان أسمع أحاديث ممتعة بين المسجونين فى زنزاناتهم ، وزوجاتهم أو حبيباتهم الواقفات فى الشارع ، .. بعض الأحاديث مشاجرات وخناقات واتهامات بالخيانة الزوجية ، وبعض الأحاديث من التى لاتجرى إلا فى غرفة النوم !

فى زنزانتى مائدة صغيرة من الخشب . وجئت بأحد المسجونين النجارين وركب تحتها رفين . رفا مخبأ فيه أخفى الممنوعات مثل الورقة والقلم . ورفا عاديا أضع عليه الكتب والسجائر والأدوية . السرير من الحديد الأبيض وعليه مرتبة . كان فيه كمية من البق والحشرات قاومتنى ببسالة ، وتجىء لى الملايات من البيت مرتين فى الأسبوع .

وصرف لى السجن ثلاث بطانيات وجئت ببطانية من البيت . وقد يدهشك أننى برغم البطاطين الأربع أنام وقد ارتديت « بول أوفر » صوف فوق البيجامة الصوف ، وأنام وفى قدمى جورب صوف وزنزانتى تشبه

سيبيريا فى برودة جوها ! لأن خشب النافذة لا يمكن اغلاقه جيدا ، والشراعة التى فوق باب الزنزانة مفتوحة بالأمر ولا يجوز اغلاقها ! ولم ألبث أن تعودت على هذا الجو ، وعلى الضجيج المنبعث من باقى الزنازين ، وأصبحت أنام تماما كما كنت أنام فى شقتى بالزمالك المجهزة بتدفئة وضعها وديع سعد صاحب العمارة رحمه الله !

ولكن الشىء الذى كان يعذبنى أن بجوارى وتحتى وفوقى مئات المسجونين العرايا الذين لايملكون بطانية واحدة ! وكان هذا وحده يجعلنى أقشعر أكثر من برد الزنزانة القاتل !

فى زنزانتى سجادة صغيرة ، وأحضرت شماعات ثبتها فى الحائط بمسامير . أعلق عليها بدلاتى . وقد بدأت أتعلم النجارة ودق المسامير ! وتذكرت بيت شعر نظمه الشاعر محمد الهراوى وكنا نردده ونحن أطفال : أنا فى الصبح تلميذ وبعد الظهر نجار ! وهكذا أصبح بيت الشعر أنا فى الصبح مسجون وبعد الظهر نجار !

وفى الزنزانة حقيبتى التى طافت معى جميع فنادق العالم الكبرى ، واستقرت على الأسفلت فى زنزانة بفندق الاستئناف ، وأضع فيها ملابسى ، وأعتبرها الدولاب الخاص !

وفى الزنزانة جردل فيه ماء ، وجردل بدل التواليت ، وكانت مشكلتى هى مشكلة الثلج ، وكنت فى حاجة الى ترموس كبير . وسمعت فاتن حمامة بمشكلتى ، فأرسلت لى « ترموس » كبيرا يبلغ طوله طول فاتن نفسها ! وأصبحت أحس أن فاتن معى دائما فى الزنزانة ! وكلما وقعت عينى على الترموس الأخضر الكبير خيل الى أننى أرى فاتن حمامة !

وقد علمت أن فاتن قالت إنها بعد أن وضعونى فى السجن أصبحت لاتشعر بالأمان على نفسها وعلى أولادها ، وأنها لاتستبعد الآن أن يلفقوا لها قضية كما لفقوها لى ، وأنها تفكر فى الهجرة !

وحزنت جدا لهذا النبأ أن تحرم بلادى من أعظم ممثلة عربية .. لقد تلقيت رسائل من عدد من الفنانين المصريين أنهم يفكرون فى الهجرة من مصر لأن الفن لايستطيع أن يعيش فى جو الارهاب ..

وتذكرت اننى قبل القبض على بأسابيع سافرت إلى بيروت وقابلت الفنانة صباح ، وأقنعتها أن تعود إلى مصر ، واقتنعت صباح بالحضور .. وسألتنى صباح :

— ومن الذى يضمن أمنى فى مصر ، فلا أسجن ولا أعتقل ولا أمنع من السفر .

قلت لها : إننى أضمن لك كل هذا !
وطبعا بعد أن عرفت صباح ما جرى لى ، سوف تعرف ما جرى « للضامن » !!
هناك ميزة فى زنزانتى عن الغرفة التى كنت أقيم فيها فى سجن المخابرات ، وهى أننى الآن أنام وحدى ! وتصور أننى مكثت فى سجن المخابرات أربعة أشهر كاملة أنام وحولى أربعة حراس يحملون المسدسات ! وعندما كنت متزوجا لم أكن أنام مع زوجتى فى غرفة واحدة ، ولكنى اضطررت أن أنام وحولى أربعة رجال يصوبون مسدساتهم إلى رأسى ؟
فى سجن الاستئناف تغلق الزنزانة الساعة الرابعة بعد الظهر ، وأخلع ملابسى ، وأرتدى البيجاما ، وأحول السرير إلى مكتب أقرأ الصحف الأجنبية . وتصلنى صحف التيمس والنيويورك تيمس والهيرالدتربيون والديلى أكسبريس كل يوم . وأقرأ جريدة « الأنوار » كل يوم ، وكل أسبوع أقرأ مجلة « الصياد » ومجلة « الشبكة » وانتظر يوم الثلاثاء أو الأربعاء بفارغ الصبر ، وفى هذين اليومين تصلنى من لندن صحف الأحد : الصانداى تيمس والأبزيرفر والايكونوميست والصانداى تلجراف . وفى يوم الخميس تصلنى مجلة تايم ومجلة نيوزويك .
هذه هى النوافذ التى أطل منها على الدنيا . الشىء الذى يزعجنى أننى أقرأ الحقيقة فى الصحف الأجنبية وأقرأ الأكاذيب فى صحفنا ! . يا ويلنا عندما يجىء يوم لا يصدقنا فيه أحد ، حتى أبناء وطننا ! ويا ويلنا عندما يعرف الشعب ذات يوم أن صحفه تخدعه وتكذب عليه وتضلله ! يومها سوف يلوم الناس الصحف ، ولا يعرفون أن السيف مسلط على رأس كل صحفى ..
ولقد كنت دائما أحذر من هذه السياسة الحمقاء ، ولا أظن أن أحدا سيجرؤ أن يحذر بعدى !
أمضى وقتى فى القراءة ، بينما ميكرفون السجن يذيع بصوت أجش أغانى أم كلثوم . ستجن أم كلثوم عندما تسمع صوتها فى ميكرفون السجن . عندما يختلط صوتها الجميل بصراخ حديد القضبان !
فى حوالى الساعة التاسعة مساء أنام ، ثم أستيقظ الساعة الثالثة فى الصباح ، وأعود إلى القراءة ، فأقرأ الكتب التى عندى حتى أذان الفجر ..
انى لم أتعود البطالة . أموت لو عشت أيامى عاطلا . بدأت أفكر فى أننى لابد أن أقاوم . لو استسلمت للبطش فكأننى أسير فى موكب

الظالمين .. ليس عندى سلاح أقاوم به . فمى مكمم . قلمى محطم . يداى مقيدتان بسلاسل الحديد . ومع ذلك يجب أن أقاوم . سأقاوم حتى بدبوس . بهذا الدبوس سوف أحفر طريقى إلى الفجر . قد أحتاج إلى عشرات السنين لأحفر نفقا إلى الحقيقة .. فليكن . يجب أن أقاوم . أول شىء فكرت فيه أن أنظم طريقة لتهريب الخطابات من السجن إلى خارج السجن بانتظام .

هذه الخطابات سوف تكون طريقتى البدائية لمقاومة الظالمين . لقد منعونى من الكتابة ومنعونى من أن أتلقى خطابات إلا بعد رقابة شديدة وأشاعوا الذعر بين تلاميذى لينفضوا عنى . سوف أحاول أن أربط الخيوط التى قطعت . هذه مهمة شاقة وشبه مستحيلة .

ولكن هوايتى أن أصنع المستحيل . أن الدولة أعلنت الحرب على ، بجميع أجهزتها ، الرقابة مستمرة على بالليل والنهار ، بعض المسجونين دخلوا السجن مكلفين بأن يكونوا عيونا على المطلوب أن أقاوم كل هذا . أعرف أن الذين خارج السجن يستطيعون أن يفعلوا ذلك بسهولة . ولكن الذى أريده أن أتولى من داخل السجن تنظيم المواصلات بينى وبينك ، وبينى وبين تلاميذى فى مصر وفى البلاد العربية . من الصعب أن تجد أشخاصا تثق بهم ليخاطروا هذه المخاطرة ، ولكنى أتحرك ببطء شديد ، أقدم ساقا وأؤخر ساقا . كل ما أريده أن تعلم الدنيا أننى مظلوم وهناك ألوف مظلومون غيرى . قضايا كثيرة ملفقة .. الطبول فى يد أصحاب السلطة . الميكرفونات والصحف فى خدمة الذين ظلمونى . الذين معى ضعفاء . لا قوة لهم . لانفوذ . كل واحد منهم خائف واجف مذعور . وقليلا قليلا سوف يستردون أنفاسهم . سوف يتخلصون من دوى القنبلة الذرية التى ألقيت على رأسى . أريد أن أعتمد على أقرب الناس الى ، أريد أن أعتمد على أشخاص بعيدين عنى ، يتظاهرون بأنهم يلعنوننى ..

هل سيجىء اليوم الذى تصل فيه الحقيقة للناس .

كم يستطيع دبوس واحد أن يحفر فى جبل الأكاذيب !

آه لو أمسك واحد من المظلومين بدبوس فى أصابعه !

ولكن أيدى المظلومين مشغولة بمسح دموعهم !

صحافتنا لن تموت

سجن الاستئناف
٢٨ مارس سنة ١٩٦٦
أخى العزيز

أكتب لك فى ثالث أيام العيد الكبير . ولم أشعر بأى تعاسة لوجودى فى السجن فى العيد ! فلقد تعودنا أن نعتبر العيد مثل أى يوم آخر ، ونذهب إلى مكاتبنا كالمعتاد ، لم نأخذ أجازة فى الأعياد . حتى شم النسيم كنا نكتفى بأن نشم حبر المطابع وهى تلف وتدور ! وكان أهم مافى العيد أن أتلقى قبلتك ، وقد تلقيتها فى صباح يوم العيد ، وذقت طعمها فى الرسالة التى أرسلتها إلى . وكل رسالة ترسلها تسعدنى إلى أن أتلقى الرسالة الثانية !

ومن خصائص العيد أن ندفع عيديات . وغير مصرح لنا أن نحمل نقودا . ولكن تتولى علب سجائر بلمونت القيام بمهمة العيديات خير قيام ! وهناك من يأخذ علبة عيدية وهناك من يأخذ أربع علب ، وهناك من يأخذ خرطوشة ! فالناس مقامات !

وأسوأ ما فى العيد هو أن الحلاق هنا أقفل خمسة أيام ، يوم الوقفة ، وأيام العيد الأربعة ، وخشيت اذا بقيت بذقنى هكذا أن يتصور أحد أننى من الاخوان المسلمين ! ولهذا سارعت بالاتفاق مع أحد الجنود الذى كان حلاقا فى يوم من الأيام ، أن يحلق ذقنى « سرقة » وفعلا سرقنا موس الحلاقة المخصص للمأمور وللضباط ، وحلقت به ذقنى ! وأفهمت الجندى الذى يحلق لى جيدا أننى لست المأمور ، ولهذا عدل عن أن يذبحنى ! وبعد أن انتهيت من الحلاقة اكتشفت أن الحلاق العسكرى خدعنى ! انه لم يكن قبل دخوله مصلحة السجون حلاقا ، وقد كان جزارا ، ولقد عرض بعد ذلك أن يحلق لبعض زملائى المسجونين ولكنهم فروا ، وكان يجرى وراءهم ،

كما يفعل الجزار وهو يجرى وراء الخروف فى فجر يوم العيد ! ولحسن الحظ لم يجرحنى العسكرى الحلاق ، وقد أعطيته علبتين سجائر مكافأة له على أنه لم يشوه وجهى !

والسجن يحتفل بالعيد بطريقة غريبة ! فاحتفالا بالعيد يمنع المسجونين من النزول إلى الفسحة والهواء الطلق لمدة خمسة أيام ! ويبقون هذه الأيام يحتفلون بالعيد داخل الزنازين ، باعتبارهم خرفان العيد طبعا ! ولقد حاولت أن أغافل الحراس ، وأنزل فى العيد ، ساعة احضار الغداء ، لأقبل أسرتى قبلة العيد ، ولكن المأمور كان رابضا كالأسد ، وحدث تغيير فى الحرس ، جعل من الصعب أن أنزل فى العيد إلى الردهة الخارجية التى نتنزه فيها .

وتقضى تعليمات مصلحة السجون بأن يتفرج المسجونون على التليفزيون فى العيد ، ولكن الضابط المسئول فى أول أيام العيد رفض تنفيذ هذه التعليمات ، بحجة أن لديهم أعمالا كثيرة جدا فى العيد ، وأن السجانين يريدون اغلاق السجن مبكرا ليذهبوا إلى أسرهم ليحتفلوا معها بالعيد ! ولكن أليس المسجونون بشرا من حقهم أيضا أن يحتفلوا بالعيد ؟ !

وهذا السؤال لم يستطع الضابط أن يجيب عليه . واكتفى بأن وافق على أن يسمحوا لنا أن نشم الهواء نصف ساعة بدلا من التليفزيون ! وشكرناه بطبيعة الحال على هذا العطف السامى ومن التقاليد هنا أن نشكر الضابط على مالا يعجبنا بحرارة أشد مما نشكره على ما يرضينا !

ومن الطريف أنه فى يوم الوقفة صدرت الأوامر بأن نجمع البطاطين وأن نضع كل عشر فوق بعضها ، ونضعها فى بلاط الممر . لأن ضابط السجن ومعه الباشكاتب سيمران للجرد . وقلنا أن هذا سيؤدى إلى أن تتلخبط البطاطين ، بعد أن أمضينا الشهور فى تنظيفها من البق والقمل ، واقترحنا أن يدخل الضابط ويعد البطاطين فى الغرف . وانتدبنى المسجونون أن أقابل الضابط عبد المنعم وكيل السجن وأعرض عليه هذا الرأى ، ولكنه رفض ، وأمر أن توضع كل عشر بطاطين فوق بعضها فقلت له وماذا يمنع لو أن عملية الاحصاء تمت فى الغرف ، فقال لى ببساطة لأن الموظف لايعرف أن يعد إلا عشرا .. عشرا !

وذكرتنى هذه الحكاية بحكاية طبيب جراح فى أحدى القرى ، جاءه أحد المرضى لاجراء عملية جراحية ، فأعطاه حقنة بنج ، وقال له عد .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة .

وراح الريفى يقول واحد .. اثنين .. ثلاثة .. اربعة .. خمسة ! ثم توقف .

وأخذ الطبيب المشرط وراح يفتح بطن المريض .. وهنا صرخ المريض بفزع !

وصاح فيه الطبيب : ألم أقل لك أن تعد واحد اثنين ثلاثة اربعة خمسة . لماذا توقفت عن العد بعد خمسة .

قال المريض الساذج لأننى ما أعرفش أعد إلا لغاية خمسة !

ومن أهم الأحداث هنا عودة الأميرالاى محمد يوسف . وقد مكث فى مستشفى قصر العينى أكثر من شهر .. وتضايق من الحياة هناك .. وقال إنه يفضل الحياة فى سجن الاستئناف أو السجن الحربى على الحياة فى معتقل قصر العينى ، فان الطعام هناك فظيع جدا . وغير مسموح للمسجونين بأن يتلقوا الطعام من الخارج . ويكتب له الأطباء على أدوية ثم لا تصرف له . ولايستطيع أن يشترى أدوية من خارج المستشفى . وقد صرحوا له بزيارة أهله مرة كل خمسة عشر يوما . ولكنه يفضل أن يبقى فى سجن الاستئناف ، فان طعامه يصل يوميا ، ويستطيع أن يتلقى مع الطعام تحية يومية من أهله . ولقد صرح لزوجته بالسفر إلى امريكا لاجراء عملية . وسافرت فعلا . ولكنه لايستطيع أن يعرف هل نجحت العملية أم لا ! إلا بعد خمسة عشر يوما ! وهو أمر لا يحدث هنا ، بفضل طريقة التشعلق فى شبابيك السجن ، والتحدث بواسطتها مع الشارع !

ولقد افتقدت محمد يوسف طوال غيابه . ولم يستطع أحد من المسجونين أن يحل محله . وبرغم أنه يبلغ من العمر ٦٨ سنة إلا أنه شاب فى تفكيره ، وهو خفيف الدم ، وحياته مليئة بالأحداث ، وقام بمهام سياسية فى العهد الماضى فى البلاد العربية ، وله ذكريات لطيفة مسلية .

وأنا أقرأ الصحف المصرية كلها ، والمجلات الأسبوعية والشهرية ، وألاحظ أغلاطا فى التاريخ عجيبة جدا ، تدل على أن الجيل الجديد فى الصحافة لايعرف ألف باء التاريخ ! قرأت عددا خاصا من مجلة الهلال عن طه حسين ، وفيه مقال عن طه حسين ملىء بالأغلاط التاريخية ومنها ان على الشمسى باشا وزير المعارف الذى دافع سنة ١٩٢٦ عن طه حسين فى البرلمان كان من الأحرار الدستوريين ! وطوب الأرض يعلم أن على الشمسى كان فى ذلك الوقت عضوا فى الوفد ووزيرا وفديا !

وقرأت فى جريدة المساء أن جريدة أخبار اليوم صدرت فى عام ١٩٤٦ والمحرر لو قرأ عددا واحدا من أخبار اليوم ، وعرف أنه مكتوب عليها السنة ، فبعملية جمع وطرح يعرف متى صدرت أخبار اليوم !

وقرأت مقالا عن تاريخ نقابة الصحفيين وعن انشائها ، والكاتب يكتب عنها كأنها انشئت فى عهد قدماء المصريين ، وأن كل وثائقها مكتوبة باللغة الهيروغلوفية !

وأقرأ مجلة العربى الشهرية التى تصدر فى الكويت ، وأقارنها بمجلاتنا الشهرية ، فأصاب بحالة غم ! تصور أنها توزع الآن أكثر من ١٥٠ ألف نسخة فى العدد الواحد وبعشرة قروش ، بينما أكبر مجلة توزع عندنا لاتزيد عن ١٥ ألفا وستة قروش !

وأشعر بأسى شديد لتخلفنا الصحفى . لم يفكر أى صحفى مصرى فى أن يسافر إلى فيتنام ، ولا إلى أندونيسيا ، ولا إلى غانا ولا إلى موسكو لحضور اجتماع الحزب الشيوعى ، ولا إلى الصين ليكتب عن الخلاف بين الصين وروسيا ، ولا إلى الهند ليكتب عن المجاعة . اننا نعتمد على برقيات وكالات الأنباء وعلى نقل مقالات من الصحف الأجنبية .

وأشعر بأسى وأنا أقرأ العدد الهائل من المجلات والصحف الأجنبية ، وأجد الفرق الهائل فى التحرير وتغطية الأخبار . ثم أشهد النهضة القائمة فى بيروت فأتحسر .

ومع ذلك فاننى أعتقد أن صحافتنا لا يمكن أن تموت ، وأنه سيجىء يوم يستقيظ فيه النائمون ، ويتحركون ، وينطلقون ، ويجعلون صحافتنا تصنع الأحداث ، لا تتفرج عليها ، وتعيش على هامشها !

ولقد تتبعت الانتخابات البريطانية . وأعجبتنى شخصية ويلسون ولم تعجبنى شخصية هيث . بدا لى أن ويلسون يقلد تشرشل ، وأن فيه حيوية وحركة وثقة . ولم يظهر فى برنامج حزب المحافظين أى شىء جديد . ولهذا كنت أتوقع أن يفوز العمال ، وأرجو ألا يسيطر على الحزب الفريق الصهيونى فيه ، فاننى أعرف أن كثيرين من نواب العمال يعطفون على اسرائيل . ولكن أعتقد أنه فى امكان بلادنا أن تقوم بمجهود لتصحيح الأفكار الخاطئة التى لدى هؤلاء العمال عن موقف العرب من اسرائيل .

ولقد أسفت أن جريدة الأخبار هاجمت حزب العمال يوم انتصاره ، ولاحظت أن محطة لندن أشارت إلى أن مصر وحدها هى التى تضايقت لفوز العمال بينما رحبت بفوزهم أمريكا وروسيا وفرنسا والمانيا وأعتقد أن ما كتب فى الأخبار هو فكرة الكاتب وحده . بدليل أننى لم أر لمثل هذا الهجوم شبيها فى أى جريدة أخرى .

ولقد لاحظت أن الأخبار خالية من الروح . وأن كثيرا من الأخبار العادية الهامة ليست موجودة فى الأخبار . وهى أخبار ليست من مصادر

مسئولة ، وإنما هي أخبار يمكن لمخبر من الدرجة الثالثة أن يحصل عليها . ويظهر أن الاضطرابات التي تعرضت لها الأخبار والتغيرات العديدة فيها ، أفقدتها الروح ، أو أفقدت المحررين الحماس . ولقد نبهت هيكل عند زيارته لى لهذا ، ولكن يبدو أنه مسرور من أن الأخبار فى عهده أحسن كثيرا مما كانت فى عهد خالد محيى الدين . ولكن هذا لايكفى بل يجب أن تنطلق الأخبار .

ولقد لاحظت أنها أعلنت فى مانشيت عن مسابقة لها ؟ وهذا يدل على أن الأخبار ضعفت فى التوزيع ، وان كنت لا أعرف أرقامها الآن ، ولكنى أعتقد أن الأهرام يزيد توزيعه عليها ، بعد أن كانت الأخبار تزيد خمسين ألفا عن توزيع الأهرام .

وآخر ساعة ضعيفة جدا . وقد أصدرت عددا عن الجامعة زفت وقطران ، وعددا عن الحب أكثر من الزفت والقطران ، ويظهر أن محرريه الجدد لم يستطيعوا حتى الآن أن يفهموا الصحافة ، أو تفهمهم الصحافة !

ولقد أحضر لى المسجونون أمس مجلة السجون وفيها فكرة منقولة عن سنة ١٩٦٢ وعن حكاية شاب سرق بيت محاميه ، وكيف ذهب المحامى إلى المحكمة وطلب اعطاءه فرصة ، وقال إنه فى المرة الماضية دخل من النافذة ، ولكنه يعطيه مفتاح بيته ليدخل فى المرة القادمة من الباب ، وكيف حكمت المحكمة على الشاب بستة أشهر مع ايقاف التنفيذ ، وأنك تؤمن بالتسامح ، وأن التسامح هو الذى يغسل القلوب . والمسجونون يقرأون فكرة ويعجبون بها ، ويحفظون كثيرا منها ، وبعضهم يحتفظ بها فى جيبه !

وأحضر لى المسجونون مجلة سجن طره فى العام الماضى وفيها مقال بعنوان « مصطفى أمين يتبنى مشكلة المحكوم عليهم بقانون المخدرات المعدل » وهو عن محاضرة ألقيتها فى ٥٠٠٠ مسجون عن الصحافة قبل أن أدخل السجن بسنة !

وقد جاء فى كلمتى المنشورة ما يأتى :

وتحدث الصحفى الكبير فشد الاسماع اليه منذ اللحظة الأولى .

قال لنزلاء الليمان : اننى سعيد جدا بأن أتيحت لى هذه الفرصة لأتحدث اليكم ، فان المهنة التى اخترتها لنفسى كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالسجن . لقد توقعت عدة مرات أن أدخل السجن ، والفرق بينى وبينكم أن حظكم كان سيئا ، بينما كان حظى أفضل !!

ويظهر أن حظنا تساوى !!

وكل من فى السجن يدهش لقوة أعصابى . أمسك الخشب . ويعجب بصمودى . ويضرب بى المثل لقوة احتمالى . فاذا ظهر الضيق على أحد قالوا له هل أنت أحسن من مصطفى أمين ! أنظر انه يضحك باستمرار انه صامد كالجبل وهنا يفقد الناس أعصابهم بسهولة . ويتشاجرون لأقل سبب . فان كتم الحرية يشد أعصابهم ويؤثر فى احساساتهم ويجعلها مرهفة ، ولهذا تكثر الخناقات والخلافات . وكلما حدث خلاف جاءوا إلى يحتكمون ، فأحاول تهدئتهم وأصالحهم ، وأحمد الله أن منحنى هذه القوة ، لأستطيع أن أخفف عمن حولى متاعبهم . فان أكثر ما يسعدنى أن أسعد من حولى ، وان أرى الابتسامات تملأ وجوههم ، وكثير منهم يقول لى :

لولاك لانتحرت !

وأنا مؤمن بالغد ، وأعتقد أن الغد سيكون يوما أجمل ، وأنا أرى أن من أحسن ما أعطانا الله هو أن أعطانا التفاؤل والايمان والثقة فى المستقبل .



دعاء على الظالم

سجن الاستئناف
٣١ مارس سنة ١٩٦٦
صديقى ..

طلب منى المسجونون فى سجن الاستئناف أن أكتب لهم دعاء العيد ليعلقوه على جدران الزنازين . كتبت الدعاء . كتبوا منه عدة نسخ . وضعوا إحدى النسخ فى لوحة الاعلانات . حرصوا على أن يحذفوا من هذه النسخة دعائى على كل ظالم ، وتوقعى نهاية كل ظالم ! وذلك خشية أن تقع فى يد المباحث !

الغريب أن هذه النسخة وحدها الخالية من لعن الظالم هى التى اختفت من الجدران !

ولو أن النسخ التى تلعن الظلم هى التى وقعت فى يد مرشد المباحث لقامت القيامة علينا .

وهذا هو الدعاء كاملا :

يارب :

يارب اسعد فى هذا العيد أكبر عدد من الناس ، واسعدنا نحن مع هؤلاء الناس !

يارب لاتحرمنا من الذين نحبهم . اجمعهم فى مكان واحد . فان أجمل ما فى الدنيا أن يجتمع المحبون .

يارب امسح دموع كل الناس وامسح معها دموعنا . ساعدنا على أن نسترد ضحكاتنا حتى نساعد غيرنا أن يستعيدوا ضحكاتهم .. يارب اجعله عيدا سعيدا لكل الناس . حقق فيه أحلامنا . وأحلام الناس ، كل الناس !

يارب قد تعودت أن أتجه اليك في كل لحظة من لحظات حياتي . تعودت أن تسمع دعواتي للناس . أنا اليوم أدعو للذين أحبهم ، والذين لايحبونني ! اسعدهم جميعا يارب ! انك اذا أسعدت الذين لايحبونني سوف تجعلهم يعرفون معنى الحب ، وسيوزعونه على الناس بغير حساب ، وسأكون أنا ومن أحب بين هؤلاء الناس !! يارب أنت عالم بما في قلوبنا وضمائرنا فاعطنا من رحمتك ما نستحقه .. ساعدنا على أن نستمتع بالدنيا الحلوة التي أعطيتها لنا .

ساعدنا على أن نملأ الدنيا بضجيج سعادتنا وضحكاتنا .

يارب أنا مؤمن بأن لكل ظالم نهاية ، ولكل ظلم نهاية . وأنه سيجيء يوم قريب أو بعيد ستفتح فيه أبواب السجون ويخرج المظلمون والأبرياء واحدا بعد واحد ، وستعود البسمة الى الوجوه الحزينة ! يارب ان ايماني بك لا حدود له . لم يتزعزع هذا الايمان لحظة واحدة .. كلما اشتد الظلام رأيت نورك .. وكلما قسا الليل رأيت فجرك .. وكلما شعرت بالوحدة أحسست بيدك ، تسندني عندما أتخاذل ، وتمسكني عندما أتهاوى .. ان ايمان بك هو منديل يجفف دموعي . وهو ترياق يذهب آلامي .. يارب خذ وابق لي ايماني ..

مصطفى أمين

سجن الاستئناف في ٣١ مارس سنة ١٩٦٦



القبض على كل من يقول
إننى مظلوم !

سجن الاستئناف
فى ٢ ابريل ١٩٦٦
أخى العزيز ..

لو كان الأمر بيدى لكتبت لك كل يوم وكل ساعة . فانى أجد فى الكتابة اليك لذة ونجوى وراحة وهناء . ومنذ أن كنا طلبة أنت فى لندن وأنا فى القاهرة . أو أنت فى القاهرة وأنا فى واشنطن لم يحدث أن طال فراقنا عن بضعة أسابيع ! ولكنه مضى علينا الآن أكثر من تسعة شهور دون أن نلتقى . وليس السجن أو الظلم هو العذاب . وإنما هذا الفراق الذى كتب علينا هو العذاب . الأليم . ولكن هذا الفراق الظالم لا يمنع من أننا نلتقى فى كل لحظة من لحظات حياتنا . مع كل زفرة من زفراتنا ، وآهة من آهاتنا وضحكة من ضحكاتنا ، وأنا لا أحمل هم نفسى ، فاننى متحمل بشجاعة وايمان ما حدث لى ، كل الذين أحمل همهم هو أنت والذين يحبوننى . فأنا أشعر كأننى أنا الطليق وأنتم المسجونون . ولولا شعورى بعذابكم وآلامكم لما أحسست بأى ألم أو عذاب ..

وأحب أن أؤكد لك أن صحتى جيدة جدا . واتناول أدويتى بانتظام . ولقد نقص وزنى فى سجن المخابرات والسجن الحربى حوالى ١٥ كليو . وعندما جئت الى هنا فى أول ديسمبر كان وزنى ١٠٥ واليوم وزنت نفسى فوجدتنى ١٠٦ وكأننى زدت كيلو . وسوف أحاول أن أتخلص منه . ولعلك استطعت أن تنقص وزنك . ويمكنك أن تحسب وزنى بالرطل وتقارنه بوزنك . وأنا سعيد بأن ملابسى اتسعت على حتى اضطررت الى تضييق الحزام والكلسونات . وأنت تعرف من مبادئى فى الحياة الاستفادة من الكوارث !

وعندما أقرأ القرآن أشعر كأن الأبواب فتحت . وقمت بنزهة في سيارة أتمتع بنسيم الحرية والحياة . ولقد كنت في أول الأمر أقرأ القرآن في مصحف صغير . وكان يتعب نظرى . ولكن خيرية أرسلت لى مصحفا خاصا به حروفه مريحة جدا ..

والان تعال نتحدث عن المستقبل .

اننى أرى أن تعمل في عمل فنى في الصحافة . فأنت صحفى عالمى ، وأفكارك الصحفية تساوى ألوف الجنيهات ، وأنا أعتقد أنه يمكنك أن تفتح مكتبا استشاريا عالميا للصحافة وتقدم مقترحاتك للصحف العالمية ، وهذا شرف عظيم لبلادنا أن ينتقل صحفى من الصحافة المحلية إلى الصحافة العالمية .

واننى أتصور أن كثيرين من كبار الكتاب والصحفيين سوف يكتبون في يوم من الأيام قصة كفاحنا الصحفى وكفاحنا الوطنى بكافة اللغات . وسوف يتطاير الطين الذى ألقى علينا حتى يتحول الى تراب هباء ، ولا تبقى إلا الحقيقة التى لايمكن لأى قوة في العالم أن تدوسها بالأقدام ..

واذا حدث وبقيت في السجن فيجب ألا يؤثر فيك ، أو تتحطم روحك المعنوية ، ورغبتك في العمل ، فاننى اذا حكم على بالسجن ، وشعرت أنك نجحت في عملك ، وتحولت إلى صحفى عالمى ، فهذا سوف يجعلنى أشعر وكأننى مطلق السراح . انك بذلك تحقق حلمنا وهو أن نصبح أول مصريين صحفيين عالميين . ولا يمكن أن تنسانا الدنيا . ان نجاحك سوف يذكر الدنيا بنا . وأنا أفكر في التاريخ كثيرا ، وكل ما يهمنى ألا يسجن التاريخ معى ، وأن يعيش حتى لو مت . وأن ايمانى بالتاريخ ونزاهته وعدله وانصافه ، يجعلنى أستهين بكل ما ألقاه ، وما سوف ألقاه .

واذا أراد الله أن يطلق سراحى ، فلست أعرف ما سوف أفعل . هل يسمح لى بالعودة إلى الصحافة ؟ هل يسمح لى بالكتابة والتأليف ؟ هل يسمح لى بأن أراسل صحف الصياد من القاهرة ؟ هل يسمح لى بأن أشرف على تحرير صحف الصياد في بيروت ؟ وكل مسجون يفكر عادة في الافراج فقط ، ولكن مشكلتى أننى أفكر : ماذا أفعل بعد أن يتقرر الافراج عنى ! ؟

وفي بعض الأحيان أغمض عينى وأحلم بما سوف أفعل عندما يتقرر الافراج عنى ! ؟

ان أول ما أفكر فيه أن أذهب إلى قبر أمى .

وأنا ليس عندى أى أخبار ، ولا شبه أخبار . كل ما عندى أن المحامين يؤكدون أن أى محكمة عادية سوف تحكم على بالبراءة . وأنه لو طبق

الفريق الدجوى القانون لحكم على بالبراءة . ولكنى أعرف أن مسألتى ليست مسألة قانون ، بل هى مسألة سياسية .

وأعرف أن هناك قوى يهمها كثيرا أن يحكم على . فهى تريد أن تلوث كل وطنى ضد الشيوعية وتريد أن تنتقم منى لحملاتى ضد الشيوعية . ولكن ايمانى بالله يجعلنى أثق بأنه سينصرنى ، وبأنه سيأخذ بيدى . وأنه مهما زاد الظلام ، فان هذا هو ايذان ببداية النور !

واذا اقتضت مصلحة الدولة أن يحكم على ، فان هذا لن يزلزل ايمانى ببلدى ، وحبى لها . ولقد تحملت أهوالا أرى السجن أتفه ما فيها . وليس السجن بالذى يهمنى فاننى فى نفس الزنزانة التى كان فيها الدكتور أحمد ماهر ، وانما الذى يهمنى هو التاريخ .

وأنا اذا اطمأننت الى أن التاريخ سينصفنى كما أريد ، فانى مستعد أن استقبل تنفيذ حكم الاعدام بالهتاف بحياة الذين سيعدموننى . وليس السجن سيئا كما نتصور . أنه أشبه بمرحلة انعدام الوزن فى الفضاء . انك تشعر وأنت فى زنزانتك أن روحك حرة منطلقة تحطم القيود وتكسر الحديد . انها فرصة للتفرج على الدنيا . لتنتقل من خشبة المسرح إلى مقاعد المتفجرين المريحة . وقد عشت طول حياتى فوق المسرح . لم يكن لدى فرصة لا تامل نفسى ، لأسترجع قصة حياتى ، لأستذكر كفاحنا المريح ، لأعيش فى الأحداث الخطيرة التى صنعناها أو عشنا فيها .. وعندما أعيش فى هذه الحياة أجد أننا عشنا عمرا طويلا ، لعله أطول من اللازم . وأن من الغريب أننا لم ندخل السجن قبل ذلك ، برغم عدد المرات التى قبض علينا فيها ، وبرغم المعارك التى خضناها . لقد كان يجب أن أدخل السجن يوم عبث فى ذات ولى العهد !

وكان يجب أن أدخل السجن عندما هاجمت الأمراء فى حملة نادى الفروسية . وكان يجب أن أدخل السجن عدة مرات من أجل الحملات العنيفة التى قمنا بها ضد الملك وحكم الفساد ! فالذى يحدث اليوم هو اننى أسدد دينا كان يجب أن أؤديه . وأقضى المدد التى كان يجب أن يحكم بها على لولا حسن حظنا ..

وأنا أرى أننى عشت كثيرا جدا ، ونجحت أكثر من اللازم . وصنعت مجدا يكفى عدة أشخاص . ولا أريد أن أكون طماعا . فلقد كان المفروض أن أقتل برصاصة . وتذكر يومها اننى جلست وأعددت رثائى ، وكتبت مشروع المانشيت الذى سينشر فى أخبار اليوم يحمل نبأ مقتلى . وتذكر أيضا أننى توقعت أن نقتل نحن الاثنين معا ! ..

ولم يكن هذا الاحتمال يزعجنا أو يخيفنا . بل كنا نفكر فيه كأنه شيء طبيعي منتظر ومتوقع ! وها أنت ترى أنني عشت بعد ذلك ١٧ سنة ! فكأنني أخذت عمرا أكثر مما أستحق . فمهما حدث اليوم فانه يجيء بعد الموعد الذى كنت أتوقعه وانتظره !! ولقد شاء القدر أن يحدث لنا هذا بعد أن حققنا أحلامنا ، وحولنا دار أخبار اليوم إلى مؤسسة صحفية عالمية ، وأن تصدر جريدة الأخبار اليومية وتصبح أوسع الصحف انتشارا ، وأن يحدث تأميم أخبار اليوم فنثبت للدنيا أن ملكية أخبار اليوم لاتهمنا ، وأن الملايين التى انتزعت لاتساوى فى نظرنا حقنا فى أن نكتب رأينا . وفى هذه السنوات كونا احتياطيا من حب الشعب لنا وقدمنا لبلادنا خدمات لايمكن أن ينساها التاريخ . وهذا يكفينا وزيادة ولا أظن اننا نطمع فى أكثر مما حققناه . فقد أعطانا الله أكثر مما نستحق من شهرة ونجاح ومجد ..

وفى بعض الأحيان أفكر فى رتيبة وصفية وأحلم ، بأنه اذا حكم على ، فان المسئولين لن يمانعوا فى سفرهما اليك لاتمام دراستهما فى الخارج مع فاطمة . هذا اذا أرادت رتيبة وصفية ذلك .

ولقد كنت أتصور قبل القبض على أن قصتى انتهت ولكن القبض على فتح صفحات جديدة فى حياتى برغم ارادتى . اننى كنت أشعر أننى فعلت كل شيء أريده . تمتعت بكل شيء تمنيته . حققت كل أحلامى . صنعت تاريخى . وكنت أتصور اننى سأمضى بقية حياتى مسترخيا ، أعمل كما يعمل الناس ، لا ١٨ ساعة كل يوم . تكون لى أجازات . لا أذهب الى مكتبنا فى العيد وشم النسيم وأيام الجمعة كما كنا نفعل . ولكن القدر شاء ألا يحيلنى إلى المعاش فى الوقت الذى حددته . اننى أشعر الان بنفس النشاط الذى كنت أشعر به وأنا شاب ، أحفر لنفسى طريقا فى صخور الجبل . ولم أشعر أن الضربة التى انقضت على سحقتنى ، أو أنها هوت بى من أعلى الجبل متدرجا إلى الهاوية . كلا ! مازلت اشعر أننى فوق القمة ! كل ما هناك أن عاصفة من التراب هبت ، ثم بعد ذلك سيتساقط التراب على الأرض وابقى فوق القمة فى مكانى ! اننى أعتقد أننى مازلت قادرا على أن أخلق وأبتكر وأصنع المعجزات لبلادى . ولم يزدنى ما حدث لى إلا حبا فى بلادى ، وايمانا بها ، ورغبة فى خدمتها .

ولست نادما على أننى خدمت الذين طعنونى ، ولا اننى رفعت الذين داسونى بالأقدام . ولو كنت أستطيع أن أقرأ الغيب ، وعرفت ما كنت سألقاه من نكران لقدمت نفس الخدمات ، وأخلصت نفس الاخلاص ، وتفانيت نفس التفانى . اننا لم نطلب فى يوم من الأيام عزاء ، ولم ننتظر

عرفانا بجميل .. فان الذى يقدم حياته فداء لبلده لا ينتظر جزاء !
ولقد كانت حياتى قصة مسرحية هائلة . وكانت تنقصها قمة الخاتمة ! وشاء القدر أن تجىء خاتمة القصة بطريقة غريبة لم تخطر فى يوم على بالنا ، على كثرة ما تخيلنا من قصص وروايات وهذا يجعلنى أشعر أن الله يشاء ألا يجعل تاريخنا شيئا عاديا أراد أن ينتهى بقنبلة ذرية أو هيدروجينية تلقى علينا .. ومع ذلك فان شعورى أن هذه القنبلة اذا نسفت أشخاصا فانها لن تستطيع أن تدمر صفحات تاريخنا . انها ليست نهاية عالمنا بل بدايته .

وعالمنا سوف يعيش فى تاريخ الصحافة فى العالم . ما دام للصحافة تاريخ .

وبينما أنا أكتب لك هذه السطور ارتفع صوت مسجون من إحدى الزنزانات يصيح « يعدلها ربنا » ! واننى متفائل بهذا « الفال » !

ان أبواب السجن مغلقة . هدوء فى كل مكان . إلا من صوت أحد المساجين يؤذن لصلاة العشاء « الله أكبر . الله أكبر » .

ولقد صعدت على فراشى واقفلت النافذة التى تطل على الشارع . وأنا جالس الان أكتب على مائدة خشبية فوقها مجموعة أدويتى وطقطوقتان للسجائر ، مليئتان ببقايا السجائر التى دخنتها . وقد خلعت ملابسى وارتديت البيجاما الصوف .

ولقد كان مسجونا بجوارى الأميرالاى محمد يوسف وكيل الأمن العام السابق ، وهو متهم فى قضية حسين توفيق ، بأنه علم بالمؤامرة ولم يبلغ عنها . وهو يؤكد أنه برىء ، وأن حسين توفيق هو ابن شقيقه ولم يخبره بشىء . ولقد كان محمد يوسف أقرب المسجونين إلى ، وكنا نمشى معا فى أثناء ساعة الرياضة ، وكنت أستريح اليه . ولكنه نقل الى مستشفى قصر العينى ، وبذلك حرمت من الشخص الوحيد الذى كنت أعرفه من قبل دخولى السجن . ومع ذلك فاننى أجد من الجميع من الحب والصداقة والاهتمام ما جعلنى أشعر كأننى مازلت بين تلامذتى فى أخبار اليوم !

وظهر اليوم ، حدث حادث غريب ، فقد كنت أتمشى فى فناء السجن مع المسجونين السياسيين ، ومر علينا طابور من أقارب المسجونين فى طريقهم الى زيارة المسجونين . وكانت بينهم شابة مليحة ، جميلة الهندام ، تتعثر فى سيرها وبدا عليها كأنها المرة الأولى التى تدخل فيها السجن لتزور أحد أقاربها . وكانت تسير فى آخر الطابور . وعند باب الغرفة التى يرى فيها المسجونين أقاربهم بين القضبان ، توقفت السيدة ، ورفضت أن تدخل ،

وانتحت الى جانب الحائط ، وراحت تبكى بغزارة ، وحاولت سيدة كبيرة السن معها ، وشاب يبدو أنه أخوها أن يدفعها إلى غرفة الزيارة ، فانتفضت ، ورفضت أن تدخل ، وهى تبكى بدموع كالدم . وخفق قلب السجن كله لمنظر هذه السيدة الشابة . شعر كل واحد منا أن قلبه يتقطع لأن هذه السيدة لاتستطيع أن ترى قريبها خلف القضبان . شعر كل واحد منا بعذاب من يحبونه ، وهم يجيئون لزيارته . ويبكون فى قلوبهم وهم يرسمون على شفاههم الابتسام . وفجأة أقبل شاب وتقدم نحوى وهز يدى بحرارة وهو يقول « قلوبنا كلها معك » ثم قال لى أرجوك أن تتحدث إلى أختى ، لأنك الوحيد الذى تستطيع أن تهدئها . انها تبكى بسببك !

وذهلت ! أنا سبب هذا البكاء ! وقال الشاب أن زوجها قبض عليه ، وهو مهندس فى شركة الجوت ، لأنه كان يجلس فى مكتبه فى الشركة وقال إن مصطفى أمين مظلوم . وهذا المهندس عريس من ١٨ يوما ! فأرجو أن تقول لعروسه كلمتين ..

وتقدمت إلى السيدة ، وحاولت أن أقول لها شيئا . ولكن الكلمات ماتت على شفتى . لم أجد كلمة واحدة أنطق بها . كانت تمثالا للتعاسة والشقاء والألم والعذاب .

كان كل شىء فيها يبكى وينتحب . وتقدمت إلى أم الشاب أشجعها ، واذا بها تقول ابنى فداؤك ! اننا كلنا نعرف أنك مظلوم .

وعرفت بعد ذلك أن هذا المهندس مسجون فى زنزانة فى نفس الدور الذى أنا فيه . واكتشفت أنه ليس وحده ! ان فى الزنزانة المجاورة مهندسا زميلا له فى نفس الشركة . تهمته أنه كان ينقد محاكمات الدجوى ويقول أيضا إننى برىء ! وأنه مضى عليهما فى الزنازين ١٨ يوما ، ولم يسمح لهما إلا بتناول طعام السجن ، ينامان على الأرض . لا سجائر ولا صحف . ولا تفتح لهما الزنزانة إلا ليذهبا مرتين فى اليوم إلى دورة المياه ، مرة فى الساعة الثامنة صباحا ، ومرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر !

ولقد أصبح السجن كله يتحدث عن هذه العروس الباكية . فقد تأثر كثيرون وراحوا يبكون . وزاد بكاؤهم عندما علموا الجريمة الخطيرة التى أودع العريس الشاب من أجلها وراء القضبان ! وقال لى ضابط السجن إن السجون والمعتقلات مليئة بعشرات الأشخاص كل جريمتهم أنهم قالوا أن مصطفى أمين مظلوم !

وقلت لنفسى اذا كان الناس يقولون إننى مظلوم ، وهم لايعرفون حقيقة ما حدث لى ، ولا يعرفون الخدمات التى قدمتها لبلدى ، ولا يعرفون أن

وكيل النيابة طالب باعدامى فى الجلسة لأننى قلت للدبلوماسى الأمريكى ان طائرة مدنية من طائرات شركة مصر صدمت تبه وسقطت فى طريق السويس .

وان المحامى أثبت من الأوراق نفسها أن حادث الطائرة نشرته وكالات الأنباء قبل هذا الحديث ! وأنه صدر به بلاغ رسمى من الحكومة المصرية وأنه اذيع فى الاذاعة قبل أن أقوله للدبلوماسى الأمريكى ..

واذا بوكيل النيابة يقول : نعم .. ولكن عندما أذاعت الاذاعة البلاغ الرسمى للنبأ ، كان لديها تصريح رسمى بأن تقول هذا .. ولكن مصطفى عندما قال هذا لم يكن لديه تصريح رسمى !!

فكأنه يحكم عليك بالاعدام اذا كررت ذكر خبر .. أذاعته اذاعة القاهرة !

وكلما شعرت بضيق هنا ، تذكرت الشهور التى أمضيتها فى السجن الحربى وسجن المخابرات ، وعرفت بالمقارنة كأننى فى جنة !

هناك كنت أشغل نفسى بالمسائل الصغيرة ! كان بين مشاكلى .. أنهم يتركوننى عدة أيام بلا صابونة ! أو أجد بقة فى الفراش ! أو يحضرون لى الطعام وينسون العيش ! أو ينتهى دواء السكر وأبقى عدة أيام أتوسل وأرجو حتى يحضروا لى دواء السكر ! أو أعيش بعود كبريت واحد لمدة ٢٤ ساعة واضطر أن أشعل سيجارة من أخرى ، فاذا انتهت مقطوعية السجائر بقيت عدة ساعات بدون سجائر ..

وكنت أتغلب على أزمة السجائر بالنوم ! اذهب إلى فراشى وأنام حتى يجىء اليوم التالى ويحل موعد صرف السجائر الجديدة ! وكان موعد اعطائى للسجائر يعذبنى ! كان الاتفاق أن يسلمونى مقطوعية السجائر فى الساعة الثامنة صباحا وكانوا ينسون أو يتناسون فيعطوننى السجائر بعد منتصف الليل ! أو لا يعطونى السجائر اطلاقا ! وكان بين المشاكل الخطيرة ترموس الماء البارد ، فقد كسروا ترموسى ، وبقيت بضعة أيام وهم مشغولون بفتح اعتماد لشراء ترموس آخر .. والاعتماد المطلوب هو ١١٥ قرشا !

وأمر لى رئيس النيابة براديو ترانزستور . وبقوا عدة أشهر يعدوننى به . وفى الصباح يقولون فى المساء . اليوم يقولون غدا . فى هذا الأسبوع يقولون الأسبوع القادم . حتى نقلت من السجن الى سجن الاستئناف دون أن أتسلم الراديو الموعود !

وكأن الطعام إحدى المشاكل ! أقول لهم إن الطبيب منعنى من أكل البطاطس فيجيئون لى بالبطاطس ، فأشكو ، فيمتنعون عن ارسال

البطاطس ويرسلون أرزا ! فأقول لهم إن الطبيب منعني من الأرز أيضا ، فيرسلون لى مكرونة !

وكانت ملابسي مشكلة ! لقد تمزقت جاكتات البيجاما من الشد والجذب والضرب أثناء التحقيق . حتى أصبحت في البيجاما أشبه بالمتسولين ! وألححت في أن يحضروا لى بيجاما من منزلى وتركوني عدة أسابيع ! وأقبل الشتاء وكنت أشعر بالبرد يدخل كالرصاص من الفجوات المقطوعة في البيجاما ، وطلبت أن يحضروا لى من منزلى بيجامات صوف ! وبعد شهور جاء الرد أنه لايوجد في منزلى بيجامات صوف ! مع أنني أعلم أن هناك بيجامات صوف في منزلى ، ومع أنهم كانوا يعلمون كل ابرة موجودة في بيتي ، فقد احتلوه بعد القبض على عدة أيام !

وكل هذه مسائل بسيطة . ولكن كل واحدة منها كانت أشبه بأزمة أتبادل فيها الرسائل والاحتجاجات والمفاوضات والمحادثات مع الضباط المسئولين ! وكان وصول السجائر لى في الصباح خبرا سارا عظيما ، وحدثا ضخما يقتضي تقديم فروض الشكر والحمد والثناء ! ولحسن الحظ انني هنا لا أواجه مثل هذه الأزمات ..

والآن أختم خطابي ، وأضمك إلى صدرى بقوة ، وأقول لك إنني أشعر أنك معي دائما ، وأحس بكل ما تفعله من أجلى ، ويجب أن تطمئن على جدا ، وأن تعلم أنني محتمل كل ما أنا فيه بشجاعة وايمان وعزيمة تذهلني . ولو قيل لى في يوم من الأيام أنني سأحتمل كل هذا بهذه الشجاعة والايمان لما صدقت . ولكن الله عندما أخذ حريتي أعطاني هذه القوة والايمان ..

إن الله معنا يا على ..

سنرى أعيادا جميلة .. سنرى أياما حلوة .. سنمضي ساعات ضاحكة ..

إن الله لن يتخلى عنا أبدا ..

أقولها لك وأنا واثق مما أقول .. و شوقي أنني حي .. ولك قبلاتي .





عصر التلفيق . !

سجن الاستئناف
٣ مايو سنة ١٩٦٦
عزيزتى ..

استيقظت من النوم الساعة الثالثة صباحا . فأضأت النور الكهربائى ، كنت أحمل هم هذا النور ، عندما صدرت الأوامر بنزع البريزة الكهربائية من غرفتى . لقد حاولت جاهدا الاحتفاظ بها . لأن المصباح الكهربائى الموضوع على المائدة كان يعتمد عليها . وكنت أستطيع أن أمد يدى فأفتح النور وأغلق النور . ولكن نزع البريزة سوف يجعلنى اعتمد على مفتاح الكهرباء الموجود خارج باب الغرفة .. فانه من غير المسموح أن يكون مفتاح الكهرباء داخل الزنزانة . وكان معنى هذا أن أتحرك فى الظلام ، فأخبط فى كرسى ، وأضرب فى صحن من صحون العشاء . أن أشعل عود ثقاب ، لا يلبث أن ينطفىء فى نصف الغرفة قبل أن أصل إلى الباب ، وأحمل كرسيا ، وأقف عليه ، وأمد يدى خلال فتحة الحديد الصغيرة فوق الباب . وأتشعلق حتى أصل إلى مفتاح النور ، فأضىء النور . وكانت فتحة الباب صغيرة ، وكانت يدى لاتستطيع الدخول فيها اذا كنت أرتدى الروب دى شامبر ، فأخلع الروب دى شامبر ، لتستطيع يدى اختراف الفتحة ! وكانت هذه العملية تعذبنى . وكانت تعذبنى أكثر إذا أردت أن أنام . فاننى كنت أضطر أن أترك فراشى وغطائى ، فى البرد القارس ، لأقوم بعملية اطفاء النور ، ولا أكاد أنتهى منها حتى يطير النوم من عينى . وأتقلب على الفراش ولا أنام ثم أخرج من الفراش ، وأقوم بعملية إعادة فتح النور ، وأعود إلى القراءة . وهكذا تتكرر عملية البهلوان عدة مرات كل ليلة ! ثم اكتشفت أنه ممكن استعمال شمعة . وكنت أخفيها فى حذائى . لأن الشموع

ممنوعة . ثم جاء المصباح الكهربائى وأنقذنى من هذا العذاب . ولكن قرار نزع البريزة من زنزانتى سيعيدنى إلى عصر الجاهلية الأولى . وقلت للمأمور اننى أقرأ كثيرا . وفى أشد الحاجة لهذا المصباح الكهربائى والظروف لاتسمح بعمل نظارة . ولكن المأمور أكد لى أن البريزة تخالف التعليمات ، وأنه وبخ الكهربائى لأنه وضعها عندى بغير استئذان . وأنه لو جاء مفتش ورآها فسوف تكون مصيبة كبرى . وسألت عن الحكمة فى هذه المصيبة . فقال إن من الممكن استعمال كوبس البريزة للانتحار !! وقبلت هذا القرار العجيب وأمرى لله . ولكنى أخذت منه إذنا بأن أخفض السلك الذى تتدلى منه لمبة الكهرباء فوافق . وكانت اللمبة ملتصقة بالسقف . فكان النور ضعيفا . لأن ارتفاع السقف حوالى أربعة أمتار . واتفقت مع الكهربائى أن ينزع اللمبة من السقف ، ويضعها فوق السرير بمترين . وأنزلنا منها سلكا فيه « كمثراية » شبكتها فى حديد السرير ، وهكذا حل اشكال عدم استعمال المصباح الكهربائى ، واختفاء البريزة . وأصبحت أضغط على الكمثرى فينطفىء النور ، وأضغط عليها فيضىء النور . تماما كما كنت أفعل وأنا نائم فى فراشى بالزمالك ! ووفرت عمليات البهلوانات التى كنت أقوم بها للتشعلق على الباب ! لأطفىء النور ! وأولع النور ! وبقى المصباح الكهربائى فوق المائدة ، أخرس ، لافائدة فيه ، وكأنه نصب تذكارى يعلن الاحترام الشديد لتعليمات مصلحة السجون !

وأحمد الله على هذا الحل . فقد كان يحدث فى الشتاء أو فى الليالى القارصة البرد ، أن أفضل أن أنام فى النور ، على أن أخاطر وأخرج من تحت البطاطين وأرتعش وأنا أقوم بمخاطرة ومغامرة اطفاء النور ! والمسائل تعود . فقد كنت فى الماضى أتصور أنه لايمكن أن أنام فى النور ، ولكن فى تلك الأيام علمت نفسى أن أنام فى النور !

وكان يحدث أحيانا بعد اطفاء النور ، أن أكون فى أحلى نومة ، ويجىء أحد الحراس من الخارج ، ويفتح النور ! لا لسبب إلا لأن مزاجه يقتضى ذلك ، أو لأنه يريد أن يتأكد أننى لم أهرب ، وينسى طبعا أن يطفىء النور بعد أن اطمأن أننى مازلت فى الزنزانة . واكتفيت بالكمثراية الموجودة على السرير . وبذلك كفى الله المؤمنين شر القتال مع السجانين الذين يضيئون النور فى الوقت غير المناسب !

وهكذا فان الحاجة أم الاختراع . وكل مشكلة تصادفنى تبدو فى أول الأمر أنها كبيرة ، ولا حل لها ، ولكن الوقت والتفكير يحل المشاكل . وكأن الوقت هو الكمثراية التى يمكنها اضاءة النور !

وكلما ضايقني شيء ، تذكرت ما كنت فيه ، في سجن القبة والسجن الحربي ، وقارنته بما أنا فيه في السجن الحالي ، وحمدت الله على التقدم العظيم ، وازددت إيمانا بأن كل يوم يجيء يكون أحسن من سابقه . فأنا الآن أنام ملء عيني ! أشعر أنني ملك في سريري ! وفي السجن الآخر كان يجلس معي أربعة حراس يحملون المسدسات أثناء نومي ، ولعل السبب في ذلك أنهم يراقبون الأحلام ! وكان يحدث أن تأخذهم نومه . واستيقظ فأشعر أنني راغب في الذهاب الى التواليت ، ولكنني أشفق عليهم أن أوقظهم من نومهم . وأبقى انتظر الى أن يفتح واحد منهم عينيه وعندئذ استأذن في الذهاب الى الحمام . فيقوم الاربعة ويصحبونني الى التواليت ، وكأنه موكب الملكة اليزابيث لافتتاح البرلمان !

وكان يحدث أن يخرج منهم شخير عجيب ، بعضه كالصفير ، وبعضه كالطبول ، وبعضه مثل صوت السيفون المكسور ، وتعلمت أن أنام على هذه الأصوات مقنعا نفسي أنها أصوات أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم ! وبينما أكون في أحلى نومه ، يدخل الضابط النوبتجي ، ليفتش على الحراس ، ويهبون من مقاعدهم واقفين وكأنهم في طابور ، وطبعا استيقظ من النوم واشترك في تحية الضابط الهمام !

وكان الطعام في السجن الأول مشكلة ! لقد مكثت ثلاثة أو أربعة أشهر آكل الجبن في الافطار والغداء والعشاء . وكان هذا يغنيني عن أكل الخضار الذى لايؤكل . فقد كانت الخضراوات بطاطس وأنا ممنوع من أكلها . أو أرزا وهو ممنوع أو مكرونة وهي ممنوعة أيضا . وكان مع الخضار ربع فرخة . وهي دائما فرخة قامت بعملية رجيم صعبة ، أو أن جزءا منها قد نزع في الطريق ، والخادم يحمله من المطعم الى غرفتي ! وكان الحراس يعتبرون طعامي هذا طعاما ملكيا أو امبراطوريا . وبالنسبة لأكل باقي المسجونين . الذى كان عبارة عن ساندوتش طعمية أو ساندوتس فول مدمس ، أو سلطانية لبن زبادى !

والغريب أنه في السجن الأول يصاب المساجين بالامساك ! فقد حدث في الأيام الأولى انني كنت أذهب الى التواليت كأنني طفل صغير ! وتمضي بضعة أيام ولا أذهب إلى التواليت . وكان يحدث أن أسمع المسجونين يصيحون في زنزانتهم .. ملين .. ملين .. فهم يطلبون دواء يلين مصارينهم التي تجمدت ! ولست أعرف ما الذى كان يجعل المصارين تتجمد في السجن الأول . ربما يكون الرعب هو الذى يؤدى إلى هذه الحالة العصبية ..

ويظهر اننى لو تركت لنفسى ، لأكلت نفس الطعام يوميا دون أن أشعر بأى ملل أو قلق ! وأظن أن هذه ظاهرة طيبة بأننى لا أحب التغيير فى الأطباق .. وفى النساء أيضا !

وكان مما يضايقنى فى سجن القبة الغسيل ! وعندما أرى الآن حقيبة الملابس تدخل عندى مرتين فى الأسبوع أحمد الله كثيرا . اننى الآن أغير ملابسى الداخلية . والقميص والشوراب كل يوم . أما فى سجن القبة فقد كان مصرحا لى بقميصين ، ولباسين وفنلتين وجوربين . وثلاثة مناديل . على الرغم من أنه كان هناك عدة حقائب لى مملوءة بالملابس . ولكنها كانت موجودة فى مكتب الضابط المشرف على السجن . وكنت لا أستطيع أن أحصل على شىء منها إلا بعد أن أكتب له عدة خطابات أرجوه وألح فى الرجاء ! وكنت أحل مشكلة الجوارب فى أول الأمر بألا أرتدى جوارب ، وأنا أمشى بالشبشب عارى القدمين ، ولكن عندما حل الشتاء كنت أرتدى الجورب الواحد أسبوعا كاملا حتى يجىء الجورب الآخر من المكوى ! وكان القميص الأبيض يتحول فى النهاية إلى قميص رمادى بسبب تراب الأسبوع ! وكنت أغسل المناديل بنفسى لتستطيع أن تكفى حتى نهاية الأسبوع ! وكان الوصول إلى صابونة كالوصول إلى القمر . تحتاج إلى عدة طلبات .. وكان يزيد فى دقة الموقف أنها الصابونة الوحيدة فى الدور .. وكان الحراس يحضرون إلى ويستلفون الصابونة ليغسلوا وجوههم !

وفى نهاية الأمر تحسن الموقف ، فزاد عدد القمصان إلى أربعة والجوارب الى ثلاثة والمناديل الى ستة !

وكانوا يعدوننى كل يوم بأن يعطونى كتبا أقرؤها . ولم يقصروا فى يوم واحد خلال تلك الأيام عن هذا الوعد . وفى الوقت نفسه لم يقصروا أيضا فى عدم اعطائى أى كتاب أو أى جريدة أو مجلة ! وعندما أرى كومة الصحف والكتب التى عندى فى سجن الاستئناف ، أحمد الله أيضا وأشكره على هذه النعمة ..

وكان الحراس يجلسون معى فى غرفتى فى أثناء نومى الأول ويقولون إن الذى أدهشهم وهم يراقبوننى وأنا نائم أنى أصلى فى أثناء نومى . فانهم كثيرا ما سمعونى وأنا نائم أقول « يارب » وكان إيمانى هذا يذهلهم . وكان صمودى يدهشهم . وكانوا يقولون إنهم لم يروا قبل الآن مسجونا يستقبل كل هذه الأهوال ضاحكا !

وكان أكثر مايقلقنى فى سجن القبة هو أخى على . هل وصلته رسالتى الروحية ، بأن يبقى ولا يعود حتى لا يتعرض لهذا الهول فيزداد عذابى ..

هل نفذ رأيى هذا ! ؟ كيف صحته . لقد خشيت أن تؤثر الصدمة على حالته الصحية . وكنت أخشى أن يترك الفندق وينتقل إلى شقة كما كان يريد أن يفعل قبل ذلك . كنت أرى الفندق أكثر أمانا له . كنت أخشى أن تخطفه بعض الأجهزة فى صندوق ! وعلى الرغم من أن كل أبواب الأخبار والمعلومات كانت موصدة أمامى ، فاننى استطعت أن التقط الخبر الذى يهمنى وهو أنه اعتذر عن عدم الحضور لمرضه . برغم أن المحققين كانوا يؤكدون لى أن أحدا لم يطلب عودته ! وبرغم حرص المسئولين فى سجن المخابرات على أن أحاط بإظلام تام من ناحية المعلومات والأخبار ، فقد كنت أجمع فتافيت الأخبار من هنا وهناك وأضمها إلى بعضها ، واستعمل خبرتى الصحفية لأحصل على الخبر الكبير الهام . وكنت أسلى نفسى بأن أحاول الحصول على هذه الأخبار برغم التضييق والتدقيق ! فعرفت مثلا أن النحاس قد مات . وعرفت ماحدث فى الجنازة . وعرفت استقالة على صبرى وتعيين زكريا محيى الدين . وعرفت الوزارة الجديدة . وعرفت سفر الرئيس إلى السعودية وإلى موسكو . أما الآن فإن بين يدى صحف بلادى وصحف لبنان وصحف العالم أقرأ فيها ما أريد أن أعرفه . وكل يوم يدخل مساجين جدد ويحملون أخبارا جديدة ، وأهم أخبار جديدة ! وأصبحت أعرف أخبار أخى على يوما بيوم . وأصبحت أعرف أخبارك ساعة بساعة . فأنا الآن أشعر أننى على وجه الأرض . أرى الناس ويرانى الناس ، أما فى سجن المخابرات فقد أمضيت أربعة شهور وعشرة أيام لم أخرج من غرفتى ، ولم أخرج الى نور الشمس أو إلى الهواء مرة واحدة !

ان لدى فرصة لأكتب اليك مرة أخرى ! كأن الخطاب الذى أنهيته لايكفينى . فأنا أريد أن أتحدث إليك باستمرار . أريد أن أمضى حياتى فى السجن أكتب إليك . ان الكتابة اليك تسعدنى . انها تحملنى اليك . وأنا أجد لذة فى أن أخاطبك باستمرار . ان افتح لك صدرى . لقد أصبحت أنت كل شيء ! أنت القارىء الذى اكتب اليه . خطابك هو أحسن جريدة أحب أن أقرأها . يهمنى كل سطر فيها . تطربنى كل جملة . تحمل لى كل خبر يهمنى . اننى أقرأ كل السطور وما بين السطور . الكلمات . الأحرف وما بين الأحرف . فأنا أريد أن أعيش فيك كل لحظة . أخرج معك فى زياراتك . أحيا فى متاعبك . أتنفس فى نبضاتك وتنهداتك ! لا أريد أن ينتهى الخطاب . إن أكثر ما يهمنى هو أخبار قلبك . فهذا القلب هو المخبأ الذى أعيش فى ظله محميا من غارات الزمن ومن قنابل الأيام ! اننى أحس وأنا داخل هذا القلب أننى فى حماية كاملة . ان أحدا لن يصل إلىّ وأنا هناك .

إنه يصد عنى المتاعب . أنا أشعر وأنا داخل هذا القلب أننى أسعد رجل فى العالم . أشعر اننى حر ! إنه ليس زنزانة ، ولا سجنا ، ولكنه حديقة غناء !

وأنا فى الوقت ذاته أحب أن أحدثك عن كل شيء . اننى أعرف أنك تريدين أن تعرفى حياتى هنا دقيقة بدقيقة . ماذا أقول : وماذا افعل ؟ فى ماذا أتكلم ! وعندما يحدث شيء هنا أول شيء أفكر فيه أننى سأكتبه لك ! لايجوز أن أنساه . ثم يحدث أن انسى !

ولقد نسيت مثلا أن أحدثك أن أحد المسجونين معى واسمه عادل سليمان أخبرنى بأنه رآك فى أثناء احضار الطعام ، وأنه قال لك أن خطابا وصلنى . ولعلك أهتممت أن تعرفى من أين هذا الخطاب . وقد قال إنه تصور أن الخطاب من على . والواقع أن الخطاب من مسجون اسمه « النص » وهو يشكرك . وهو الآن فى الاسكندرية ومفرج عنه والحمد لله . ويظهر انه انتهى من عملية المرور على جميع أقسام الجمهورية واستقر !

ومن الأخبار الطريفة هنا أن أحد زملائى فى السجن واسمه فاروق عبد القادر كان لديه فى غرفته كرسى ، وسرقه أحد المسجونين ، وباعه إلى احد المسجونين بأربع علب سجائر بلمونت !

واتفق المسجونون على محاكمة المسجون الحرامى . وقرروا تأليف محكمة برياستى لمحاكمته . وقام الأميرالاى محمد يوسف بدور المحامى . وصحفى اسمه أنور زعلوك بدور النيابة . وقد كانت محاكمة طريفة جدا . ضحكنا فيها كثيرا . ولكن لم أصدر حكما ، وانما أجلت اصدار الحكم على طريقة الفريق الدجوى !

. ولقد حدث حادث غريب ، وهو أن أحد المسجونين اتفق مع مسجون اسمه محمود متهم فى قضية سرقة التليفزيونات ، بأن يدعى أنه عشيق زوجته ..

وراح يذكر له علامات مميزة ، فان فى ظهرها حسنة سوداء ، وفى فخذها جرح على شكل × وعندما تجيء لحظة شهوتها تصرخ صراخا عاليا ! واتفق المسجون مع هذا اللص على أن يدعى أن شريكه فى عصابة سرقة التليفزيونات هو شقيق زوجته ! كل هذا لينتقم من زوجته ويلفق لها قضية زنا .. انتقاما منها لأنها أرادت أن تطلقه !

وعلم المسجونون السياسيون بهذه السفالة ، واستدعوا محمود ، فاعترف لهم بكل شيء ، فهددوه بابلاغ النيابة اذا اشترك فى عملية التلفيق هذه ضد امرأة بريئة !

وخاف المسجون مني فعدل عن التلفيق . لقد أصبح التلفيق مرض هذا العصر الذى نعيش فيه . الناس على دين ملوكهم ! وما دام أصحاب السلطان يلفقون القضايا والاتهامات ، فمن حق الأفراد أن يلفقوا ! فى كل العالم الذى يلفق قضية لبرىء يسجن ، وفى بلادنا من يلفق قضية كبرى يرقى إلى وظيفة أعلى ! الملفقون فى الأجهزة هم « الشطار » الذين يمطرونهم بالترقيات والدرجات والعلاوات الاستثنائية ، و « الخائبون » هم الذين يحترمون القانون ! أصبت بحساسية غريبة ضد الملفقين . انهم يثيرون أعصابى الباردة . لا أعرف ماذا يحدث لهذه الدولة اذا استمر الحال ، واستيقظ الشعب ذات يوم واكتشف أن كل شىء ملفق . كل شىء كذب . كل شىء أوهام ؟ !

ووصل الى السجن زبون جديد له اسم مستعار هو « أبو شادية » متهم بأنه أحد ملوك الدعارة فى المدينة .

واستدعينا أبو شادية . وقمنا بتحقيق صحفي . وكان يتكلم عن نفسه كأنه فى وظيفة محترمة ! ويسمي نفسه سمسار ! . تماما مثل سمسار العقارات والعمارات والأراضى الزراعية ! وروى لنا كيف كان يقوم بتقديم الفتيات للزبائن ، فيدفع الزبون العربى ١٠ جنيهات يأخذ منها هو ٧ جنيهات ، والفتاة المسكينة ثلاثة جنيهات ! وكيف أنه كان عنده تسع فتيات أخريات تعطى كل واحدة منهن له كل ما تتقاضاه . ولا تأخذ سوى اكلها وشربها ! وروى لنا حكايات وحكايات عن استغلال هؤلاء القوادين للطالبات الصغيرات والضحايا اللاتى يسقطن فى أيديهم ! اننى أتتبع كل هذه الأحداث فى عالم جديد لا أعرفه ، وهو عالم تحت الأرض ، فنحن الذين نعيش على السطح لا نعرف ما يحدث تحت أقدامنا . وقد حولت المسجونين السياسيين معى فى الدور إلى مخبرين صحفيين ، مهمتهم التقاط الأخبار ، ويأتون بها إلى ، كأننى فى مكتبى فى أخبار اليوم والمسجونين هم المندوبون الذين يدخلون كل لحظة يحملون الأخبار ! ولا تمر دقيقة بدون خبر جديد . من داخل السجن ومن خارجه . من الزيارات ومن التليفونات ، وهو ما يطلق على الأحاديث التى تجرى من نوافذ السجن !

ولعلك تعرفين المسجون « أسامة » الذى لاتحبينه . فقد أفرج عنه بكفالة عشرة جنيهات . ولم يكن يملك مبلغ الكفالة . والقانون أنه اذا مضى عليه ١٤ يوما دون أن يدفعها تلغى ويسجن من جديد ! وقرر المسجونون أن يجمعوا له علب سجائر ، يبيعها ، ويحصل على العشرة جنيهات . ولكن يظهر أن المسجونين لا يحبونه مثلك ، فانه لم يستطع أن يجمع المبلغ

المطلوب .. وأعيدت لنا علب السجائر التى تبرعنا بها ، لأن المبلغ الذى جمع لم يصل إلا إلى أربعة جنيهات والمطلوب عشرة ! ولو كان أسامة أحسن معاملة زملائه ، لسارعوا جميعا إلى مساعدته ، كما حدث ما صاحبنا اللص المدعو النص . ولكنه كان دائما يثير شكوكهم . ولا يوجد فى الحياة أجمل من أن يحصل الانسان على ثقة الناس وحبهم . انه راس مال فى المحن والأزمات . ولكنه سيجىء فى وقت من الأوقات .

وانني أشكرك كثيرا لأنك ترسلين لى جريدة التايمز بانتظام ، والغريب انني فكرت أن اطلبها منك ، لأنني وجدت أن فيها أخبارا كثيرة من الشرق الأوسط ، وموضوعات خارجية هامة .. واذا بك بدون طلب تنتظمين فى ارسالها لى ! ولم أعد استغرب هذا ! كان فى أول الأمر يدهشني ويذهلنى . ولكن الآن أصبحت أراه أمرا طبيعيا . ولهذا لم أعد أكتب خطابات إلى السيد الضابط . وفى كل يوم أفكر فى أن أبحث عن شىء أطلبه ، واكتبه الى السيد الضابط ليبلغه لك . ولكنى بعد أن أمسك القلم لا أجد شيئا أطلبه !

● ● ●

تنفيذ حكم الاعدام

سجن الاستئناف
١٦ مايو ١٩٦٦
اخى العزيز

أقبلك قبلة حارة . ان الكتابة لك مشكلة . اعرف انك فى غربة ، وأعرف أنك تتشوق إلى أخبار وطننا . وكنت أتمنى أن أستطيع أن أملأ خطابى لك بالأخبار التى تهمك . ولكن أهم الأخبار عندى أن لا أخبار . ويبدو أننا سوف نعيش بلا أخبار الى شهر يوليو ، وليس هذا على سبيل الخبر ، وإنما على سبيل الاستنتاج . ولقد علمتنا الحوادث أن الأيام هى خير دواء لكل داء . وان ثقتى بما قدمته لبلادى من خدمات ، وبأن الرئيس يقدر هذه الخدمات . يجعلنى مطمئن الضمير ، وأثق أن الأيام معى وليست ضدى . وقد تعلمنا الصبر ، وأنه لا يجوز أن نستعجل الفرج . فالفرج قادم بإذن الله . ولعلك تذكر أن أزمات كثيرة وخطيرة مرت بنا ، وأن الله كان يمد يده لنا ، وأن الرئيس كان لا ينسى ما قدمناه لبلادنا . ولعلك تذكر كيف ابتعدنا عن أخبار اليوم ١٥ شهرا . ثم جاء الرئيس ورد لنا اعتبارنا ، وأعطانا أكثر مما نحلم ونتمنى . وبدلا من أن تكون لنا دار واحدة هى دار أخبار اليوم ، أصبحت لنا داران هما دار الهلال ودار أخبار اليوم .

واننى أحمد الله على كل شىء . فاننى فى هذه المحنة رأيت ما يشبه المعجزات . ولم أحس فى لحظة بالوحدة ولا بالقلق . بل لقد تدهش اذا علمت أننى كنت فى خارج السجن أشعر بقلق أكثر مما أشعر داخل السجن . كنت لا أنام الليل . خوفا على وطننا .

كنا نشعر كان كل ضربة موجهة إلى وطننا كأنها موجهة إلى صدورنا . وكل سهم يصوب اليه يصيبنا . وكل أزمة يصادفها كأنها تأخذ بخناقنا .

كنت أحس أنني مسئول عن كل شيء . وانني أقف فى الصف الأمامي . وان أى طلقة توجه إلى وطننا هي موجهة إلى قلوبنا . وكنت أحس كأنه ابني . أخاف عليه من تيار الهواء وأخشى عليه من هبوب الريح . وكان دعائي له هو دعاء لنفسي . وحبي له هو حبي لنفسي . فقد تفانيت فى خدمته . وقدمت حياتي وخبرتي وكفايتي وفني من أجل خدمة الرسالة التى أحملها .

والآن أشعر فى زنزانتي أنني عاجز عن أن أفعل أى شيء من أجل بلادى . وليس عندى ما أملكه سوى دعواتي ، ان يأخذ الله بيد هذا الوطن ويبارك فيه ويحميه من كل سوء .

وأمرى لا يهمني كثيرا . انني أشعر أن تاريخي لن يكتبه الذين يرموننا بالطين . سوف يكتبه مؤرخ منصف . سوف يكون هذا الغبار الكثيف المصطنع قد زال ، وظهرت الحقيقة كاملة . وسوف يعرف الناس كم ضحينا ، وكم أوذينا ، وكم تحملنا ، دون أن نفرط فى حق من حقوق وطننا . وكيف كنا نطعن بالخناجر فى ظهورنا ، بينما تكون أيدينا مشغولة بحمل السيوف دفاعا عن وطننا . وكنا نترك الدماء تنزف منا ، حتى لانشغل أنفسنا بتجفيفها او بتضميدها ، عن معركة بلادنا الكبرى ..

وانني أعتبر هذه الفترة أجازة ! أجازة من عمل لاينقطع بالليل والنهار . لا أجازة أسبوعية . ولا أجازة سنوية . ولا عيد ولا شم النسيم . كنا دائما على مكاتبنا . كأننا ديدبان فى المواقع الأولى فى معركة القتال . ولعل القدر شاء أن أصاب برصاصة طائشة فى ظهرى أثناء المعركة ، من الذين أحبهم وأدافع عنهم ، بدلا من أن أصاب برصاصة فى صدرى من الذين أحاربهم وأهاجمهم . فأنا الآن كأنني جريح فى مستشفى انتظر اخراج الرصاصة من ظهرى .

والأيام تمضى سريعا . تصور انه مضى على معتقلا حوالى ثلثمائة يوم ! وبعد حوالى العشرة أسابيع سيكون قد مضى على سنة فى السجن ، ولقد كانت الأحداث تتلاحق بحيث لا تترك وقتا للملل . كل يوم شيء جديد . انني أشعر كأنني لازلت خارج السجن . انني أقرأ الأنباء وأحللها وأدرسها ، وأتابع أحداث الدنيا كأنني لا أزال جالسا على مكتبي فى « أخبار اليوم » . ولقد عودت نفسى على المجتمع الجديد الذى وجدتني فيه . وعلمت نفسى أن أحب هذا المجتمع الجديد . ولم يكن هذا يستلزم جهدا . ان فيه قتلة ومجرمين ولصوصا ونشالين . ولكن فيه أضعافهم من المظلومين . ومن أصحاب القلوب الطيبة النبيلة . ان ملابسهم ممزقة ، وأرواحهم سامية . ان وجوههم متسخة وقلوبهم نظيفة . انني وجدت فيهم

تلاميذ وأصدقاء . أمشى بينهم كأننى أمشى فى دار أخبار اليوم . اجتمع بهم فى طرقات السجن ، وفى زنزانتهم وفى زنزانتى ، وكأننى أستقبلهم فى مكتبى بالزمالك . كأننا نسهر سهرة يوم السبت ويوم الأربعاء . نضحك كما كنا نضحك . ونتناقش كما كنا نتناقش . والفرق الوحيد ان شلتنا كانت تنصرف عند منتصف الليل . وهذه الشلل تنصرف فى الساعة السادسة مساء عند موعد اغلاق الزنازين .. بوقت الصيف !

فالمسألة نسبية كما ترى . وممكن للانسان أن يكيف حياته حسب الظروف . وينسى أنه فى زنزانة .

والسجن أشبه بادارة جريدة ! كل لحظة أخبار . مسجونون جدد يحملون قصصا جديدة . ومسجونون قدماء يخرجون ، وتسعدنى أنباء الافراج عنهم كأننى أرى تلاميذى يحصلون على نصر صحفى عظيم ! فأنا افرح لكل واحد يخرج من السجن . كان جزءا منى خرج واخترق الأسوار ، وذاق طعم الحرية !

والسجانون . سواء كانوا ضباطا أو سجانين ، يعاملوننى بأدب ولطف واحترام . كأنهم جميعا أصدقائى . وأنا لا أخاف تعليمات السجن . وأرفض ان أفعل أى شىء أعتقد أنه يخالف التعليمات ، أو يحرج موظفى السجن . وهم يدهشون من اننى لا اطلب شيئا إلا وأقول من فضلك ، ولا أتناول شيئا إلا وأقول أشكرك . ان الجو فى السجن يدهش لهذه العبارات . ان العبارات التى تسمعها عنها هى عبارات بذيئة أكثرها أدبا كلمة ابن الكلب . ولكنى لا أطيق سماع هذه اللغة ! ولهذا فان كل الذين حولى يحاولون أن ينسوا هذه الألفاظ فى أثناء مناقشاتهم حتى لا يضايقونى !

والمشكلة التى تواجهنى فى السجن هى أن وزنى زاد فجأة ! لقد كنت فرحا بأن وزنى نقص كثيرا . وكنت أعتقد أن سياسة الاستفادة من الكوارث ، سوف تؤدى إلى أن أصبح مثل غصن البان . ولكن الذى حدث فى الأسابيع الأخيرة أننى زدت فى وزنى بضعة كيلوجرامات . ولا أريد أن أقف فوق الميزان حتى لا أصاب بصدمة عاطفية !

ولست أعرف السبب ! ربما كان السبب هو أنه بسبب حرارة الصيف أصبحت أشرب كمية كبيرة من الماء . وربما السبب هو اننى بسبب الشمس أصبحت لا أمشى ساعتين يوميا فى فناء السجن ، بل أصبحت اكتفى بساعة واحدة أو نصف ساعة . وربما كانت هذه الأسباب كلها مجتمعة هى التى أدت إلى أن أصاب بهذه الزيادة فى الكيلوجرامات !

وقد بدأت أحتاط اكثر مما كنت فى الطعام ، وبدأت أعود إلى المشى الكثير . لكن كمية المياه لم أستطع أن أخفف منها بعد .. وسأحاول أن أخفف منها ..

وأسعد أوقاتى فى السجن هى التى أمضيها مع خطاباتى وخطابات أصدقائى وصديقاتى التى تهرب لى بانتظام عجيب .

ولقد رأيت التغيير الذى حدث فى جريدة التيمس ، وأعتقد أنه البداية فقط ، وأنه سوف يعقبه تطور جديد . وترحمت على أنطون الجميل الذى كان يتصور أن الصحف اليومية المصرية يجب أن تتشبه بالتيمس . وأنا أعتقد أنه سيجىء يوم تتشبه التيمس بأخبار اليوم فى أيام مجدها الذهبى !

وأيضا أجد أن الصحف المصرية لابد أن تتحرك . انها تعيش فى جمود قاتل .

ولقد لاحظت فى السجن ملحوظة عجيبة . فى أول الأمر كان يصل الى الدور الثانى فى السجن ٣٠ أخبار و ٢٠ أهرام و ٣ جمهورية .. والآن يصل ٣٠ أهرام و ١٠ أخبار و ٢٠ جمهورية .. ولا أعرف اذا كان هذا الاحصاء يمثل التغيير الحقيقى فى توزيع الصحف . فاذا كان الأمر كذلك فان الأمر يكون كارثة !

وعندما أقرأ الصحف الأجنبية وأقارنها مع صحفنا المصرية أشعر كأن خنجرا يغمد فى قلبى . ولكنى أعتقد أن الصحفيين المصريين الشبان سوف يتنبهون إلى هذه الحالة ، وسيعيدون للصحافة المصرية مجدها . ان جو الارهاب يجمد الأقلام فى أيدى الكتاب . الأيدى المرتعشة لا يمكن أن تصنع صحافة ناجحة ..

اننى أخشى أن يكون خطابى لك خطابا مملا ، وليس فيه أى شىء جديد ، وأننى أكرر نفسى ، وأحصر أخبارى من داخل الزنزانة !

وكان يوم الثلاثاء ١٠ مايو يوما خطيرا فى السجن . فقد كان اليوم المحدد لتنفيذ حكم الاعدام فى الطيار محمود الذى هرب بطائرته إلى اسرائيل .

وقد أخفت ادارة السجن الخبر وتكتمته تكتما شديدا .. وعلمت به بصفة خاصة جدا . ولكن بعد دقائق كان كل السجن يعرف الخبر .. ماعدا المحكوم عليه بالاعدام ! وهذا من رحمة الله به . فان معرفته بموعد تنفيذ الحكم كان سيطيل عذابه .

وفى يوم الاثنين بدأت عملية تنظيف واسعة فى الدور الأرضى حيث سيتم الاعدام .

الفناء الخلفي كان أشبه بصندوق زبالة كبيرة ! واذا بعملية تنظيف هائلة .. وبدأوا يفرشونه بالرمل الأحمر ..

وهكذا نهتم بصحة الأموات أكثر من اهتمامنا بصحة الأحياء .

وفى يوم الاثنين حضرت أمه لزيارته . وكانت سيدة مشلولة . حملوها على كرسى . وصحبها شقيق الطيار وهو ضابط فى القوات المسلحة . بملابسه العادية . وكان يضع على عينيه نظارة سوداء .. ليخفى عن أمه دموعه . ولم تكن الأم تعرف أن الابن سيعدم فى اليوم التالى . ولكن الأخ كان يعرف ..

وأمر المأمور بفك الحديد من يدى الطيار ، حتى لاتراه والدته وفى يده الحديد . وتمت الزيارة دون أن تشعر الأم بشىء . ولكن الضباط الذين حضروا الزيارة كانت قلوبهم تتمزق !

فقد قال الطيار لأمه : لا تحضرى يا أمى بعد الآن . فى المرة الثانية سأزورك فى البيت .

وقال لها إن كثيرين حكم عليهم بالاعدام وصدر عنهم عفو ، وعادوا إلى منازلهم . وفى ختام المقابلة طلب الطيار بسبوسة .

وخرج شقيقه واشترى له البسبوسة ..

ولكن المأمور وجد أن تعليمات السجن تقضى بألا يأكل المحكوم عليه بالاعدام قبل التنفيذ أى شىء من الخارج ، حتى لايؤتى له بسم ينتحر به قبل تنفيذ الحكم .

ورأى المأمور أن الحل هو أن يأكل أولا من البسبوسة قبل أن يذوقها الطيار ..

ونام المأمور فى السجن ليلة تنفيذ الاعدام . وفى الساعة الثالثة صباحا شعر بمغص فى بطنه . وذعر المأمور وهرول إلى زنزانة المحكوم عليه بالاعدام فوجده نائما فى هدوء .. وعرف عندئذ أن المغص الذى اصيب به نتيجة اضطرابه هو وخشية أن يكون فى البسبوسة سم !

وفى يوم الاثنين جاء عشماوى ، وهو عسكرى من مصلحة السجون ، بثلاثة أشرطة ، وله شوارب ضخمة ، وعينان كعينى عزرائيل تماما ، وعاين المشنقة وجربها ..

ولما كانت زنزانتى تطل على الفناء الذى سيجرى فيه تنفيذ الاعدام ، واستطيع أن ارى بعض العملية من نافذتى الحديدية ، فقد رأيت أن الأحسن ألا اشهد هذه العملية المؤلمة . وحاولت أن أنام لكى يتم التنفيذ اثناء نومى . ولكنى لم استطع أن انام . كنت متيقظا أفكر فى هذا المسكين الذى يعرف كل الناس انه سيموت اليوم ما عداه هو !

وفى الساعة الثامنة تماما دخل ضابط وجنديان إلى الزنزانة وأيقظاه من النوم . وفى تلك اللحظة فقط عرف أنه سيعدم . فطلب أن يصلى ركعتين . فقال له الضابط : صلهما تحت !

ومشى الطيار بثبات وهو مكبل بالحديد إلى الدور الأول ، بين صفين من الجنود ، ووقف مأمور السجن وتلا عليه الحكم ..

فقال الطيار : أنا ماكنت عارف أنه سينفذ حكم الاعدام الآن وأريد أن أصلى ركعتين .

فقال له وكيل مصلحة السجون : كأنك صليتهما !

ثم تقدم بسرعة عشماوى وزميله ، وسحباه بسرعة إلى غرفة التنفيذ . وتم الاعدام فى أقل من دقيقة .

وفى الزنزانة المجاورة للطيار مسجون آخر محكوم عليه بالاعدام . وقد هزه تنفيذ الاعدام فى زميله . وتصور أنهم سيجيئون بعد ذلك وينفذون الحكم فيه . ولكن جت سليمة !

وقد هزت الحادثة كل الموجودين فى السجن . حتى الحراس ان حادث رؤيتك لشخص تعرف أنه سيموت بعد ساعات يزعج القلب ، ويقبض الصدر ، ويجعلك تشعر أن حكمة الذين ألغوا عقوبة الاعدام باعتبارها عملا غير انسانى هى حكمة فى محلها برغم شناعة الجرم الذى ارتكبه الطيار بأنه لجأ إلى اسرائيل وسلمهم طائرة حربية ..

ولكن فى المسألة شيئا محيرا . وهو أن هذا الطيار بعد أن هرب من مصر ، وسافر إلى اسرائيل ، سافر إلى الأرجنتين ، وفى الأرجنتين سلم نفسه للسفير المصرى أحمد طعيمه ، وطلب أن يعود إلى مصر .

وهو يؤكد أنه لم يهرب إلى اسرائيل ، ولكن طيارته أجبرت على الهبوط فى اسرائيل .

ولكن السلطات تؤكد أنه هرب فعلا قاصدا اللجوء إلى اسرائيل .

وحدث ان حضر الى السجن سبعة من المحكوم عليهم بالمؤبد قادمين من سجن الزقازيق فى طريقهم إلى سجن طره حيث يؤدون امتحان التوجيهية الذى يقام فى السجن . وأقبلوا على يصافحوننى ، ويقولون ان المسجونين فى كل مكان يثقون ببراءتى ، وأنهم يدعون لى ، وأنهم يفتقدون « فكرة » فقد كانت النور فى ظلام زنزانتهم . وكثيرون منهم يحفظون كلماتها ويرددونها .

ولقد سررت كثيرا من هذا الشعور . ولكن هذا الحب لا يعوضنى عن الحرية !

هذا الحب يحملنى مسئولية كبيرة . ماذا أستطيع أن أفعل وأنا فى قيودى وسلاسلى ، لأرفع صوت المظلومين والمسجونين داخل الزنازين ! والطريقة الوحيدة أن أهرب خطابات إلى خارج السجن تحمل قصص الظلم .

وكان معى فى السجن سعد الزنارى سكرتير نقابة عمال أخبار اليوم ، وقد أفرج عنه بكفالة ، وسررت كثيرا بذلك ..

وقد وصلت لى ستارتان ، علقت ستارة على نافذة الزنزانة ، والأخرى على النافذة الحديدية فوق الباب . والسبب فى هذا ان الصيف يجىء معه الذباب . وأنا أتضايق من الذباب . وأتنرفذ منه ، وأعتقد ان الستارتين ستساعدان كثيرا على أن يقل انتشار الذباب فى الزنزانة .. اننى وأنا اقتل الذباب فى الزنزانة أشعر أننى فى يوم من الأيام سأضرب الظالمين كما أضرب الذباب ..

اننا اعتدنا الآن على احتمال ضربات الخناجر . ولم تعد تسيل دماءنا ! ولكنا لم نتعود على السكوت عن الظلم !

ولقد انتهت مباريات الكرة ، وبذلك فقدت لذة جميلة كنت انتظرها فى التليفزيون بفارغ صبر . وقد سررت لأن الأهلى نال الكأس ، وصحيح أننى على الحياد بين الأندية ، ولكنى وأنا أتفرج على المباراة ، قلت لنفسى لو غلب الأهلى ، فمعنى ذلك أن كل شىء سوف يتم على ما يرام .

وكانت الاعجوبة وانتصر الأهلى ونال الكأس !

وفى بعض الأحيان أفتح المصحف على صفحة ، واقرأ أول آية فيه ، واقول إنها على بختى ..

وكثيرا جدا ما تكون الآية مطمئنة تبشر بان فرج الله قريب ..

وأرجوا من الله أن يحقق أمالنا ، وينهى أيام فراقنا ، وان قلبى يحدثنى بأن فرج الله قريب .. ان السجن يعيدنا أطفالا من جديد ويجعلنا نؤمن بالغيبيات !

والآن أقبلك قبلة من كل قلبى وكل حبى وكل شوقى ..

● ● ●

على أمين وأنا

سجن الاستئناف
٢١ مايو سنة ١٩٦٦
عزيزتى ..

جاءنى احد المسجونين بعدد أخبار اليوم فى مايو من العام الماضى ، الذى كتبت فيه كلمة أودع فيها اخي على أمين لمناسبة سفره إلى لندن !

قرأت المقال وذهلت ! هذا ليس مقالا . انه احساس عجيب بأننى لن ارى أخي إلا بعد سنوات طويلة !

كان الاتفاق بيننا ان نلتقى بعد شهر ، ولكن المقال كان يؤكد ان قلبى كان يحس أن هذا اللقاء لن يتحقق .. سيطول الفراق طويلا طويلا ..

انني أرسل لك هذا المقال العجيب وأسأل نفسى ما الذى جعلنى احس أن كارثة فراقنا على الابواب ..

بعد اقل من شهرين من كتابة هذا المقال قبضوا على !

وهذا هو المقال :

كلمة من المحرر
بقلم : مصطفى أمين

لست اعرف كيف بكيت وانا اودعه . كان يجب أن اضحك وابتسم . لقد حقق نصف الأمنية التى عشنا سنوات نحلم بها ، ان نكون مراسلين متجولين فى أنحاء العالم . ولكن ما كاد يدير ظهره لى ليستقل الطائرة إلى لندن حتى امتلأت عيناى بالدموع . وخجلت من نفسى . لقد كنت دائما معروفا بقوة اعصابى . ولكنى فى تلك اللحظة انهرت . شعرت ان العصا التى استند اليها قد سقطت ، وان اليد التى تحمينى قد انسحبت ، وان الأرض التى أقف عليها قد مادت بى !

ولم تكن هذه أول مرة نفترق .. ولكنها كانت المرة الأولى التى أبكى فيها فى وداعه .

ان على أمين اكبر منى بخمس دقائق ، ومع ذلك فاننى أشعر أنه ابنى الصغير .. أخاف عليه اذا ابتعد عن ناظرى ، التاع عندما اتصور خطرا

يهدده . أتعذب اذا مرض . اذا غاب أشعر أن قطعة من قلبى قد انتزعت منى . ولقد أمضينا معا تسعة اشهر فى بطن أمنا . لعلها هى التى خلقت بيننا صداقة ومحبة وتفاهما وعشقا لو وزعت على أهل الدنيا جميعا لكفتهم أجمعين . وكان يحدث ونحن تلاميذ أن يضربنى المدرس فيبكى على . أو أذنب أنا فيعاقبوه هو ، وأضطر ناظر المدرسة أن يفصلنا فى فصلين مختلفين ، ولكننا كنا نحس ببعضنا البعض والجدران تفصلنا فأحس أننى أريد أن أبكى لسبب أجهله أعرف بعد ذلك أن مدرس اللغة العربية كان يضرب على فى الفصل الآخر لأنه اعتدى على كرامة اسم إن أو خبر كان ! !

ودخل هو القسم العلمى ، ودخلت القسم الأدبى ، ودرس فى انجلترا الميكانيكا . ودرست أنا العلوم السياسية فى أمريكا .

وأصبحت أنا رئيس تحرير « آخر ساعة » ، وأصبح هو موظفا باليومية بوزارة الأشغال . ثم رأينا أن كل هذا الانفصال فى الدراسة وفى الوظائف وفى البلاد لم يفصلنا . بقينا بعد ذلك كاننا ما زلنا فى بطن امنا ! كنت أبدآ المقال فيتمه على ، دون أن يعرف احد الفرق فى الأسلوب .

وكان على يبدآ المحادثة التليفونية وأتمها أنا دون أن تعرف زوجته أن الذى يكلمها ليس زوجها ! وكان يصدر آخطر القرارات دون أن يرجع إلى لأنه يعرف تماما أن القرار الذى يصدره هو هو نفس القرار الذى أصدره . وكان اتفاقنا فى الذوق يعرضنا لمواقف حرجة . فلقد أحببنا نحن الاثنين فى وقت واحد ابنة الجيران . ولم نكتشف هذه الحقيقة إلا بعد أسبوع . واضطررنا أن نجرى قرعة بيننا وكسبتها أنا . واذا ذهبنا لشراء قماش لملابسنا اخترنا نفس الألوان ونفس القماش .. وكنا نشعر بخجل عندما نظهر فى مكان عام بنفس لون البدلة ، ولهذا كنا نتصل ببعضنا البعض صباح كل يوم بالتليفون لنتفق على ألا نرتدى نفس اللون !

وعندما مرض على بالنقرس قال الأطباء أن ٢ فى كل مليون يصابان بهذا المرض قبل الثلاثين ، وبعد أسبوع واحد بدات أشعر بأعراض نفس المرض .. فكنت الثانى فى المليون .. وعندما اكتشف على أنه مصاب بمرض السكر قمت فى الحال بتحليل دمى فاذا بالطبيب يجد أننا أصبنا بنفس المرض فى يوم واحد ! وعندما يحس على بمبادىء آلام النقرس أسارع على الفور بأخذ دواء النقرس ، لأننى أعرف أننى سأصاب به بعد ٢٤ ساعة على الأكثر ! وهذا هو نفس مايحدث لنا فى كل مرة يصاب أحدنا بالأنفلونزا أو الزكام !

ورزق كل واحد منا ببنتين ، ولم نرزق أولادا ! ولم نشعر فى يوم ما بحاجتنا إلى ولد . ان كل واحد منا يحس أن أخاه هو ابنه . فالأب يشعر بسعادة أن يرى نفسه فى شخص آخر ، ونحن أكثر حظا من غيرنا لأن كل واحد منا رأى ابنه فى سنوات متأخرة من الحياة ، وهو حظ لا يتمتع به كثير من الآباء !

وعندما نجلس معا فى غرفة واحدة لانتكلم كثيرا . كلماتنا معا معدودة . اننا نحدث بعضنا البعض دون أن نحرك ألسنتنا . كلمة واحدة ينطقها تروى قصة طويلة احتاج ساعات لشرحها لشخص آخر سواه !

ان بيننا شيئا من لاسلكى القلوب . نتبادل رسائل غير مكتوبة . لا يفهمها أحد سوانا ولعل هذا هو السبب الذى جعلنى أبكى وأنا أودعه !

لقد شعرت انه يريد أن يبكى فبكيت !

« مصطفى أمين »

هذا هو المقال الذى كتبته منذ عام ، والعجيب أن أخى على سافر إلى أوربا وافترق عنى عشرات المرات ، ولم أفكر مرة واحدة أن أكتب فى الجريدة عن هذا الفراق !

لماذا خرجت هذه المرة عن القاعدة .

هل عقلى الباطن كان يتوقع أن يطول الفراق هذه المرة سنوات وسنوات ، ولهذا بكيت !

لا أعرف ! كل ما أعرفه اننى لم أبك كما بكيت فى تلك المرة إلا عندما ماتت أمى !

● ● ●

الناس الطيبون

سجن الاستئناف
٢٨ مايو سنة ١٩٦٦
عزيزتي .....

تسلمت اليوم خطابك . كنت انتظره بفارغ الصبر . فرحت به كثيرا . كنت في اشد الحاجة اليه . ولقد كان خطابا لذيذا رائعا . كان اشبه بعدة نوافذ جديدة اطل منها . بابواب كثيرة اخرج منها الى الحياة . كان اشبه بسيارة تنطلق بي الى رياضة نفسية وروحية .. بل كان اشبه ببساط سليمان الذين يتحدثون عنه في قصة الف ليلة وليلة . شعرت كأنني فوق بساط الريح ، وانت بجواري وقد انطلق بي الى الماضي ، والمستقبل . طاف بنا في قصة حياتنا . حملنا الى دنيا الخيال والجمال . كنت سعيدا ، وانت تأخذينني معك في هذه الرحلة الشائقة ، كيف كنا نعمل معا ، كيف كنا ندق باب الخير والحب باصابعك ! كيف كنا نحاول ان نسعد الناس . كل الناس . نحاول بقدر استطاعتنا ان نجفف دموعهم . ونشفي امراضهم . ونخفف آلامهم . وكنت اشعر بلذة عجيبة ايامها . وانت التي تحملين اليهم المنديل الذي يجفف الدموع . أو أنك طاقة ليلة القدر تضيئين ظلام ايامهم ! واكثر ما يشقيني اليوم انني فقدت لذة من اكبر لذاتي في الحياة ، وهي محاولة اسعاد الناس . محاولة أن امد يدي الى الغرقى في امواج الأقدار . كنت ارى السعادة ـ سعادتي ـ في الابتسامة في العيون التي كانت تملأها الدموع . في ان اشعر انني حملت عن بعض الناس بعض متاعبهم اردت ان اكون لو شعاعا صغيرا في ظلام يأسهم وقنوطهم . وكنت اشعر ان كل ما أفعله اقل ما يجب ان افعله . كنت أريد المال لأنفقه عليهم ، واطمع في النفوذ لأخدمهم . كنت اشعر كانني مسئول عن كل معذب وكل مظلوم

وكل يائس . فاذا استطعت ان اقدم لواحد منهم خدمة رضيت عن نفسي . واذا عجزت شعرت بعذاب اكثر من عذاب اليائس والمظلوم !

وهذه اللذة الجميلة لا استطيع ان أمارسها الآن . ليس لدى الا الكلمات الجميلة . والكلمات ما هى الا مراهم وقتيه ، تخفى الجروح ، ولا تزيل آثارها !

وكل ما اتمناه اذا كتب الله لى الفرج ، ان استطيع أن افعل للناس اكثر مما كنت افعل لهم ، وكثيرا ما لامنى بعض اصدقائى على الخير الذى كنت اقدمه ، ويقولون ان بعض من ينالون الخير لا يستحقونه . ولم يكن يهمنى هذا فى شىء . لم تكن لذتى فى وفاء الذين اعطيهم ، ولكن كانت كل لذتى فى ان اعطى ، وان اساعد وان اقف بجوار كل من اعتقد انه يحتاج لمن يقف بجواره فى محنته ، فانا لم اتوقع من احد ممن ساعدتهم ان يرد الى الجميل . ابدا اننى لم افكر فى هذا ولا أريده اننى حصلت على الجزاء الذى اطمع فيه بشعورى بالسعادة اننى فعلت شيئا ، واضات ولو شمعة فى حياة مليئة بالسحب والظلام !

وانا افتقد هذا الشعور هنا . فأنا اشعر اننى اشبه برجل مؤمن لا يجد الماء الذى يتوضأ به ليصلى وقد كانت خدمة المحتاجين فى نظرى نوعا من انواع العبادة والصلاة !

ولهذا ارجو ان يمنحنى الله الفرصة ، لاعوض الصلوات التى فاتتنى ، واعطى الناس من الحب ، بقدر ما اعتقد انهم يستحقون .

ويجب ان تتاكدى ان الدنيا مليئة بالناس الطيبين . ولا يجوز ان نمشى فى زاوية العميان ، فنتصور ان الأزهر كله من العميان ، أو نرى زنجيا فى السويد ، فنتصور ان كل اهل السويد من الزنوج ، ان الاغلبية الكبرى من الناس الذين صادفتهم هم اناس طيبون ، اعطونى اضعاف اضعاف ما اعطيتهم . وفى كل حياتى الطويلة رأيت ورودا اكثر كثيرا مما رأيت الاشواك . وذقت من القبلات اضعاف اضعاف ما أصبت من الخناجر ، ولولا الذين ساعدونى طوال حياتى لما استطعت ان امشى فى الحياة هذا المشوار الطويل . فانا مدين لألوف من الناس بعضهم اعرفه ، وأغلبهم لا اعرفه . فالذى كنت افعله هو اننى كنت ارد للناس بعض جميلهم . وكنت اعطى شيئا تافها الى جانب الاشياء العظيمة التى اعطوها لى . فلهذا اقول لك ان من اكثر الاشياء التى اعجبتنى فيك ، سعادتك ، وحماسك ، وترحيبك ، عندما كنت ارسلك فى مشوار لمساعدة شخص اشعر انه يحتاج الى مساعدة ، كان هذا الشعور منك يقربك كثيرا الى قلبى . كنت اجد فى

السعادة وهى تغمر عينيك لذة اكثر من وفاء عشرات الالوف من الناس .
وكثيرا ما أفكر ، هل سيوفقني الله ، بعد خروجى من السجن ، ان شاء الله ، لأساعد الناس ، كما كنت افعل ، اننى اكره ان تكون حياتى بغير قيمة للناس . اكره ان اكون متفرجا على آلامهم . أو راثيا لهم . أو اكتفى بأن اذرف الدموع حزنا على مصائبهم !
اننى اريد ان اكون دائما عصا يتوكأ عليها الذين لا يستطيعون السير ، أو منديلا يجفف دموعهم ، أو نظارة وردية يضعها اليائس على عينيه ، او حلالا لمشاكل الامهات اللاتى يتشاجرن مع اولادهن أو ازواجهن !
وانى فى بعض الاحيان اغمض عينى ، واتصور ونحن نجلس معا ، نقرأ مشاكل الناس ، ونحاول ان نجد لها حلولا ، ونفتح اذرعنا للذين توصد فى وجوههم أبواب الحياة ! ....

● ● ●


ياظالم لك
يوم .. !!

عبد الوهاب خائف !

سجن الاستئناف
اول يونيو سنة ١٩٦٦
عزيزتي .....

كنت فقدت الأمل في ان استطيع الكتابة اليك . وانني اسف جدا انني لم اكتب اليك قبل الآن ، برغم محاولاتي الكثيرة في الكتابة ، لانني اعلم انك تحتاجين الى مثل هذه الرسالة باستمرار للأطمئنان على . ولكن تاتي الرياح بما لا تشتهي السفن .

فبعد ان كنت اتصور انني استطيع ان اكتب اليك باستمرار ، اكتشفت ان هذا اصبح من الصعب جدا ، بل انه من المستحيل . ولهذا ارجو ان تعذريني فانني اعرف مقدار المك لانني لم اكتب اليك . واعرف مقدار خيبة املك ، وانت تنتظرين البريد كل يوم دون ان يصلك خطاب مني .

ولكن عزائي انك تشعرين بي ، وانه حتي ولو لم يصلك اي اخبار عني ، فانك سوف تشعرين بكل ما اريد ان اقوله لك ، سواء كتبت او لم اكتب .

وانني اعرف انك تنتظرين مني هذا الخطاب بفارغ الصبر . ولكن ما باليد حيلة .

انني افضل الا اخرج على النظام ، ولم يحدث منذ دخولي الى السجن حتي الآن انني خرجت على النظام مرة واحدة . ومع ذلك فانني اتعرض للتفتيش الآن بكثرة غير عادية ! احيانا في الصباح واحيانا في المساء ! وبعد ان كانت اطعمتي لا تفتش اصبحت تفتش بعناية زائدة ! وحتي حقيبة الملابس اصبحت تفتش بدقة غريبة ! ومع ان النظام المعتاد ان يفتشوا الزنزانة مرة كل اسبوع ، اصبحت افتش احيانا مرتين في اليوم ! واعتبر هذا عناية وعطفا بشخصي لا استحقه !

انني اشعر بأنني لم ارك منذ وقت طويل جدا . واشعر بأنني سيىء الحظ لأنني لا استطيع في هذه الظروف ان اتصل بك باستمرار وان اقول لك انني احس بك كثيرا وان متاعبي هنا لا تساوى شيئا بجوار ما اتصور انه متاعبك . وخاصة أنك تعرضت في المدة الأخيرة لأزمات متوالية

ان كل ما أرجوه من الله هو ان يقوى اعصابك ، فانك اثبت في هذه الظروف التي مرت بك ، انك اكثر من بطلة ، وارجو من الله ان يكون ما فات هو نهاية المتاعب ، وان تشرق الشمس من جديد ..

وان ايماني بالله لم يتزعزع انه يزداد ثباتا ، ويتضاعف يقينا ، وانني مؤمن بان نور الفجر سوف يقترب ، ولسوف يبدد كل هذا الظلام الذى نعيش فيه ، واننا الآن في نهاية العذاب وليس في بدايته .

لقد عشت هذين الاسبوعين في قلق .. قلق اكثر مما عشته طوال الشهور العشرة الماضية . وكان الذى يقلقني ان اشعر انك وحدك ، وانني لا استطيع ان افعل شيئا ، حتى ولو اقول لك كلمة مشجعة .

والآن احدثك عن اخباري .

ان حياتي هنا كما هي . لا تغيير فيها سوى الحر الشديد ، وارتفاع درجة الحرارة التي جعلتني اشعر انني اقيم في خط الاستواء ! ومن حسن الحظ انني وضعت الستائر في غرفتي ، وهذا جعل الجو في الزنزانة محتملا ، ويظهر ان الحل لارتفاع درجة الحرارة ، هو انني سأذهب الى الحمام وآخذ دشا عشر مرات كل يوم ! واعتقد ان هذا هو الحل السعيد لمواجهة ارتفاع درجة الحراة !

وكلما ارتفعت درجة الحرارة اتذكر الأيام التي كانت تتعطل فيها اجهزة التكييف في شقتي في الزمالك ! وعشرات الأجراس التي كنت ادقها لسكرتيرتي لتتصل بشركة كولدير لاصلاح الجهاز ! وكان من عادة التكييف عندى الا يتعطل الا عندما تشتد الحرارة . ويصبح الجو قطعة من جهنم ! ولهذا فأنا اعتبر ان جهاز التكييف عندى في الزنزانة لا يشتغل ، وان السكرتيرة اهملت الاتصال بشركة كولدير ، للقيام باجراء التصليح !

ان نافذتي الصغيرة في الزنزانة هي جهاز التكييف !

وبعد ان كنت اتمشى ساعتين في ردهة السجن الخارجية ، اصبحت بسبب الحر الشديد ، اكتفي بالمشي نصف ساعة ، ثم اعود الى غرفتي امتدد على السرير ولسوء الحظ ان السجن رغبة في الاقتصاد اصبح لا يضىء الكهرباء الا عند الساعة السادسة مساء والضوء في الزنزانة في الصباح غير كاف . ومن المستحيل ان استطيع القراءة في غرفتي قبل ان تضاء

الكهرباء ! ولهذا اقرأ صحف الصباح بجوار نافذة في الدهليز وانتظر الى ان يجيء الليل لاقرأ الصحف الأجنبية والمجلات والكتب .

وقد كنت اود ان اقول لك انني اريد ان ينتهز اخي على كل فرصة ليدافع عن وطننا .

انني احب بلدي برغم كل ما حدث لي . لقد كنت احبها في الماضي والآن اعبدها . ان كل ما اصابني لم يزدني الا عشقا لها ، وتفانيا في الاخلاص لها ، والايمان برسالتها انني اعطيت لبلادي كثيرا ، ومع ذلك اشعر انني لم اعطها شيئا ! انني اعطيتها احلى سنوات عمري . وهي اعطتني مجدا ونجاحا وحبا . اعطيتها كل ما املك ، ومع ذلك احسب ان كل ما اعطيته هو شيء قليل جدا . وكل ما آسف عليه ، ان الظروف التي ادخلتني السجن حرمتني ان اخدم بلادي اكثر واكثر . ولا اقصد انني ساعيش بقية حياتي محروما من خدمتها .

اني اريد ان اعطيها ما تبقى من دمي وحياتي ، ولا يهمني اين اخدمها انني لا يهمني المكان الذي ساكون فيه . كل ما يهمني ان استطيع خدمة هذا البلد الذي احبه .

وانني اعزي نفسي هنا . انني محبوس بغير ارادتي . ولكنني امضيت طوال حياتي محبوسا في مكتبي ! كنت احبس نفسي ! كانت تمضي سنوات وسنوات لا أذهب الى السينما ! لقد كنت اسافر الى الاسكندرية واحبس نفسي في بيتي ، واكتب واكتب لاسجل تاريخ بلادي ، ولم اذهب يوما واحدا الى شاطيء البحر ، كما يفعل الناس الذين يسافرون الى الاسكندرية !

ولقد قلت لهيكل انني احس كأنني مكلف بعمل تحقيق صحفي عن السجون فالصحفي الناجح ، لا يكتب عن السجن من الخارج ، بل يدخل السجن ليقوم بالتحقيق الصحفي من داخله !

وأعود واكتب اليك مرة اخرى ! ان الساعة الآن الثالثة والربع صباحا ، وصوت أم كلثوم ينبعث من راديو بعيد عن السجن ، وهي تغني الوصلة الثالثة من اغنيتها بعيد عنك حياتي عذاب ، ان الصوت يبدو بعيدا جدا ، كأن ام كلثوم تغني من وراء البحار ، ولا تكاد تصل الى الألحان ولا الكلمات . ويظهر ان الصوت يجيء من قهوة في الميدان بقرب السجن ، أو أن احد الجيران اراد ان يشرك المسجونين في سهرته مع أم كلثوم ، واسمع صوت حارسين في فناء السجن يتحدثان . احدهما يقول ماذا نعمل لو ماتت الست دي !

فيرد عليه الآخر ، ويقول : نموت وراها ! وكلمات الأغنية تصل الى

كالهمس . فاذا مر اتوبيس أو سيارة فى الشارع المجاور داس على كلمات الأغنية ، فماتت الكلمات !

ولم استطع الا أن اذكر كيف اننى كنت فى المدة الأخيرة ، قبل القبض على ، حريصا على الذهاب الى حفلات ام كلثوم ، اجلس فى البنوار ، واعيش معها حفلاتها واغانيها ، ويظهر اننى كنت اودعها ! ومازلت اجد لذة فى ان اسمع هذه الأغانى ، واتخيل السهرة ، والناس يصفقون ويهتفون ويستعيدون ، ولقد اصبح لكلمات الأغانى معان اكثر بلاغة مما كانت لها . فإن الأيام تعطى للكلمات نغمات وكأنها ملحن جديد ! !

وفى بعض الأحوال اشعر ان ام كلثوم تغنى لى وحدى ، بلسان الذين يحبوننى واحبهم ، كأنها تبلغنى شوقهم ، أو كأننى ابلغهم على لسانها حنينى اليهم . وقد كنت اشعر ان ام كلثوم معى فى محنتى . سواء قالت ذلك او لم تقل . ولكنى كنت اضع اسمها على رأس الصديقات التى خرجت بها من الحياة . وانت فى محنتك لا تحتاج للذين يمدون اليك يدهم ، بقدر احتياجك للذين يشعرون بك ، حتى ولو لم يفتحوا فمهم بكلمة عزاء ..

ولقد قال لى هيكل :

انه كانت هناك حفلة فى يوم ٢٣ يوليو بعد القبض على بيومين ، وكان هناك عبد الوهاب وقال له الرئيس جمال عبد الناصر : طبعا انت زعلان علشان مصطفى ؟ فقال عبد الوهاب : ابدا يافندم ! المسىء يلقى جزاءه ! واضاف عبد الوهاب انه لم يكن صديقى الا من مدة قليلة ! وقال هيكل للرئيس ان عبد الوهاب كان يأكل عندى كل ليلة ! ولست اعرف اذا كانت هذه الرواية حقيقية أم تشنيعية من هيكل على عبد الوهاب . ولكن الواقع انها صورة كاريكاتورية له ! ولم أتضايق من عبد الوهاب لأنه قال هذا فاننى اتوقع انه يقول هذا فى مثل هذه الظروف ، وانا اعذره اذا بادر بهذا الكلام دفاعا عن نفسه ليرد التهمة الظالمة بأنه صاحبى ! واننى اعتبر عبد الوهاب فى قمة الشجاعة لأنه لم يشتم فى !

ان عبد الوهاب بطبيعته خواف ، يرتعش من اى شىء ، ويذعر من خياله ، فماذا يستطيع ان يفعل فى جو الارهاب الذى تعيش فيه البلاد . لقد كنت اتوقع انه سيقول للرئيس انه لم يسمع باسمى قبل الآن ! !

وفى الوقت نفسه جاءتنى رسالة من احد اصدقائى ذكر فيها حقيقة رد عبد الوهاب .. انه قال لعبد الناصر « اما ان مصطفى مظلوم أو انه اكبر ممثل » والتفت الرئيس الى أم كلثوم وسألها رأيها هامسا فقالت له اننى اعرف مصطفى طول حياته واعرف وطنيته واعرف كيف دخل كل مليم فى

اخبار اليوم ولم ينقل لى هيكل ما قالته ام كلثوم وانما نقله الصديق عن المشير عبد الحكيم عامر ...

والناس كالنقود ، بعضها حقيقي وبعضها مزيف ، واحمد الله على ان الله منحنا نقودا حقيقية ، ولا مانع مطلقا ان يكون فى جيبى عشرة جنيهات ، وبينها قرش تعريفة براني !

وأحمد الله انه اعطانا قروشا كثيرة جدا من حب الناس وعطفهم واحساساتهم النبيلة . وهذا يجعلني احب الناس اكثر مما احببتهم فى اى وقت من الأوقات ، واحس بأن شعبنا طيب حقيقة ، ويستحق كل الحب وكل تضحية وكل اخلاص .

واحب ان اقول لك انني متفائل وانني اشعر بأن أسوأ الفترات قد مرت ، وان الفجر لابد ان يجيء فأنا اشبه براكب قطار امامي خمس محطات للوصول . المحطة الأولى هى الحكم والمحطة الثانية هى المستشفى والمحطة الثالثة هي الذهاب الى بيتي والمحطة الرابعة هي السماح لى بالعمل ، والمحطة الخامسة هى اللقاء مع اخي . ولست قلقا من ان المحطات كثيرة المهم انني اشعر ان القطار يتحرك ، ولا يقف ، ولكنني لا اعرف المسافة بين كل محطة واخرى !

وانني اشعر ان الخمسين يوما القادمة هي التى سيصدر فيها الحكم ، واعتقد ان هذه الايام سوف تمر بسرعة ، فقد مرت قبلها ٣١٦ يوما !

ولقد احسست ان الكتابة الى اخي ليست سهلة . فقد كتبت اليه قبل الآن خطابا طويلا . ولكن الخطاب كان اشبه باستمارة صرف معاش من احد دواوين وزارة الأوقاف ، لابد ان يمر على خمسين امضاء ! وقد انتهى الأمر بتمزيق الخطاب ، لأن المفروض الا اكتب شيئا عن الحياة فى السجن ، ولهذا فان اى خطاب سوف اكتبه الى اخي سيكون خطابا رسميا جافا .. هو سؤال عن الصحة والمراد من رب العباد ! ولا اعتقد ان اخي سوف يسر بمثل هذا الخطاب السخيف ، بل سيتصور عندما يصله انني متضايق ، أو انني تعيس ، ولهذا اكتب له هذا الخطاب السخيف . ولقد فكرت انه خير لى الا اكتب اليه ! ان قيمة الخطاب فى ان يصل ساخنا حارا ، كالخبز الذى خرج من الفرن ، ولكن عندما تمر ايام على الخطاب ، وتتناوله عدة ايد يتحول الى خبز بايت !

ولقد شعرت من رسالتك الأخيرة .. ان اخي يتصور ان هناك مظاهر ضيق اشعر بها ، والواقع انني اسف جدا اذا فهم من كلماتك له انني متضايق . ابدا انني احمد الله على انه اعطاني صبرا جميلا ، وايمانا اجمل من الصبر . ان حياتي فى السجن محتملة وكل الذين معي فى ذهول .

لقوة اعصابى ولثباتى ، ولايمانى العجيب بالله ، وتفاؤلى الذى لم يضعف ولم يتزعزع ابدا . وان لدى من التفاؤل ما يجعلنى اوزعه على الألوف من الاشقياء التعساء الذين أراهم . حتى اصبحت اشبه بسبيل ام عباس ، الذى كان يتوجه اليه الفقراء ليملأوا منه اوانيهم من المياه !

ولا احمل هم نفسى ابدا . اننى احمل هم اخى ، وهمك ، وهم اصدقائنا ، احمل هم الذين احبهم ويحبوننى ، والذى اشعر انهم يتعذبون من اجلى ويشقون لابتعادى عنهم . فانا لست قلقا ابدا على نفسى .. ان كل قلقى عليكم . وكلما سمعت اخباركم شعرت ان جزءا من الحمل الثقيل على صدرى يخف ويتضاءل ، والذين معى فى السجن يحملوننى همومهم ومتاعبهم ومشاكلهم العائلية واحزانهم ودموعهم وآهاتهم . وانا اتحملها بصدر رحب . واشاركهم فيها ، واتعذب لهم ويسعدنى ان اقدم لهم مرهما يخفف جروحهم ، ويقلل عذابهم . واجد سعادة وهناء فى ان أفعل لهم ذلك . وهمومى انا اشعر اننى لا احملها على رأسى ، اننى احس انكم انتم الذين تحملون هذه الهموم ، وتكادون تسقطون تحتها . ولهذا فانا احس بآلامكم واشعر بعذابكم ، ولا اكذب عليكم أو اخدعكم عندما اقول لكم ان حياتى هنا محتملة جدا ، أن كل يوم خير من سابقه ، ولكن عندما احس ان اخى يحبس نفسه فى غرفته اشعر كأنه يحبسنى معه .

فى بعض الأحيان اتصور ان المسجونين فى السجن الصغير اسعد حالا من المسجونين فى السجن الكبير !

فالهموم التى احملها هى كيف تعيشون ؟ ولقد قيل لى اطمئن ، ولكننى لا استطيع ان اطمئن ، بل اننى اخشى انكم فى رسائلكم القادمة معى سوف تكذبون على ، وسوف تقولون ان احوالكم عال ، بينما انتم فى الواقع فى ظروف سيئة . وجوه الزائرين فى السجن صفراء كالحة . وباء الارهاب يشبه وباء الكوليرا ، انا اشفق على الذين يعيشون فى رعب من دخول السجن فهم أسوأ حالا من الذين داخل السجن .

هذه هى الهموم التى احملها فوق صدرى ، اما هم سجنى ، فهو اخف هذه الهموم ، واقلها ألما .

اننى هنا كأننى فى اخبار اليوم . المسجونون تلاميذى وابنائى واصدقائى .

اننا نضحك كما كنا نضحك فى سهراتنا يوم السبت والاربعاء مع اصدقائنا .

علمت نفسى ان احب الزنزانة كما كنت احب شقتى فى الزمالك .. وأعنى بها عنايتى بشقتى وطعامى هو هو ، وربما أحسن ! وقراءاتى هى هى ، واكثر ! وملابسى هى هى .

لا شىء ينقصنى سوى انتم !

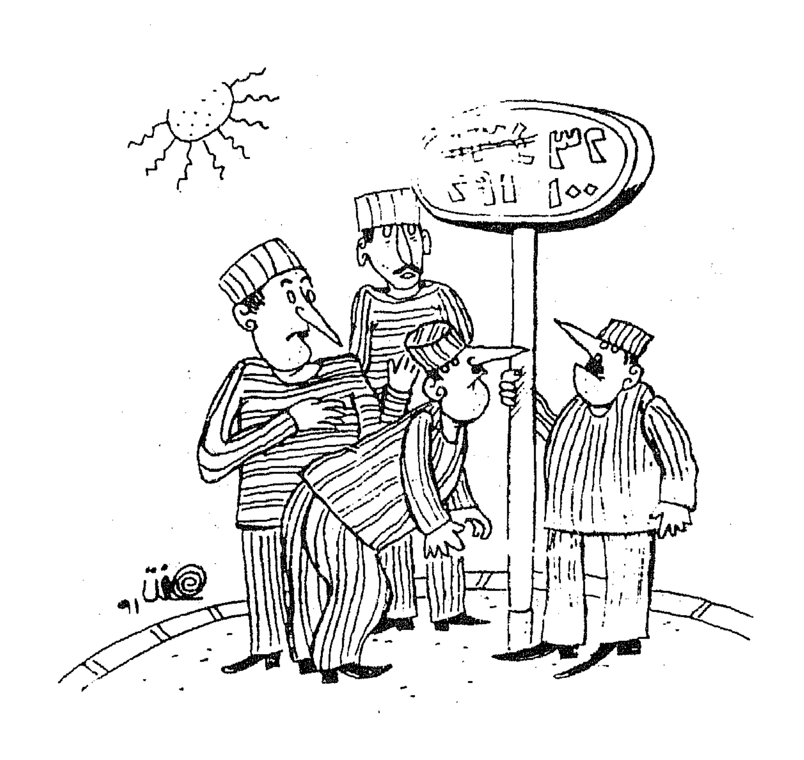
ولا شىء سوى اننى اشعر اننى اصبحت من العاطلين بالوراثة ! فاننى الآن آكل دون ان اقدم عرقا ودما ومجهودا ! انها أول اجازة احصل عليها ! وصحيح انها اجازة طويلة . ولكننى لا اشعر بالأرهاق ، واحتراق الدم والأعصاب ، وهى المشاعر التى كنت احس بها كل يوم وانا اعمل طوال هذه السنوات التى اشتغلت فيها بالصحافة !

انا الآن صحفى من منازلهم ! أو صحفى من سجونهم ! احصل على الأخبار من الخطابات ومن الصحف . احللها وادرسها .. اكتب الموقف السياسى بينى وبين نفسى !

ولكن حياتى ليست فيها مانشتات ولا اخبار مثيرة ! ان المنشيت يجىء مرة كل خمسة عشر يوما فى الزيارة أو فى خطاب يهرب الى . والخطابات اشبه بنوافذ اطل منها على الدنيا كلها ..

والآن اتركك ، راجيا ان يصل اليك هذا الخطاب بالسلامة ! واقبلك من كل قلبى ، والى اللقاء .

● ● ●


٢٣
١٠٠

الرقابة على الخطابات

سجن الاستئناف ١٠ يونيو ١٩٦٦

عزيزتي .. أكتب لك من جديد للمرة الثالثة ! ان ارسال الخطاب تاخر ، فلأنتهز الفرصة لأكتب اليك من جديد . فمن يعرف متى أستطيع الكتابة اليك مرة أخرى . أن شعورى أن الكتابة اليك مقيدة ، تجعلنى لا أستطيع ان انطلق كما أريد .

لقد اعترضوا على الخطاب الذى كنت ارسلته لأخى ، لأن فيه أسماء المسجونين ، وتفاصيل عن حياتهم فى السجن ، وهى كما يظهر أشياء ممنوعة. ولقد قيل لى أن هذا الخطاب تمزق .. وشعرت أن شيئا جميلا هو جزء من حياتى يتمزق ! وحاولت أن أكتب إلى أخى فى حدود اللوائح والقوانين ، فلم أستطيع إلا أن أكتب له سوى جملة بعد السلام والسؤال عن صحتكم التى هى غاية المراد من رب العباد !

وأتصور أنهم أرسلوا خطابى إلى أخى للجهات العليا انهم يريدون أن تكون الخطابات التى أرسلها بالطريق الرسمى تافهة لا قيمة لها . ولهذا يضطر المسجون إلى تهريب الخطابات !

ولقد عدت اقرأ خطابى لك من جديد ، وخشيت ان تتصورى من قراءته اننى متضايق ، وفكرت أن امزق هذا الخطاب ، ولكننى فضلت أن أرسله لك ، وأقول أنه فى لحظات قصيرة جدا أحس باليأس ، ولكن لا يلبث أن يزول ، فان إيمانى بالله يطرد من قلبى جيوش الظلام . ومن هنا فان الدموع هى واحد فى المائة من البسمات والضحكات . فانا لا أشعر بقلق ابدا إلا عندما تنقطع أخبارك ، وعندما أقرأ خطابا من أخى أو من أصدقائى وصديقاتى ، أشعر طول اليوم بسعادة ، وكأننى كنت مدعوا إلى مادبة فاخرة وسهرة من الف ليلة وليلة ! وأنا لا أريد أن اثقل على أخى

بالرسائل اللذيذة الطعم التي يرسلها ، فانني أقدر ظروفه .. ولكني أرجوك ان تبلغيه شكرى عليها ، وفرحتي بها ، وانها تسعدني كثيرا .

وقبل ان انسى ، ان هيكل قال لى انه سيعطى ريتا وصفية مرتب عام ، من مرتبي في أخبار اليوم ، فأكون شاكرا لو سألتهم هل تم هذا ، وتذكير سكرتيرة هيكل بهذا الشأن . لأن شهر يونيو هو الشهر الذى أعتدت أن أدفع فيه للأولاد نفقتهم .

اني أكتب لك هذا والساعة الخامسة صباحا من صباح يوم الجمعة ١٠ يونيو . ترى ماذا تفعلين الآن ؟ لابد انك نائمة ! إن كل شيء هادىء حولى . ان أحد المسجونين ، وهو محام عجوز ، اعتاد أن يوقظ أحد المسجونين الذين يتولون الأذان ، ليقوم من نومه ويؤذن ! وهو يناديه باسمه حتي يستيقظ . ثم يقول له ان الساعة الرابعة . وأنه باق على الأذان ٣٠ دقيقة ! ويطلب منه أن يتعبد وتهجد حتى تجيء ساعة الأذان . ثم يحدث أن تأخذ المؤذن نومة وتفشل كل المحاولات لايقاظه ، فيتولى أحد المسجونين الأذان بدلا منه ! ويحدث أن تدخل مسجون طفيلي بين المكلفين بالأذان ، فيسبق المؤذن ، وفي الصباح تقوم خناقة ، عمن له حق الأذان ، والشروط التي يجب أن تتوافر في المؤذن ، واهمها ألا يكون مجنونا ، وألا يخاف من القطط والفيران !

وصاحبنا الذى يخاف من القطط والفيران يحاول جاهدا أن يدخل مستشفى ! وفي كل يوم يكتشف أنه مريض بمرض جديد . مرة يقول أنه ينزف دما ، ومرة ثانية أنه اصيب بشلل في ساقه ، ومرة ثالثة أنه مصاب بسرطان في الرأس ، والأطباء يعرفون أنه يدعى المرض ، ويصفون له الأدوية المناسبة .. التي تنتهي بأن يلازم دورة المياه باستمرار !

والسجن أشبه بسيارة أتوبيس ، مزدحمة كما يحدث في أزمة المواصلات . ركاب يصعدون وركاب ينزلون . ولا يكاد ينزل راكب حتى يتشعبط عشرة ركاب ! وهو مخصص للمسجونين تحت التحقيق ، أو الذين لم تصدر عليهم أحكام بعد . ولهذا فان الركاب قلقون ، لا يعرفون مصيرهم ، ولا يعرفون أى محطة سينزلون فيها .

وهو في الوقت نفسه أشبه بمحطة مصر . فانه مخصص للتراحيل ، يمر عليه المسجونون في طريقهم إلى السجون الأخرى في أنحاء الجمهورية ، ولهذا نحن نرى مساجين في طريقهم إلى أبوزعبل وطره ، أو إلى سجن المنيا أو الزقازيق أو سوهاج

وأغلب المتهمين هم متهمون في قضايا المخدرات ، وهم يمثلون أغلبية كبيرة من المسجونين وهم يقولون أن السجون الأخرى أنظف كثيرا من هذا

السجن . ويقولون أنه عربخانة ، وليس سجنا ، ولكن ميزته أنه في وسط البلد ، وأن المسجونين فيه هم دون سواهم الذين يتناولون طعامهم من بيوتهم ، وأن الزيارة فيه مرتان في الشهر . فهنا يشعر المسجون أنه على اتصال يومى بالحياة في الخارج ، ولا يحس أنه منقطع عما يحدث وراء الأسوار من أحداث وأخبار .

ويجيء المسجونون إلىّ ، ويستشيرونني في قضاياهم ، وفي ظروفهم . وقد حدث أن جاءني موظف شاب مختلس ، وقال أنه اختلس ألف جنيه ، وأنه سيقدم إلى قاض أعتاد أن يحكم على المختلس بسبع سنوات سجن مع الشغل . وأن موظفا معه في العنبر حكم عليه بسبع سنوات لأنه اختلس ٣٠٠ جنيه . وقال ان كل دفاعه هو أن الشيطان لعب برأسه فسرق المبلغ ! قلت له أن هذا الدفاع لا يقنع أحدا . وطلبت منه أن يروى قصته كاملة .

وإذا بقصته هى أن والده يبلغ من العمر ٦٥ سنة . كان يشتغل ممرضا ، وعند احالته للمعاش ظهر أن عهدته ناقصة ، لان الأطباء الذين كانوا في المستشفى كانوا يأخذون أدوات المستشفى ولا يعيدونها وقدرت وزارة الصحة الأدوات الناقصة بمبلغ ٦٠٠ جنيه . وخشى الابن على أبيه . فاختلس المبلغ ليسدد هذا العجز ، وينقذ والده ، الذى ينفق على زوجته وسبعة أولاد .

فقلت له : يجب أن تقول هذه الحقيقة أمام القاضى .

قال : ولكنى أخشى على والدى .

قلت : ان هذا لن يضر والدك فهو محال إلى المعاش .. وأقنعته بأن يقول للقاضى الحقيقة التى اخفاها .

وما كاد يسمع المستشار القصة الحقيقية ، حتى تأثر كثيرا ، وحكم عليه بثلاث سنوات مع السجن البسيط ، وقد أمضى منها في السجن حوالى السنتين ، وسوف يفرج عنه بعد بضعة شهور .

وقد جاءنى بعد الحكم ، وهو يحاول أن يقبل يدى ، ويقول لولا نصيحتك لرحت في داهية ! .. انني لن انسى لك هذا الفضل مدى الحياة .

ولقد فرحت بأننى استطعت أن أمد يدى لانقاذ غريق !

قلت له أن الحقيقة هى طريق النجاة .. ولكنها كذلك أمام القاضى العادى لا أمام الفريق الدجوى !

وهكذا ترين أن حياتى مليئة . ان مآسى الناس ، ومشاكلهم تحتل أغلب وقتى ، وحتى أصبح يومى لا يتسع للتفكير في مشكلتى ! وأنا أحس بسعادة عندما أستطيع أن أخفف عذاب واحد من هؤلاء المعذبين . وأن أقدم نصيحة أو رأيا ، أو كلمة طيبة لمظلوم أو ضحية من ضحايا المجتمع .

ومن المشاكل التى عرضت علىّ ، أن أحد زملائى المتهمين كان عريسا مدة ٢٨ يوما قبل القبض عليه . ثم مضت عليه أكثر من عشرة شهور فى السجن . وهو ليس لديه مرتب تعيش منه زوجته . وقد أرسلت اليه تطلب الطلاق لأنها لا تستطيع أن تعيش جائعة ، بعد أن باعت كل شىء تملكه .

وقلت له أن زوجته معذورة . انه أعطاها ٢٨ يوما من السعادة ، واعطته هى ٢٨٠ يوما من الوفاء والصبر . فلا يجوز له أن يلومها ، أو يحقد عليها . بل عليه أن يقول لها أنها انتظرت عليه أكثر مما يجب ، وأن يحاول مقابلتها ليشكرها لا ليلعنها كما يريد أن يفعل !

وسمع المسجون نصيحتى ، وقابل زوجته بهذه الروح ، وما كادت تسمع حديثه ، حتى قالت له انها عدلت عن طلب الطلاق . وعاد إلىّ يرقص ! ان الكلمتين الحلوتين اللتين قالهما لها كانتا أشبه بزجاجة من أكسير الصبر أسكرتها ! وقالت له انها بعد أن سمعت هذه الكلمات ، سوف تقاوم ، وسوف تبحث عن عمل ، وسوف تبقى تنتظره ٢٨ شهرا او ٢٨ سنة !

هذه الأشياء الصغيرة تملأ حياتى سعادة وأملا ! اننى كلما رأيت ابتسامة على شفتى يائس ، أشعر أننى أنا السعيد .. فالسعادة مرض « معدى » كالشقاء تماما !

بعض أصدقائى لا يعجبهم اننى أقاوم الظلم بالهمس . يقولون أن الرسائل التى أهربها إلى هنا تصل إلى عدد محدود جدا من الناس . وبعض الذين يتلقون رسائلى لا يجرؤون على الهمس بها . أنا أعذر الخائفين الراجفين المرعوبين .

* * *

الارهاب قوى وهم ضعفاء . البطش عملاق وهم أقزام . ومع ذلك سوف استمر أهمس بالحقيقة حتى ولو همست وحدى ! همسة المظلوم اليوم قد تضيع فى زئير الظالم . ولكن الحقيقة سوف تتوالد مع الأيام . وسوف يصبح الهمس رعدا ! الذين يتوهمون انهم يحاربون الظلم بالاستسلام يخطئون . الطوبة فى يد المظلوم أقوى من المدفع فى يد الظالم . أنا شخصيا خلقت لأقاوم . لذتى فى أن أقاوم . حياتى فى أن أقاوم . والذين يخافون علىّ من المقاومة ، ويخشون أن تضبط رسائلى التى أتحدث فيها عن المظالم والتعذيب والتلفيقات التى تعرض لها زملائى هنا ، لا يعرفون أن الموت عندى أهون من الاستسلام . ماذا سوف يفعلون بى أكثر مما فعلوا ! سيقتلوننى هنا ، ويقولون أننى حاولت الفرار كما فعل حمزة البسيونى فى

السجن الحربى بكثيرين أنا لا أخاف أن أموت كل ما اخشاه أن تموت الحقيقة . لا أستطيع فى زنزانتى أن أنسى أننى صحفى . ومهمة الصحفى أن ينشر الحقيقة وسوف استمر أزاول مهنتى ، حتى ولو كان لى قارىء واحد . الذى يسعدنى أن عددا من الأجهزة يراقبنى فى السجن . التعليمات تقول أنه يجب التضييق علىّ والتشديد علىّ ومراقبتى بالليل والنهار ! بعض الضباط يتصور أنه سيترقى إذا ضبط رسالة مهربة منى ، أو رسالة مهربة إلىّ ، ومع ذلك استطاع الله ان يطمس عيون كل هؤلاء فلا يروا ، وأن يغلق عقولهم فلا يتصوروا ماذا يستطيع أن يفعل الكاتب إذا وضعوه داخل زنزانة ! ألم أقل لك أن الله معى ؟



الحقيقة المسجونة

سجن الاستئناف فى ١٨ يونية سنة ١٩٦٦

عزيزتى .. لم أكتب لك من وقت طويل . اننى أتصور أنه مضت علىّ عدة أشهر لم أتحدث اليك . ولكن ما باليد حيلة كما يقولون . أو أن العين بصيرة واليد قصيرة ! فان يدى لا تستطيع أن تمتد خلف الأسوار لتحمل لك هذه الرسالة . ومن أقسى الأمور على الكاتب أن يكتب وهو لا يعرف هل ستصل الرسالة إلى المرسل اليه أم لا . فان حالى الآن يشبه حالى عندما قامت الحرب العالمية الثانية ، وأعلنت الرقابة ، وأصبحت أجلس فى مكتبى بآخر ساعة لأكتب مقالاتى ، ولا أعرف هل ستصل إلى القراء ، وترى النور ، أم يقرأها سوى الرقيب ! وأذكر أننى فى تلك الأيام ضقت بهذا الحال ، وفكرت فى اعتزال الصحافة .. ولكنى لا أستطيع أن اعتزل الكتابة اليك .. فأنا أريد أن أكتب اليك ، وأن أكتب كثيرا ، ولكنى أشعر أن يدى ليست طليقة . فهناك موضوعات محرمة علىّ الكتابة فيها ! محرم علىّ أن أكتب عن زملائى فى السجن . ومحرم أن أكتب عن نظام السجن .. ومحرم أن أكتب اقتراحات لتحسين السجون كل شىء محرم سوى ارسال ما أريد من التحيات والأشواق وأن صحتى على أحسن ما يرام . بينما اذا أحب أن أفتح لك صدرى . أن أذكر كل شىء عن حياتى هنا . لأننى أعرف مقدار شوقك أن تعرفى كل شىء !

وهكذا عندما أجلس لأكتب ، لا أكاد أخط سطرا حتى أكتشف اننى أخرج على التعليمات ، فأعود وأمزق الورقة ، وأن أبدأ من جديد . فأنا مثلا لا أستطيع أن أكتب لك أن أحد زملائنا هنا اصيب بالتيفويد . ولكن الأطباء مكثوا شهرين يعالجونه على انه مصاب بالانفلونزا . إلى أن اكتشف المستشفى أنه مريض بالتيفويد ، فنقل إلى مستشفى الحميات ! وعلى الأثر

اصبت بحالة ذعر ! فان المريض كان يحضر إلى غرفتى ، ويجلس على سريرى ، وأذهب إلى غرفته ، وأمشى معه فى الدهاليز . ولكنى أمسك الخشب لقد مر حوالى أسبوعين على اكتشاف المرض ، ولم أشعر بشىء !

هنا يريدون أن يضعوا خطابات المسجونين فى زنزانات يصنعها الخوف والرعب . يريدون أن يقيدوا كلمات المسجون بسلاسل وأغلال خشية أن تهرب الحقيقة إلى خارج السجن فيعرف الناس حقيقة المظالم التى يتعرض لها المسجون السياسى فى بلادى .. أنهم هنا لا يخافون من القاتل أو رئيس عصابة اللصوص أو سفاك الدماء . هؤلاء هم فى بلادنا أعداء القانون . أما نحن المسجونين السياسيين فأعداء الدولة والدولة فى بلادنا أهم من العدالة ومن القانون أنهم يذعرون أن تخرج الحقيقة إلى الناس فيعلم الناس عن الجرائم التى ترتكب فى التحقيق ، والمذابح التى تحدث فى السجون .. والعدالة التى تداس بالأقدام . وهم يتصورون أنهم بالتضييق على خطاباتنا سوف يمنعون الحقيقة أن تخرج للناس ، وتوقظ النائمين وتنبه الغافلين وتفتح عيون الحالمين . ولكنى مؤمن أن الحقيقة سوف تخرج إلى الناس ، مهما طال حبسها فى زنازين الارهاب ! ولقد امتد التضييق إلى اتفه الأمور . كل شىء أصبح هنا سرا حتى اسم الحارس .. وأنا مثلا لا أستطيع أن أقول لك أنه قيل لى من شهر أننى سأنقل من هنا خلال عشرة أيام . ومرت عشرة أيام . وعشرة أيام ، وعشرة أيام ، ولم يحدث شىء ! ولكنى أعرف أن حبال الصبر طويلة ، ولعلك تذكرين اننا كنا عندما أخرجنا من أخبار اليوم فى نهاية ١٩٦٠ نتصور اننا سنعود إلى أخبار اليوم بعد شهرين ، فلم نعد اليها إلا بعد ١٦ شهرا .. ومع ذلك فاننى لست متشائما ، مازلت أتصور أن سببا سيحدث قبل ٢٣ يوليو ، أو لمناسبة ٢٣ يوليو ، وأن التصديق على الأحكام سوف يتم فى حوالى ذلك التاريخ . فإذا لم يحدث هذا فمعنى ذلك أن الموقف سيبقى كما هو إلى ما بعد فصل الاجازات .

ولقد تذكرت حديثك لى فى الرسالة الأخيرة من أن حماة فائق السمرائى قالت انه متفائل جدا ، وأن تفاؤله انتقل إلى قلبك ، وأنا أقابل كل هذا التفاؤل بحذر لأن العدالة فى اجازة ولم تعد من اجازتها بعد .. واننى أضيع أغلب الوقت فى القراءة ، وأقرأ الآن مذكرات ديجول ، وانتهيت من قراءة مذكرات طبيب تشرشل ، وانتظر بفارغ الصبر مذكرات ماكميلان . ولقد خطر ببالى أن أملأ وقتى بكتابة مذكراتى ، ولكن عدم الاستقرار ، وعدم تمتعى بحرية الكتابة ، وعدم وجود مراجع ، جعلنى أعدل عن الفكرة . وقد فكرت أن أكتب بعض القصص ، ولكنى عدلت للسبب نفسه ،

وأتصور أن أصدقائى خارج السجن يتصورون أننى سأخرج من السجن أحمل عشرات الكتب والقصص والمذكرات ، وسوف يصابون بخيبة أمل ، عندما يعرفون أننى لم أكتب سوى خطابات . وفى بعض الأحيان أشعر اننى نسيت الكتابة ! ولكن كثرة الموضوعات والأفكار التى فى رأسى تطمئننى إلى انى مازلت كما أنا !

ولقد بدأ موسم الصيف فى السجن . وفى هذه الأيام اعتدت أن أستأجر بيتا فى الاسكندرية وقد رأيت أن من المناسب تحويل زنزانتى إلى مصيف ! ولهذا أجريت تعديلا فيها . فأرسلت معاطفى إلى البيت ، ودهنا حائط الزنزانة بالجير .. ووضعت البطاطين تحت المرتبة . فأصبحت مريحة أكثر من ذى قبل . وعدلت عن أن استحم فى الغرفة ، فأصبحت أخرج فى الصباح ، واستحم فى الحمام العمومى ! وكنت أخجل فى اول الأمر أن أقف عاريا ويدخل المساجين ، ثم لم ألبث أن تعودت على هذا ، وأتبادل الحديث مع المسجونين ونحن تحت الدش أو هم فى إلتواليت .. وكل هذا يجرى فى غرفة واحدة !

وأطلقت على اسم الدهليز الداخلى فى السجن ، أمام الزنزانات اسم « الكورنيش » وأصبحت أمشى على هذا الكورنيش باستمرار وأتخيل ان الزنزانات هى أكشاك الاستحمام ، وأن المساجين أنصاف العرايا ، هم السابحات الفاتنات على البلاج !

ويظهر أن المسئولين فى السجن قرروا الاحتفال بقدوم فصل الصيف أيضا فقد قيل لنا أنه صدرت التعليمات بأن تمنع فسحة المسجونين السياسيين فى حوش السجن الخارجى ، لأن أهالى المساجين يروننا ، وأن تكون الفسحة فى حوش خلفى مخصص للزبالة ! وهو حوش صغير جدا يمشى فيه الذباب على هيئة استعراضات وهذا ما يجعلنى أتصور أننى لن أنزل فى الفسحة أبدا ، ولن أتضايق من هذا ، فاننى بسبب شدة الحر ، أصبحت اختصر سيرى فى حوش السجن من ساعتين إلى نصف ساعة . وأنا أعزى نفسى بأن هذه التضييقات الصغيرة هى دليل على أن الفرج قريب . وأحمد الله أننى استطيع دائما ان الائم بين نفسى وبين التغييرات الاضطرارية ، فأستطيع بذلك أن أحول الفسيخ إلى شربات ! ومادام عندى السجائر التى أدخنها ، والأطعمة التى أريدها ، والصحف التى اقرؤها ، والملايات النظيفة التى أنام عليها ، وملابسى الداخلية التى أغيرها كل يوم ، فاننى أستطيع أن أضحك ، وأحلم ، وأتخيل ، وأتفاءل ..

وفى بعض الأحيان أقول لنفسى الحكمة التى تقول « لو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » وأعزى نفسى بأن أقول ربما أن هذه الحياة التى

أعيشها هنا هى أحسن كثيرا من الحياة فى سجن آخر .. فأنا أعيش الآن فى مفترق طرق . وقد تجىء يد وتدفعنى إلى الحياة أحسن ، أو تجىء يد وتدفعنى إلى حياة أسوأ . ولكنى مع ذلك أعتقد وأتصور أنه حتى لو حدث أسوأ الأمور ، فان هذا سيكون شيئا مؤقتا ، وأن النهاية المؤكدة ، أن الفجر سوف يجىء بعد الظلام . وهذا الايمان المطلق ، يجعلنى احتمل أى شىء ، ولا تصدمنى الصعوبات ، أو التعليمات المشددة .

ومن الطريف أنه حدث فى هذا الأسبوع حادث طريف ، فقد طلبت مقابلة المأمور ، فعملت أنه فى الخارج ، وعندما عاد من الخارج أرسل فى استدعائى . وجاء الحارس يطلبنى لمقابلة المأمور . وما كاد زملائى فى الدور يعلمون بهذا حتى اصيبت بطونهم بالمغص والاسهال ! لقد تصوروا أن الأحكام صدرت ، واننى استدعيت لابلاغى حكمى ، لأن قضيتى هى الأولى . وبعد أن انتهت مقابلتى للمأمور صعدت وأنا ابتسم ، فلما أروا ابتسامتى أخذوا يصرخون : براءة براءة ! وعندما أخبرتهم بالحقيقة لم يصدقوا ! وتصوروا اننى أخفى عنهم الخبر !

وكلما ازداد الجو حرارة ، وطالت المدة تكهربت الأعصاب ، ولكنى أحمد الله أن أعصابى بشهادة الجميع ، لا تزال أقوى الأعصاب . واننى قادر أن ابتسم وسط هذه الكآبة ، وأن انقل تفاؤلى إلى قلوب كثيرة هزها السجن ، وحطمتها الوحدة ، وعصرها القلق .

والرسائل التى أتلقاها منكم أعيش عليها ، حتى تجىء الرسالة التالية ، وأشعر بألم أننى لا أستطيع أن أكتب لكم ردا على كل رسالة . ولو كان الأمر بيدى لكتبت اليكم فى كل يوم . ولكنى أجد كأن خطاباتى فاضية . لا شىء فيها ، لا ترد على أسئلة . ولا تحمل أخبارا جديدة . لقد سررت كثيرا عندما علمت أن احسان عبدالقدوس عين رئيسا لأخبار اليوم ، ومع أن أخبار الصحافة تصل إلىّ بانتظام ، إلا اننى استطيع أن أعرف أخبارها من قراءة الصحف . وقد فهمت من هذه التعيينات ، وتعيين ناصر فى الأهرام . أن مسائل الصحافة كانت موضع بحث ، وكنت أتوقع تعيين رئيس تحرير جديد لآخر ساعة . وأتصور أن الذى عرض على احسان فى أول الأمر هو رياسة تحرير آخر ساعة ، ولكنه فضل أن يكون رئيس تحرير أخبار اليوم . وأرجو أن يكون بعد هذه التغييرات بداية نهضة فى صحافتنا ، فاننى لا أزال أشعر انها فى حاجة إلى دفعة قوية . وأنه يجب أن تتحرك إلى الامام .

ولقد ذهلت لأننى أقرأ أشياء هامة فى الصحف الأجنبية ولا أجد فى صحفنا شيئا منها . ولكنى أعتقد أنه مع الوقت سوف تنتصر صحافتنا على هذا الجمود وهذا الكسل !

صحافتنا فى حاجة إلى الحرية أكثر من حاجتها إلى الحبر والورق ! كان المحرر يكتب فى الماضى وهو يتجه إلى الشعب ، أصبح الآن يكتب وهو يتجه إلى الحاكم ! الشعب كان يستطيع أن يرفع مرتب الكاتب باقباله على ما يكتب ، ويخفض مرتبه إذا انصرف عنه . أصبح الحاكم الآن هو الذى يعين الصحفى ويرفته ، هو الذى يختار رؤساء التحرير ، هو الذى يحكم على الكاتب بالحياة أو الموت ! ولقد كانت عندنا جريدة « وقائع رسمية » واحدة ، والآن أصبح عندنا أربع جرائد تشبه « الوقائع الرسمية » بأسماء مختلفة ! ان الذين أطفأوا الأنوار فى شارع الحكم تصوروا أنهم بهذا الظلام الذى نشروه جعلوا الحاكم حرا يفعل ما يشاء بغير رقيب ، وأنا أعتقد أنهم ارتكبوا فى حقه خطيئة كبرى . ان هذا الظلام سيؤدى به إلى الاصطدام أو إلى الوقوع فى « الحفر » التى لا يراها فى الظلام ! ولن يضيئوا الأنوار قبل أن يسقط الحكام فى الحفرة !!

وإلى اللقاء .



أرتفـع مســتوى الســجن

سجن الاستئناف
فى ٧ يونيو سنة ١٩٦٦
عزيزتى

عندما تصلك هذه الرسالة يكون قد مضى على فى السجن حوالى العام ! ان الاحداث التى مرت بى جعلت هذه الحياة تمضى بسرعة ، ولكننى احمل همكم انتم ! انتم الذين قطعتم هذا العام فى ألف عام ! ان المشوار سوف يطول . فبعد يوليو ستجىء اجازات الصيف ، ومعنى هذا ان المسائل قد لا يبت فيها قبل شهر اكتوبر أو نوفمبر . وعلى كل حال فمهما حدث فاننى استطيع الاحتمال . ومستعد لأسوا الاحتمالات والفروض . وايمانى بالله لا يتزعزع ، بل أنه يزداد يوما بعد يوم . وكل الذى اتمناه ان يمنحكم الله قوة احتمالى ، وقوة ايمانى ، فأننى احمل همك اضعاف ما أحمل همى ، وان ثقتى بان الله لن يتخلى عنا تجعلنى مطمئنا كل الاطمئنان الى المستقبل ، مؤمنا بأن الغد سوف يحمل لنا السعادة والحرية.

وكلما ضاقت الامور داخل السجن احسست بأن الفرج يقترب ، فكلما اشتدت الازمة انفرجت . وكلما اظلم الليل اقترب موعد اذان الفجر . ولقد حدثت تغييرات فى نظام السجن . فبعد ان كانت الزنزانه تترك مفتوحة من الصباح الى الساعة السادسة بعد الظهر اصبحت تغلق على المسجونين السياسيين اغلب الوقت . وبعد ان كنا ننزل الى ردهة السجن الخارجية ساعة فى صباح كل يوم اصبحنا ننزل نصف ساعة فى الصباح ونصف ساعة بعد الظهر فى ردهة خلف السجن مخصصة للزبالة ! ونفتش كل مرة عند دخولنا فى الفسحة عند خروجنا من الفسحة ! وبعد ان كانت غرفنا تفتش مرة فى الاسبوع اصبحت تفتش مرة كل يوم ، واحيانا تفتش مرتين فى

اليوم . وقيل في تبرير تفتيشنا قبل الفسحة ان بعض المسجونين السياسيين اعطوا خطابات لبعض الزائرين في اثناء الفسحة . ولقد تعودت ان احترم التعليمات ، ووضعت لنفسي قاعدة والا اعترض على أي شيء ، فما دمت لم اعترض على السجن فلا يجوز ان اعترض على تعليمات السجن ، فالذي يصاب بالسرطان لا يجوز له ان يشكو من دمل أو فسفوسة او جرح اثناء الحلاقة !

وبعد ذلك سمعنا ان هناك اقتراحا بنقلنا من سجن الاستئناف الى سجن القناطر .

وعيب سجن القناطر انه سوف يكون بعيدا ، والعيب الثاني اننا عرفنا الانظمة هنا ، وعرفنا المسئولين وطباعهم ، وتعودنا عليهم وتعودوا علينا . ولكن يقال ان سجن القناطر اوسع كثيرا من هذا السجن ، وبه حدائق ، وفيه حوش للعب الكرة ، وصالة للسينما ومكتبة . ويقال كذلك انه انظف من هذا السجن الذي كان يشاركنا فيه الى وقت قريب مسجونو التسول . فقد كان البوليس يجمع المتسولين ويضعهم هنا ، وكان عددهم يصل الى المئات ، ويكونون الاغلبية بين المسجونين .

ولم يتقرر بعد شيء في شأن هذا الاقتراح . وسوف تظهر نتائج هذا الاقتراح في خلال اسبوع او اسبوعين . واني آمل ان يتقرر نقلي الى المستشفى قبل ان يتقرر النقل الى سجن آخر ، وكفى الله المؤمنين شر السجن الثالث !

وان الحر الشديد بدا يدخل الى الزنزانة . واصبحت اغرق في عرقي . ولهذا فانني استبدل بيجامتين في الليلة الواحدة . ولكن بقي يومان في شهر يونيو . وسيبقى ٦٠ يوما بعد ذلك في الصيف ، وممكن احتمالها كما احتملنا الايام الماضية . والحديث عن الحر ، وازدياد الحر ، يضيف موضوعا جديدا الى مواضيعنا التي قتلناها بحثا من كثرة التكرار ، ويمكن ان نعتبر الحر نوعا من التغيير في حياة مملة لا تتغير ابدا ، ومع ذلك فان اليوم يمضي بسرعة ، فان لدى اشياء كثيرة اقوم بها ، واشخاصا كثيرين اتحدث معهم ، وقد ارتفع مستوى السجن ، بسبب كثرة عدد الموظفين ومديري الشركات واعضاء مجالس الادارة الذين يدخلون السجن الآن !!

واني آسف على انني لا استطيع الكتابة لك بانتظام . أن الكتابة ليست سهلة . أنها مليئة بالتعقيدات . وأشعر ان كتابتي لك تمر بكثير من الايدي . ولهذا عندما اجلس لاكتب اشعر كان يدي مقيدتان . لا تستطيع يدي ان تنطلق وتكتب عشرات الصفحات كما تريد ان تفعل وتتمنى ،

ولكنى مع ذلك اشعر انه سيرضيك ان اكتب لك ولو سطرين ! والسطران يساويان كتابين كاملين . فلقد عودتنى ان تعرفى شعورى ، واحساسى دون ان افتح فمى . ولكن يهمنى ان تعلمى ان حالتى طيبة ونفسيتى طيبة وايمانى قوى . واعتقادى لا يتزعزع بأنه لا بد ان هنلك حكمة الهية ، وفائدة حقيقية فى الظلم الذى وقع على . فكل يوم يمضى يزيدنى اعتقادا بأننى خدمت بلدى ، وانى قدمت لها خدمات اكثر مما هو مطلوب منى كمواطن ، وقد تكون هذه هى غلطتى الوحيدة ، ولكننى احببت بلادى لدرجة اننى شعرت ان واجبى ان اقدم لها اكثر مما تطلبه منى . وكنت اتعذب عندما ارى الوف الناس يتفرجون ولا يعملون شيئا لها . واعجب لهؤلاء الذين يجلسون على الشاطىء ولا يمدون ايديهم لبلادهم فى أثناء العاصفة . فاذا كنت غرقت وانا احاول ان اقدم مساعدة لبلادى ، فهذا شىء لا يضايقنى . بل اننى آسف ان ليست لى اكثر من حياة واحدة اقدمها لبلادى . ما أشبهنى برجل رأى المرأة التى يحبها تتعرض للغرق ، فألقى بنفسه فى البحر لينقذها ، وبينما هو يحاول ان يحملها على ظهره ، مست يده ثوبها ، فقدموه الى المحاكمة بتهمة فعل علنى فاضح ، ونسوا انه عرض حياته للموت من أجل انقاذها .

ولقد وصل الى هنا احد موظفى شركة الاسوشيتدبرس ، وهو متهم باختلاس مبلغ ٤٠ الف جنيه ، وكان يعمل مديرا للشركة . ويقول ان كل الصحفيين الاجانب الذين كانوا يترددون على الوكالة كانوا يقولون أنهم متأكدون اننى برىء . ولقد سررت أن هذا هو شعور الرأى العام الأجنبى ، بعد أن عرفت أن الرأى العام فى بلدى يؤمن ببراءتى . ومهما حدث فان الذى يهمنى هو التاريخ . اننى لا يهمنى اقوال رجال السلطة ، ولكن الذى يهمنى ان يقول التاريخ الحقيقة كاملة . وارجو أن تكتبى ذات يوم هذا التاريخ ، أو أن تعيشى حتى تقرئى ما يقوله التاريخ . واننى اتصور بغير غرور ، انه ستظهر فى يوم من الأيام ، كتب بعدة لغات ، ستذكر قصتنا ، وتنشر تاريخنا ، وهذا عندى يساوى أن أسجن . اننى اشعر أننى تمتعت بحياتى كما لم يتمتع بها أحد . حققت انتصارات لم يحققها احد . قدمت لبلادى خدمات لا يتصورها أحد . ولقد حرصت دائما أن أكتمها ، ولا أفاخر بها ، ولا أتحدث عنها ، ولهذا فاننى مطمئن أن التاريخ سوف يتحدث عما لم نتحدث عنه . سوف يتحدث عن دورنا فى تأييد ثورة ٢٣ يوليو . كيف حاربنا التدخل البريطانى للقضاء على الثورة . كيف وقفنا مع عبدالناصر فى أزمة مارس . كيف قمنا بدور هاد فى

مفاوضات الجلاء الأولى ، ومفاوضات الجلاء الثانية . كيف لعبنا دورا في تأليب الرأى العام العالمى ضد هذا العدوان . كيف قام أخى باتصالات مع حزب العمل البريطانى ليقاوم العدوان . كيف قمت بجهود ضخمة من اجل المعونة . وعشرات المواقف الأخرى المعروفة والمجهولة . فاذا نسيها الجيل الحاضر أو تناساها ، فان التاريخ لا يمكن ان ينساها . او يتناساها .

لقد تصورت اننى اخدم بلادى بالاتصالات التى كنت اقوم بها بأمر الرئيس ، لم اذع سرا واحدا ائتمنت عليه . ويكفى اننا عرفنا سر تأميم قناة السويس قبل اعلانه بأيام ، ولم يعرف به مخلوق .. انا وعلى أمين والدكتور سيد آبو النجا .



التليفونات لا تدق !

سجن الاستئناف

فى يوم الثلاثاء ٢٨ يونيو سنة ١٩٦٦

عزيزتى ..

الظلام يودع النور . كأنهما يتعانقان . فى حب وحنان . واتطلع من نافذة السجن الى السماء فأرى النجوم تتلاشى وتغيب . بعد أن سهرت طوال الليل تحرسنا . لقد جاء دورها لتذهب وتنام . تحمل معها دعواتنا واحلامنا وزفراتنا وتنهداتنا . وأشعة الشمس الأولى تتساقط على الارض ، والارض تشرب هذا الشعاع بلذة وباسترخاء وببطء وتمهل ، كانها شفتا شارب خمر ، يستطيب طعم النور فى نشوة وكأنه لا يريد أن يفيق !

ويرتفع صوت المؤذن يدعو الناس الى الصلاة . ويؤذن قلبى يدعونى للكتابة الى من أحب . فالكتابة الى الحبيب نوع من الصلاة والدموع التى يسكبها المسجونون اشبه بالضوء والزفرات والتنهدات وهى دعوات صامتة فى معبد الحب . وكما ان الصلاة شىء مريح جميل ، يهدىء اعصاب المؤمن ، يزيل اضطرابه ، ويحمله فوق السحاب ، يبعده عن لعنة الأرض ومتاعبها . فإن كتابة المحبين تريحهم . وتهدىء اعصابهم . وتزيل اضطرابهم ، وتحملهم الى عوالم جديدة من الاحلام . وكما ان الطفل عندما يحس الرعب من الوحدة يجرى نحو أمه ، ويدفن رأسه فى حجرها . فان العاشق فى حيرته ووحدته يسرع الى الورق يدفن فيه رأسه ، ويشعر فى هذا الورق الذى يكتبه الى الحبيب بنفس الراحة والهناء والاطمئنان الذى يشعر به الطفل وهو يضع رأسه فى حجر أمه .

ان هذه اللحظات من الفجر صامته ، ولكن القلوب تتكلم فيها اكثر مما تتكلم فى النهار والليل .

انها لحظات لذيذة حزينة . تصل فيها الذكريات والأحلام . كأنها مطار فى لحظة زحام . طائرات تهبط وطائرات تطير ! فالذكريات هى هبوط على

الأرض ، والأحلام هي صعود الى السماء ، وفى اللحظات هذه احس فى قلبى بنفس الحركة التى نجدها فى المطار ..

أفكار تدخل وتخرج . وتصعد وتهبط . وتصل وتطير ! وبعض الافكار لا تعرف بعضها كالمسافرين . وبعضها تحمل اثقالا كالحمالين . وبعضها أشبه بمهربات تفلت من جمرك الواقع وبعضها تتوقف لحظات للتفتيش !

وفى بعض الاحيان أقارن حياتى بين الماضى والحاضر . الدوامة التى كنت اعيش فيها . والهدوء الذى اقيم الآن فيه . التليفونات التى لا تكف عن الرنين .

كان على مكتبى خمسة تليفونات ومع ذلك لم تكن تكفى .. واليوم مضى على حوالى العام لم اسمع رنين جرس التليفون ! لقد كنت فى الماضى اتوسل الى الاجراس أن تتركنى خمس دقائق فى هدوء ، واضطر الى رفع السماعات حتى استطيع ان افكر . والآن رفعت السماعات كلها ، واصبح لا عمل لى الا التفكير ! والتفكير شيء مضن ومرهق ومتعب . ولكنى أحمد الله اننى لا أحمل على رأسى الآن سوى همومكم وهمومى . بعد ان كنت احمل على رأسى هموم البشر أجمعين . كنت أشعر اننى محاصر بالأحداث . لا استطيع أن أفلت منها ، كنت سجين عملى . كنت أحلم بعملى طوال الليل واستيقظ فزعا خشية ان أكون تأخرت عن موعد الذهاب الى مكتبى ، أو أن شيئا حدث فى الليل دون أن تعرفه الجريدة وتسبق به . وكنت أجرى الى مكتبى لاوقع على ساعة أخبار اليوم مع العمال ، وأنا رئيس مجلس الادارة الوحيد الذى كان يوقع على الساعة ! وأنا اليوم استطيع أن انام كما اريد ، أن اتمرغ على فراشى طوال الليل والنهار . لأول مرة أصبح لدى الوقت الذى أفكر فيه فى نفسى وفيمن احبهم ! كانت تمضى الشهور ، وربما السنوات . وأنا ناس نفسى ! لعل القدر اراد ان يعاقبنى لأننى اجرمت فى حق نفسى وحق من أحب ، أو أنه يعوضنى عن هذا النسيان ، فاعطانى كل هذا الوقت الطويل ووضعنى مع نفسى فى زنزانة واحدة ! ولكنى اشعر بالشقاء فى انفرادى بنفسى وبمشكلتى . اشعر أننى أنانى . ان سعادتى فى التفكير فى الناس ، كل الناس : اننى اشبه بشخص سجن فى غرفة المرايا ، مهما تطلع فوقه وتحته ، وعن يمينه ويساره لا يرى الا شخصه ! فالحرية هى حريته ، والطعام هو طعامه ، والمستقبل هو أمله فى الخروج من السجن ، وهكذا احس كان الدنيا ضاقت حتى تحولت الى زنزانة ، وان سكان العالم انقرضوا حتى اصبحوا واحدا . كأن الدنيا بدأت بآدم

وانتهت بآدم وحده ! ولكن روحى تغافل حراس الزنزانة ، وتنطلق منها ، الى العالم الواسع . فأنني اسمع تليفونات مجهولة تدق باستمرار .

اری الناس الذين احبهم . افكر فى مشاكلهم . اسعد لانتصارات بلادى . وكأنني اشارك فيها . اتعذب مع عذابها ، وأفرح لافراحها . واحترق عندما اقرأ عن حريق فى قرية . واحس ان شيئا سرقوه من جيبى عندما اقرأ عن اختلاس فى مصنع . واقرأ الصحف وكأنني مازلت اكتب . واتامل المنشيتات وكأنني انا الذى صنعتها . ان روحى تهرب من الزنزانة كل يوم ، وتذهب الى أخبار اليوم ، وتجلس الى مكتبى ، وتعقد اجتماع الاخبار الصباحى تناقش المحررين فيما يجب عمله ، وتحاول ان تحلل الاحداث الخارجية وتضع الردود على اتهامات خصومنا ، وتصنع الحملات من أجل بلادنا .

ان روحى لم تستسلم للسجن ابدا . ان جسمى هو الذى يعيش فى زنزانة . ولكن روحى منطلقة ، تتمتع بكل حريتها ، تطوف الدنيا ، تتحرك هنا وهناك ، لا تستقر فى مكان واحد . تتحدث الى الناس . تسمعهم . تعيش معهم . تسمع نجواهم وتعرف أخبارهم . وهذا شىء يسعدنى ويعذبنى . ولكن روحى تختنق عندما تحس ان هناك اشياء كثيرة تستطيع ان تقدمها لبلادها ، ولا تستطيع ثم اتذكر اننا اخرجنا مدرسة من الصحفيين . مئات من الشبان . بعضهم علمناهم فى أخبار اليوم . وبعضهم علمتهم فى الجامعة . ان هؤلاء يستطيعون الآن ان يفعلوا لبلادنا اكثر مما فعلنا .

ان يحققوا حلمنا بأن تصبح بلادنا صحافة عالمية .. ثم أحمد الله أنه اعطانا شيئا عظيما جدا . أن الهرم الذى بناه خوفو ، يجب ان تذهب الى الجيزة لتراه . ولكن الهرم الذى بنيناه يدق كل صباح يوم على باب كل بيت ، ليمسكه الناس بأيديهم . فأنا اشعر اننى حى فى الصحف التى أنشأناها ، أنطلق فيها ، أتحرك معها ، أتنقل معها . أقترب من قرائى ، كلما اقتربت نسخة من جرائدنا من عيونهم ! ما كان اتعسنى لو أن الجرائد التى أنشأناها هى التى سجنت ، وبقيت انا مطلق السراح ! يسمع الناس صوتى ولا يسمعون صوتها . يروننى ولا يرونها يصافحوننى بأيديهم ، ولا يلمسونها كل يوم بأيديهم ! أننى أتصور الباعة وهم يملأون الشوارع ينادون على الأخبار وأخبار اليوم ، كأنهم ينادون على اسمى واسم اخى .

ان هذا شىء لذيذ جدا . ان صوتهم يصل الى داخل زنزانتى . ان حياتنا اسطورة وهذا الذى يحدث لنا هو ملامح درامية فيها .

التفتيش . !

سجن الاستئناف
أول يوليو سنة ١٩٦٦
عزيزتي ..

في يوم الاربعاء ٢٩ يونيو سنة ١٩٦٦ ذهبت الى جلسة محكمة الجنايات للنظر في قضية محمد حمدى التى رفعها على أخبار اليوم . أن المسافة قصيرة جدا بين سجن الاستئناف ومحكمة الجنايات . نحن جيران . انني أمشي في التراب حوالى ٢٠٠ متر إلى أن أصل إلى المحكمة . يتقدمني ضابط البوليس ، وورائي ضابط مباحث وعسكرى .

العسكرى يحمل في يده قيدا حديديا . ولكنهم لا يضعون في يدى القيد الحديدى ، مرتين وضعوا في يدى القيد الحديدى . المرة الأولى يوم القبض على ، والمرة الثانية عندما نقلت من سجن المخابرات الى سجن الاستئناف . ولكن بعد ذلك ، حتى في أيام المحاكمات كانوا يحضرون القيد الحديدى ولا يضعونه في يدى ! ولم تكن هذه هي المرة الاولى التى يوضع فيها القيد الحديدى في يدى . لقد وضع القيد في يدى ويد أخى قبل ذلك بخمس وثلاثين سنة ! عندما نظمنا اضرابات صدقي باشا ونحن تلاميذ في مدرسة الخديوية احتجاجا على الغاء الدستور . فأنا من أصحاب السوابق ! واجلسوني في غرفة الضابط في المحكمة الى أن تبدأ الجلسة . ورأيت هناك ياسين السفرجي والاسطى ابراهيم الطباخ . وتأثر ياسين عندما رآني وانهمرت من عينيه الدموع . ثم دخلنا الجلسة وجلست في مقاعد المحامين .

وكان محمد عبدالله المحامى الذى ترافع عنى امام الفريق الدجوى ، هو محامى الخصم هذه المرة . وكان المستشار الهوارى رئيس الجلسة رجلا ظريفا خفيف الدم ، يكثر من التنكيت والدعابة وجرى البحث هل اعلنوا على أمين أو لا . وجاءت النيابة بورقة عليها امضاء على أمين بأنه علم بالجلسة . واعطانى المستشار الورقة وسالنى هل هذا هو خط على أمين فقلت نعم . وقرر المستشار تاجيل الجلسة الى ٢٥ سبتمبر . وطلب من المحامين تقديم مذكرات .

وعندما خرجت من مقعدى وبينما أنا أمر فى صفوف الحاضرين كانوا يتلفتون الى وسمعت سيدة تقول : « قلبنا معاك » ورجلا عجوزا يقول « ربنا معاك » واحد المحامين يقول : ان شاء الله تخرج قريبا جدا . وهكذا اسير فى دعوات وابتهالات .

وعدنا الى غرفة الانتظار من جديد . وعلى بابها قابلت احسان جاد ونعم الباز من سكرتارية أخبار اليوم ، وكانت مصادفة جميلة .

ثم عدت الى السجن . واذا بى أجده مقلوبا رأسا على عقب . لقد حدث فى اثناء غيابى ان حضر رئيس التفتيش بمصلحة السجون وقرر ان يقوم بتفتيش مفاجىء لدور السياسيين . واحضروا عددا ضخما من جنود السجن . وجميع الضباط . ثم بدأت كبسة . فتش غرفتى اولا عدد من العساكر . ثم دخل ضابط وفتشها من جديد . ثم دخل المأمور وفتشها للمرة الثالثة ، ثم دخل مدير التفتيش وفتشها تفتيشا دقيقا للمرة الرابعة !

وعندما عدت من المحكمة ودخلت غرفتى لم اعرفها ! ان كل شىء كان مقلوبا ومبعثرا ولم يجدوا عندى أى شىء أو أى مخالفات سوى شبر فى زجاجة كولونيا . ولم يجدا أى شىء فى الغرف الاخرى التى فتشوها بنفس الطريقة . وكانت هناك معلومات بأن السياسيين لديهم ممنوعات ولكن لم يجدوا أى شىء ممنوعا ! والذى كان عندى لم يكن كولونيا بل دواء أمسح به قدمى لاصابتى بمرض النقرس . وجلست مع المامور ورئيس التفتيش . وقال لى رئيس التفتيش ان السجن ملىء بالمحرومين والعرايا . وان دخول الطعام وحقائب الملابس امامهم يثير حقدهم فينهالون بشكاوى على المأمور والضباط . وقال أن من رأيه أنه لا يجوز وضع المسجونين السياسيين فى هذا السجن ووضعهم فى سجن آخر . ويبدو ان فكرة نقلنا الى سجن آخر اصبحت تتردد بكثرة فى هذه الايام . مما يجعلنى اعتقد اننا قد ننتقل الى سجن القناطر بين يوم وآخر . وعيب سجن القناطر انه مشوار عليكم . فالمسافة هى نصف ساعة فى الذهاب ونصف ساعة فى العودة .

والمسجونون السياسيون هنا اشقياء بهذا الاتجاه ، خصوصا وهم يتحدثون الى زوجاتهم يوميا من النوافذ . وكثير منهم فى حالة مالية سيئة لا يستطيعون دفع مصاريف الانتقال يوميا الى سجن القناطر . وهناك بناء السجن بعيد عن الشارع ، ولا يمكن التحدث من النوافذ كما هو الحال الآن . وقال السجانون ان عملية التفتيش التى حدثت ذلك اليوم لم تحدث لها مثيل منذ انشاء السجن . ولابد أنهم كانوا يبحثون عن شىء خطير لان الطريقة التى تم بها التفتيش كانت دقيقة جدا وغريبة ، واشبه بخطة حربية ! فالجنود لم يعرفوا بمهمتهم الا قبل نصف دقيقة من بدء التفتيش .

والمسجونون اخرجوا من غرفهم وطلبوا اليهم عدم الدخول فيها . والوقوف امامها وتصور المساكين من الطريقة التى صدرت بها هذه الاوامر انهم يصفونهم ليعلنوهم بالاحكام . فكاد بعضهم يقع على الارض مغمى عليه من الفزع ! وقال لى المأمور أنه لاحظ ان فى زنزانتى ثلاث بدل ، وانه يكفى بدلة واحدة . فقلت له سأحتفظ ببدلتين وارسلت الثالثة الى البيت .

وقال أنه لاحظ ايضا ان الزنزانة فيها حقيبتان وتكفى حقيبة واحدة . فقلت له ان الحقيبة الثانية لم تدخل سوى اليوم وفيها الغسيل . فقال أعرف ذلك ، لأننى ، بعد خروجها من التفتيش ، احضرتها الى غرفتى وفتشتها بنفسى ولم اجد فيها اى شىء . وقال ان عندى كتبا كثيرة ويجب ان اكتفى بثلاثة كتب وارسل الباقى الى البيت ! ثم قال انه لاحظ وجود « كمثراية» اضىء بها النور واقفله . وأن لمبة الكهرباء معلقة فوق السرير ، بينما يجب أن تكون اللمبة معلقة وسط الغرفة . واصدر اوامره الى الكهربائى بنزع « الكمثراية » وبنقل اللمبة من موضعها . ومعنى هذا أن اعود واتشعلق على الباب ، وأمد يدى من الحديد ، كلما اردت ان اغلق النور وافتحه . وكان هذا الشىء يعذبنى فى أثناء الشتاء القارص ، ولكن الحمد لله ان الجو حار ، واستطيع أن أقوم بهذه المهمة . ثم جاءت مشكلة وضع اللمبة فى وسط الغرفة وهذا يجعلنى لا استطيع القراءة وأنا نائم . ولما كانت الحاجة أم الاختراع . فقد حللت هذه المشكلة . واصبحت اضع رأسى فى السرير فى المكان الذى كنت اضع فيه قدمى ، واضع قدمى حيث كان رأسى ، وبهذه الطريقة اصبحت اللمبة فوق رأسى ، واصبحت القراءة ممكنة ! وعلمت بعد ذلك أن سر التفتيش انهم علموا ان خطابات تصل الى والحمد لله لم يعثروا على شىء !

ثم حدثت مأساة فى اليوم التالى ، وهو اننى اكتشفت فى البيجاما التى ارتديها « بقة » وقتلت البقة ، وساح دمها على البيجاما ! ويظهر أن هذه البقة حضرت مع عملية التفتيش ! ثم حدثت مأساة أخرى ، وهو أن ماسورة المجارى التى فى الحمام الذى فوق غرفتى انكسرت ، وراحت مياه المجارى تتسرب على حائط زنزانتى ! وشكوت ، ولكن مضت ٢٤ ساعة دون أن أجد من يصلحها ومما يؤسف له أننى فى هذا الجو المليء بالميكروبات والحشرات ممنوع من استعمال الكلونيا ! والذين دخلوا غرفتى للتفتيش فتشوا الارض والجدران ، ولم يفكروا فى أن يرفعوا رؤوسهم الى سقف الغرفة ، أو أن البحث عن الميكروبات والحشرات ليس من اختصاصهم !

وأننى أعزى نفسى !

لقد أقمت فى جناح فى فندق سوفريتا فى سان موريتس ، وفى فندق جورج سانك فى باريس ، وفى سافوى فى لندن ، وفى وولدورف استوريا فى نيويورك وفى الشورهام فى واشنطون وفى هيلتون فى لوس انجلوس . لقد نمت فى أجمل السراير وعلى اشهر المراتب طوال عمرى . ماذا يجرى لو دفعت هذه الضريبة ، ونمت هذه الشهور فى سجن الاستئناف !

أننى انام على سرير ومرتبة ومعى نفس الدور من ينام على برش على الأرض ! ولهذا فأنا أحمد الله وأعتبر البقة التى زارتنى شيئا يحدث فى أحسن العائلات !!

ولقد مر شهر يوليو . وسأحتفل بعد أيام بمرور عام على دخولى السجن والجميع هنا ينتظرون الفرج قبل ٢٣ يوليو . ويتصورون أنه سيفرج عنى فى حوالى هذا التاريخ .

ولكن يبدو أن كل شىء واقف لا يتحرك . وتوقفت فجأة الاشاعات والانباء . وقد تكون هذه من علامات الساعة . وأنها دليل على اقتراب الفرج . ولكن صبرى لم ينفذ . وايمانى لم يتزعزع . وثقتى بالله لا حدود لها . ولهذا فانا مطمئن الى الغد . أشعر أنه صديقى وحليفى وصاحبى ونصيرى . ومما يسعدنى كثيرا أن الناس لم ينسونى .. ولقد رأيت فى عيونهم ونظراتهم وهمساتهم أثناء وجودى فى محكمة الجنايات كثيرا من الحب والأمانى الجميلة . وهذا اسعدنى كثيرا . ان حب الناس يقوينى كثيرا ويضاعف ايمانى . لاتزال الدنيا مليئة بالناس الطيبين .

اننا لم نزرع ارضا وانما زرعنا حبا فى قلوب كثيرة ، وقد نبتت هذه البذور وأينعت .

وأنا أحس أننا نعيش الآن فى ظلها .

المخبأ .. !

سجن الاستئناف
٣ يوليو ١٩٦٦
عزيزتى
كنت قلقا عليك هذا الأسبوع أكثر من أى وقت مضى . كنت أعيش فى أوهام من صنعى .

وجاء خطابك فبدد لى هذه الأوهام وقضى عليها . وعندما أذكر هذه الأوهام اليوم أغرق فى الضحك وأسخر من تصوراتى الغريبة . ولكن يبدو أن الحياة فى السجن هى مصانع الأوهام . الميكروبات تتكاثر عندما تغيب الشمس . والأوهام والمخاوف تتكاثر فى ظلام الزنزانة ..

وكان يجب ألا أصاب بالقلق فى هذه الأيام بالذات ، فقد تلقيت فيها خطابات كثيرة كان يمكن أن أعيش عليها طويلا .. وتراكمت لدى الخطابات المهربة ، وكنت فى كل يوم أتفنن فى اخفائها فى مكان مختلف فى الزنزانة . واستطعت أن أهرب جزءا من لخطابات إلى خارج السجن ، وأبقيت عندى الخطابات الهامة . وشعرت بعد ذلك بألم غريب لفراق هذه الخطابات . شعرت بوحدة قاتلة . ولم أكن أتصور أن خطابات أصدقائى ستوحشنى هكذا إلا بعد أن فارقتنى ! إذا كان هذا حالى مع الورق فما هو حالى مع البشر ؟ كنت كثيرا ما أدس هذه الخطابات فى جيوبى ، وكنت أتحسسها من وقت إلى آخر كأنها محفظة نقودى . وكنت أشعر كأن أصدقائى معى باستمرار ، ثم عندما أخرجت هذه الرسائل شعرت كأننى وحدى ، ثم ندمت على أننى أخرجتها إلى خارج السجن ، ولكنى كنت أرى أنها رسائل ثمينة ، وكنت أخشى عليها من الضياع . وكنت أشعر أنها قطعة هامة منى . بل من التاريخ ، ويجب أن تكون فى مكان أمين . يجب أن تعيش حتى بعد

حياتنا . ولهذا رأيت أن تكون معك لتحفظ في مكان بعيدا عن العيون !

ودسست هذه الرسائل تحت أواني الطعام الفارغة . وأرسلتها إلى خارج السجن في وقت كان فيه الضابط نائما ، والحراسة ضعيفة ، والرقابة مهلهلة ! ثم فوجئت عندما أخبرني بعض المسجونين السياسيين أنه ظهر فجأة عند باب السجن رجل من المباحث ، وأنه أمسك بالسلة التي كانت فيها أواني الطعام . وأنه فتش الأواني باهتمام ، وأن التفتيش كان دقيقا ..

وأصبت بالرعب . لابد أنه عثر على الرسائل المهربة . لابد أنهم فتشوك تفتيشا دقيقا وعثروا على رسائلي . وتصورت أنهم فتشوا منزلك . وفتشوا منازل أصدقائنا .

وحمدت الله أنني لا أكتب إلى أصدقائي المقربين مباشرة ، لأنني أعرف أنهم تحت رقابة شديدة ، وأنني أكتب إلى أصدقائي غير الظاهرين ، لا يعرف أحد أنهم من المقربين إلىّ . ولكني فزعت من أن يؤذى أحد بسببي ، وبدأت أندم على أنني أكلف الناس بما لا يطيقون ، وأنني أعرضهم للمخاطر والأهوال ! ثم علمت أن مخبر المباحث لم يجد شيئا !! ثم جاء بعد ذلك من يخبرني بأن عددا من رجال المباحث في داخل السجن ، وأنهم سيقومون بتفتيش السجن بعد منتصف الليل . وأسقط في يدي . وعلمت أنني المقصود بهذا التفتيش . وعجبت أن يحدث التفتيش في أيام متعاقبة !

وكان معي عدد من خطابات علي وخطابات من أصدقاء ، وعناوين الأشخاص الذين أرسل إليهم الخطابات المهربة . وأحرقت بعض الخطابات . ومزقت بعضها إلى قطع صغيرة وألقيتها في دورة المياه . ولكني لم أستطع تمزيق خطابات أخي علي وعناوين الأصدقاء . وحرت ماذا أفعل بهذه الممنوعات ؟

وقررت أن أخفيها في زنزانة أحد المسجونين السياسيين معي في الطابق الثاني ! ولكنني خشيت أن يفتشوا كل الزنازين في الطابق الثاني ، وكل المسجونين السياسيين ..

وقررت أن أبحث عن مسجون غير سياسي . قاتل ، لص . تاجر مخدرات . نشال . كل هؤلاء في أمان ! المجرمون وحدهم هم السياسيون !

وخطر ببالي أن أختار احد المتسولين من المسجونين . الطابق الرابع في السجن مخصص للمتسولين . واخترت متسولا اسمه عمر . شعرت منذ مدة وأنا أمشي في فسحة السجن أنه يعتبر نفسه صديقي . نشأت صداقتنا

عن أنني أعطيته سيجارة بلمونت دون أن يطلبها . هذه السيجارة المتواضعة أسرته . أحس أنني قدمت له جميلا لن ينساه مدى الحياة . كان يريد دائما أن يرد لي الجميل ! عجيب أن يشعر متسول بكل هذا الجميل لأنني أعطيته سيجارة بلمونت .. وهناك من أعطيتهم ألوف الجنيهات فردوا الجميل بالخناجر والسكاكين ! بعض الملائكة يرتدون ملابس المتسولين ، وكثير من الشياطين يرتدون البنطلونات ، ويتشحون بالألقاب والأوسمة والنياشين !

وبعد أن أعطيت الخطابات للمتسول عمر سحبتها منه ، لأنني علمت أنهم سيفتشون جميع طوابق السجن ، بما فيها عنبر المتسولين !

وأخيرا اتفقت مع لص أن ينقذ الموقف ! أنه عثمان نوبتجي المأمور . وهو مسجون محكوم عليه بالسجن لأنه سرق ثلاثة جنيهات اشترى بها دواء لأمه المريضة بالسل وليدفع أجر الطبيب ! لقد شعرت دائما بأن هذا اللص هو من اشرف رجال السجن ، ولهذا لم أتردد في أن أئتمنه على رسائل يعتبرها المسئولين كنزا ، وقد يستطيع بها أن يبيعني ويشترى الخروج من السجن .

ولكني لم أتردد في الوثوق به ، الرجل الذي يسرق ويدخل السجن ليشترى دواء لأمه هو رجل غير عادى .

وكان عثمان هذا هو الذي ينظف ويمسح غرفة مأمور السجن كل صباح .. واتفقت معه على أن يخبىء الرسائل في مكان لا يخطر ببال أحد أن يفتشه وهو مكتب المأمور نفسه .

وفتحنا مكتب المأمور في غفلة من الحراس ، ووضعنا داخله الرسائل !

وبقيت ساهرا طوال الليل أنتظر التفتيش ..

وجاءت المباحث .

وفتشت كل طابق ، وكل زنزانة ، وكل ركن . فتشت دورة المياه والحمامات . فتشت الجدران والسقف . فتشت المسجونين جميعا ..

ولم تجد شيئا على الاطلاق !

ولكنها نسيت أن تفتش غرفة المأمور !



رقم قياسى !

سجن الاستئناف
٥ يوليو سنة ١٩٦٦
أخى العزيز

منذ وقت طويل لم أكتب إليك . أشعر أننى لم أتحدث إليك منذ سنوات طويلة .. أن الخطاب الذى أرسله إليك يمر على عدة أيد ، ثم ينتهى بألا يرسل ! وهم يقرأون خطابى إليك بالطول والعرض ، ومن فوق إلى تحت ، ومن تحت إلى فوق ، خشية أن أكون قد قلت لك فى الخطاب ممنوعات ! ثم يرون أن من الأسلم أن يحجز الخطاب . وكفى الله المؤمنين شر القتال ! وهكذا أصبح شرط الكتابة إليك أن يكون الخطاب تافها ورسميا ولا شىء فيه ! ولهذا رأيت من الأفضل ألا أكتب فلقد تعودت فى الماضى عندما كنت أكتب إليك أن أفتح لك قلبى . ويظهر أن شعورى بأن ما أكتب يمر على عدة أيد يجعلنى لا أستطيع أن أكتب خواطرى ، بالرغم من أنها بريئة ، كما كنت أتردد أن أقف فى الحمام واستحم فى وجود مسجونين آخرين .. ولم ألبث أن تعودت على ذلك ، ويظهر أن المسألة هى مسألة عادة ، ومن أصعب الأشياء أن تكتب خطابا ولا تعرف هل سيصل أم لا يصل إلى المرسل إليه . تماما كما تكتب مقالا ولا تعرف هل سيرى النور أم يشطبه الرقيب .

أننى أمضيت اليوم الأسبوع الخمسين فى السجن ! لقد أمضى التابعى ٤ شهور فى السجن ومضى طول حياته يتحدث عنها . وأمضى العقاد فى السجن ٩ شهور ، وامضى توفيق دياب ٩ شهور ، ويظهر أننى ضربت الرقم القياسى . ولا يزال أهم شىء أفعله أن أمضى أغلب الوقت فى قراءة الصحف والمجلات والكتب . ثم فى حساب الأيام . أما الكتابة فهى عملية

شاقة . ولقد خطر ببالى أن أضيع الوقت فى كتابة سيناريو سينمائى . ولكنى لا أستطيع أن أركز تفكيرى بسهولة فى شىء كهذا . وقد يكون السبب هو عدم الاستقرار . فأنا لا أعرف هل أنا باق هنا ، أم ذاهب . هل سأنقل إلى سجن أم إلى مستشفى . ثم أن السجن اعتاد أن يأخذ من المسجون كل الورق قبل خروجه . وليس من المعقول أن أكتب سيناريو أو قصة ، ثم يأخذها السجن بعد ذلك . وهذا ما يجعلنى أكسل عن التفكير فى قصة أو سيناريو . وأعتقد أننى لو عرفت ما استقر عليه الرأى بشأنى فسأكون أكثر نشاطا مما أنا عليه . ولقد قيل : « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » فاننى أفكر فى بعض الأحيان أنه ربما كان التأخير فى التصديق على الحكم فيه مصلحة أكثر من البت فيه ، ونقلى إلى سجن آخر . ولقد قيل لى منذ حوالى شهرين أن نقلى إلى المستشفى سيتم فى خلال عشرة أيام أو خمسة عشر يوما . ولكن مرت ٤ أضعاف المدة ولم تتحقق الأمانى . وقد يكون فى كل تأخيرة خيرة .. وقد يكون تتابع الأحداث وكثرة مشاغل الدولة هى سبب التأخير . وقد تكون مسألتى « كارت » فى الحرب الباردة . ولكن الملاحظ أنه لم يصدر حتى الآن أى حكم فى قضايا أمن الدولة وأن كان ترتيب قضيتى فى المحاكمات هو رقم واحد . وقد كنت أنتظر وصول سعيد فريحا من يوم إلى آخر . وحدث أن وصلنى كريز .. وتفاح .. وتصورت أن معنى هذا أن سعيد قد وصل . ولكن لم يصلنى ما يؤيد هذا ، فعرفت أن الكريز من أصدقائى فى القاهرة وليس من بيروت . ولقد سررت أن صحف سعيد تدافع عن القاهرة بحرارة ووعى ، وهى الصوت الذى يرتفع ضد حملات الاستعمار علينا . ولم يكن عندى شك فى يوم من الأيام فى أن سعيد مؤمن بقضية بلادنا ، وأنه يستطيع بكفاءته وأخلاصه أن يخدم بلادنا أعظم الخدمات . وأشعر أن أزمة مقتل كامل ردة مرت بسلام ، وأن سعيد نجا منها ، وهذا سيجعله يستطيع أن يترك بيروت ، ويحضر إلى القاهرة بضعة أيام . ولقد سررت أن اسم فائق السمرائى لم يكن بين الأسماء التى طلبوا القبض عليها بعد فشل انقلاب بغداد ، ومن حسن حظه أنه كان فى الصين فى أثناء الانقلاب . ولقد وصلت لى مربى قليلة السكر ، ومصنوعة فى لندن ، وتصورت أنها منك ، ثم رأيت أنها مربى فراولة . وهنا عرفت أنها لا يمكن أن تكون منك ، لأنك تعرف أن الفراولة ممنوعة بسبب مرض النقرس ، ومع علمى بذلك ، فإن « فجعتى » جعلتنى أكل منها ملعقة ، وأعدتها فى نفس اليوم إلى البيت ، حتى لا تمتد يدى إليها ، فأصاب بأزمة نقرس فى السجن . ومن أكثر الأمور التى يخشاها المسجون أن يمرض فى

السجن فلا عناية إطلاقا بصحة المسجون وعندما يموت أحد المسجونين يفرح الممرضون فى العيادة ، فهذه فرصة أن يضعوا فى ملفه جميع الأدوية الناقصة فى العهدة ! ولا يستطيع المسكين أن يتكلم ويقول أنه لم يستلم دواء واحدا منها ، لأن الموتى لا يتكلمون !

ولقد امتلأ جسمى بحمو النيل بسبب العرق الشديد فى الحر ، وأنا الآن أعالج نفسى بنفسى ، وقد تحسن حمو النيل بعض الشىء . وأمضى بعض الوقت فى مقاومة الحشرات والذباب ، وقد نجحت فى هذه الحملة . وحدث أن فوقى تواليت ، وانكسرت الماسورة ، وتسربت مياه التواليت إلى زنزانتى ، وغطت الجدار ، وأصبحت أشعر كأننى أنام فى التوليت .

وكانت حكاية ! وبسبب الروتين اقتضى الأمر أن يتأخر اصلاح الماسورة ، إلى أن استطاعت علبة السجائر أن تنجح فيما فشل فيه الروتين !

وقد بدأت فى السجن حملة ضد الجرائد القديمة ! ففى كل يوم يدخل الضابط والحراس للتفتيش ، ويأخذون الجرائد القديمة ، خشية أن نحرقها ، ونصنع فوقها شايا أو قهوة ! وأنا لم أفعل هذا مطلقا فإن القهوة تصل إلى يوميا فى ترموس ولكن التعليمات هى التعليمات !

وبعد أن كان المسجونون يعيشون على أمل أن يحدث البت فى قضاياهم قبل يوم ٢٣ يوليو تضاءل هذا الأمل ، وكلما مضى الوقت ، زادت حالتهم العصبية حدة ، وكثرت انيهاراتهم النفسية . وضاعف هذا من مهمتى ، وهى نشر الأمل بين اليائسين ، وإقناع الذين يفكرون فى الانتحار بسخافة هذه الفكرة ، ومعنا عجائز يفكرون فى الموت باستمرار . ولا عمل لى إلا أن أحاول حقنهم يوميا بمخدرات من الأمل والصبر والايمان . وأنا أشعر أن « فكرة » تركت فراغا فى نفوس الناس ، فان الشمعة التى كنت تضيئها كل صباح ، كانت تبعث النور فى القلوب المظلمة اليائسة ، وأنا أحاول أن أضىء هذه الشمعة فى محيطى . وأرجو أن يجىء يوم قريب ، وتعود إلى إضاءة هذه الشموع ، لا من أجلك ، بل من أجل الناس أجمعين .

والشىء الذى يستوقف نظرى هو أنه فى كل يوم يجىء لنا متهم جديد فى اختلاس من شركة ، أو رشوة ، أو اهمال جسيم . وهذه ظاهرة تستوقف النظر ، وتحتاج إلى علاج . فما هو سر انتشار الرشوة ؟ أعتقد أن السر هو شعور الموظف بعدم الاستقرار ، أو بأن باب الأمل فى الطريق الشريف مقفل أمامه .. ولهذا فهو يريد أن يخبط الخبطة بأسرع ما يمكن لأنه لا يضمن أنه سيبقى فى وظيفته فى اليوم التالى . ولقد قال لى مفتش السجون ، أن

السجون ضاقت ، وإن فيها الآن ثلاثة أضعاف طاقاتها . وأنهم اضطروا إلى العفو عن الناس الذين أمضوا نصف مدتهم اضطرارا ، لأنه لا توجد أماكن خالية ، ولأن نفقات المساجين أكثر من اعتمادات المصلحة ! ولقد لاحظت أن انجلترا فيها نفس الشكوى حتى أن وزير الداخلية صرح بأن من رأيه أن يقلل القضاء أحكام السجن ، ويكتفى فى كثير منها بالغرامة .

اما حالتى المعنوية فجيدة ، وأعصابى قوية ، وصبرى لا حد له ، وثقتى بالله لا تتزعزع . وأحس بأن الذين حولى فى حاجة إلى . أو كما يقولون : أننى الميناء الوحيد الذى يلجأون إليه فى البحر العاصف الملىء بالزوابع والرياح .

ومن الطريف أننى قرأت فى كتاب السيد شوشة « أسرار الصحافة » فى صفحة ٥٠ عن والدى ما يأتى :

« بعد ولادة مصطفى وعلى أمين بسنة واحدة قبضت السلطات البريطانية على والدهما فى سنة ١٩١٥ وزجت به فى سجن الاستئناف بالقاهرة ، ووجهت إليه عدة اتهامات ، منها أنه يدعو إلى خلع السلطان ، وأنه يتلقى أخباره بالشفرة عن الانتصارات الألمانية .. وأنه يحرض على الخروج على الحلفاء » .

وضحكت عندما قرأت هذا ! أن التاريخ يعيد نفسه ! ومن يعرف أن كان أبى كان مسجونا فى نفس هذه الزنزانة أو نفس هذا الطابق ! وهكذا شاء الله أن يتكرر الحدث بعد خمسين سنة ! فأسجن فى نفس السجن الذى كان فيه أبى !!

ولقد ثبت من التحقيق أن التهمة التى كانت ضد أبى لا أساس لها من الصحة وأطلق سراحه .. فهل يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى ؟

والآن أقبلك وأضمك إلى صدرى ، وأرجو من الله أن يجمعنا فى أسعد الأوقات . أن قلبى يحدثنى بأنه لابد أن ينتهى هذا الظلام ، وأن الفجر قريب بإذن الله أننى أحصى الأيام التى مضت دون أن نلتقى فيها فأجدها طويلة جدا ، ولكنى أحمد الله على أن العلاقة بين التوأمين ، تجعل لقاءنا يحدث يوميا ، وفى كل لحظة . وفى كل ساعة . يكفى أننا نقرأ نفس الصحف ، ونتبادل نفس الأفكار ، ويملأ قلوبنا نفس الايمان والثقة فى الغد ، والفجر الجديد .

أن الأيام تمر بسرعة ! وكل يوم يمضى يقربنا من يوم اللقاء ، ونرجو من الله أن يمنحنا العمر ، لنعوض الذى فقدناه ، ولنستأنف خدمة وطننا الذى أعطيناه حياتنا ودمنا وعمرنا وكفايتنا .

أن الله أعطانا كل شيء تمنيناه . أنه لم يتخل عنا أبدا . أنه أعطانا دائما أكثر مما أملنا أو تخيلنا أو تصورنا .. فشكرا لله على ما أعطانا .. وما سوف يعطينا .

وإلى اللقاء .



مقلب فى السجن !



سجن الاستئناف
١٤ يوليو سنة ١٩٦٦
عزيزتى
اقبلك ، وأرجو أن تكوني والأسرة بخير .
أنني سررت عندما قلت لى فى رسالتك الأخيرة أن أخى سيتفرج على مباريات كرة القدم لكأس العالم . أنني أتصور وأنا أقرأ وصف المباريات أنني أشهدها معه . وعندى برنامج المباريات ، وفى الساعة التاسعة من مساء كل يوم أتخيل أخي جالسا يشهد المباريات . وهكذا أعرف يوميا ماذا يفعل ، وأعرف فى اليوم التالى نتيجة المباراة التى شاهدها . أنه شعور لذيذ أن أحس يوميا بما يفعل . فنحن برغم البعد الذى بيننا نعيش معا ، ونفكر معا ، ونتألم معا ، ونضحك معا أيضا ..
وقد حدث أن اتفق زملائي المساجين على أن نعمل مقلبا فى زميلنا الارهابى رقم ١١ . فنوهمه بأن أخى على وصل إلى مصر . واننى انتهزت فرصة ذهابى إلى محكمة الجنايات فى قضية أخبار اليوم ، وتبادلت أنا وعلى الأمكنة ! فالموجود فى السجن الآن ليس مصطفى أمين وانما هو على أمين ! وبدأت أمثل دور على أمين ، وغيرت طريقة حديثى مع الارهابى . وأصبحت أسأله عن أشياء خاصة به أتظاهر بأننى أجهلها ، مع أنه كان قد أخبرنى عنها من قبل . فقد سألته مثلا هل هو متزوج أم لا ؟ مع أن المفروض أننى أعرف أنه متزوج ، وأن زوجته تحضر لزيارته فى السجن . وإذا سألنى عن شيء أجبته اجابة تختلف عن اجابتى قبل ذلك . وبدأ الارهابى يشك ! ويتحير . وفجأة راح يصرخ : أنا ح أتجنن ! ح أتجنن ! هل أنت مصطفى أم على ! وقلت له أنا مصطفى . وراح يهمس فى آذان زملائنا بالسر

الرهيب ! وراحوا يقولون له أنهم يشكون أيضا أنني تغيرت ، وأن الموجود في السجن هو علي وليس مصطفى ! وراح هو يمتحنى ويختبرنى ليعرف هل انا مصطفى أم علي ، وسقطت طبعا في الامتحان حتى يتصور أنني علي ! ثم رحنا نمضي في المقلب ففي يوم أتصرف كأنني مصطفى ، وفي اليوم التالي أتصرف كأنني علي ! .. والمسكين حائر هل أنا مصطفى أم علي . أم الاثنان معا !

وقد أمضينا عدة أيام نضحك ، ونحن نرى حيرته ، ودهشته ، وعجزه عن أن يفرق بين مصطفى وعلي ! ومحاولته الاعتماد على ذكائه في اكتشاف أن الموجود هو علي أمين وليس مصطفى أمين .

فقد كان يحدث أن أكون سائرا في ردهة السجن فيصيح الارهابي علي بك ! علي بك ! وهنا ألتفت ورائي ! ويصيح مصطفى بك فلا ألتفت ! وهنا يتأكد الارهابي أن المسجون هو علي أمين وليس مصطفى أمين . وبعد أن يتأكد أن المسجون هو علي أمين ، أعود وأثير الشك في نفسه بأن المسجون هو مصطفى أمين . وأقترح عليه بعض زملائنا أن يبلغ الدولة بما حدث ، وأنه عندما سيرشد عن مثل هذه الجريمة الخطيرة ، فسوف يفرج عنه ، ويقتنع الارهابي بالفكرة ، ثم يعود زملاؤنا ويقولون له ولكن لو حدث أن ظهر أن المسجون هو مصطفى ، فسوف تحاكم بتهمة البلاغ الكاذب وازعاج السلطات ، وتدخل في جريمة جديدة ! وهنا يخاف الارهابي ويعدل عن التبليغ !

ومن الوسائل التي تشغلني الآن أنني أعلنت الحرب على البق ! وإذا كان الفلاحون الآن يقاومون الدودة ، فأنا أبذل نفس المجهود في مقاومة البق . وأتولى رش غرفتي يوميا بالمسحوق المقاوم للحشرات ، ولكن في بعض الأحيان أفاجأ بأن جيوش الأعداء أقوى من الفيت كونج ! وأقوم في الغرفة بحرب العصابات . وأحاول أن أنسف الحشرات التي تقاوم مقاومة عنيفة ! وزاد الطين بلة أن فوقي تواليت ، وحدث أن انكسرت الماسورة ، ونزلت مياه ماسورة المجاري على حائط الغرفة ، وكانت حكاية ! والشيء الذي اهتم به كثيرا هنا أنني أحاول أن أحافظ على صحتي ، واستحم كل يوم ، وأرفض أن يلمس أحد سريري ، وأتولى غسيل الأطباق بنفسي . وحرب النظافة تشغلني فهي تأخذ وقتا في اعداد الخطط الحربية ، واختيار ساعة الصفر للهجوم على الخنادق والمخابىء والقلاع التي تختفي فيها الحشرات ! ومن عادة المسجونين هنا أن يقفوا في شرفة الردهة ، وينفضوا البطاطين فيها ، وهكذا يتطاير القمل والبق والحشرات في الهواء وتسقط

على رؤوسنا كالقنابل والصواريخ ! ومن العادات القبيحة البصق . فيحدث أن نكون سائرين فى الفسحة ، وإذا بأحد المسجونين واقف فى النافذة فى الطابق العلوى ويبصق ، ولا يهم إذا نزلت البصقة فوق رأس أحد المسجونين أو أحد الضباط ! وهو لا يقصد بهذه البصقة التعبير عن رأيه ، وانما هى عادة ، وسوف أحاول أن أقاومها ، وأن نلقى محاضرات على الزملاء بمضار البصق فوق رؤوس الناس من النوافذ والشرفات !

وقد سررت بأن فاطمة نجحت ، وكذلك رتيبة وصفية ، ولم يبق من نتائج الامتحانات سوى نتيجة امتحانى أنا ! وأرجو من الله أن تكون النتيجة خيرا كذلك !

والجو فى الزنزانة لا بأس به ، وبرغم أننا اقتربنا من منتصف يوليو ، إلا أن الجو لطيف ومحتمل ، ولم تتكرر حتى الآن الأيام الملعونة التى جاءت لنا فى شهر يونيو ، وعلى كل فلم يبق من الصيف سوى شهر ونصف ، ولقد جاءنى واعظ السجن وقال لى أنه عمل « استخارة » لى وأن نتيجة الاستخارة تؤكد أنه سيفرج عنى قريبا ، وفى كل يوم يقول لى مساجين أنهم حلموا لى أحلاما طيبة تبشر بأن الافراج قريب . ويظهر أن فلسفة السجن هى أن يطمئن كل مسجون الآخر ، وبذلك يطمئن نفسه . ولكنى مع ذلك فما زلت متفائلا ، ولا يزال شعورى يقول ان الفجر لابد أن يجيء .. ولكن لا أعرف متى يجيء !

ولقد كانت تضايقنى أشياء صغيرة . فقد تقرر نزع « الكمترابة » التى كنت أضيء بها النور وأنا نائم ، وتصورت أن هذا سوف يضايقنى جدا ، واننى سأضطر لأن أقوم من فراشى وأطفيء النور ، ولكنى لم ألبث بعد أيام أن تعودت على ذلك ، ولم تكن كارثة كما تصورت فى أول الأمر ! والمسائل كما ترين عادة ، ولقد كنت اقيم الدنيا وأقعدها فى الماضى عندما يتعطل جهاز تكييف الهواء ، فى بيتى ، وأضرب الجرس للسكرتيرة كل خمس دقائق لأسأل هل اتصلت بشركة كولدير لاصلاح التكييف أم لا ؟

وأنا الآن ليس عندى تكييف هواء سوى نافذتى فى الزنزانة أفتحها وأغلقها ، ولم ألبث بعد فترة أن شعرت أنها حلت تماما محل جهاز تكييف الهواء .

ولأول مرة عرض فيلم فى السجن ، وهو فيلم قديم اسمه فيلم بورسعيد . وقد سبق أن تفرجت عليه فى التليفزيون قبل دخولى السجن بمدة طويلة . ومع ذلك فقد فرح به المسجونون كثيرا برغم أن الصورة كانت غير واضحة ، والصوت غير واضح ، فلا تعرف هل المتكلم هو هند رستم أم

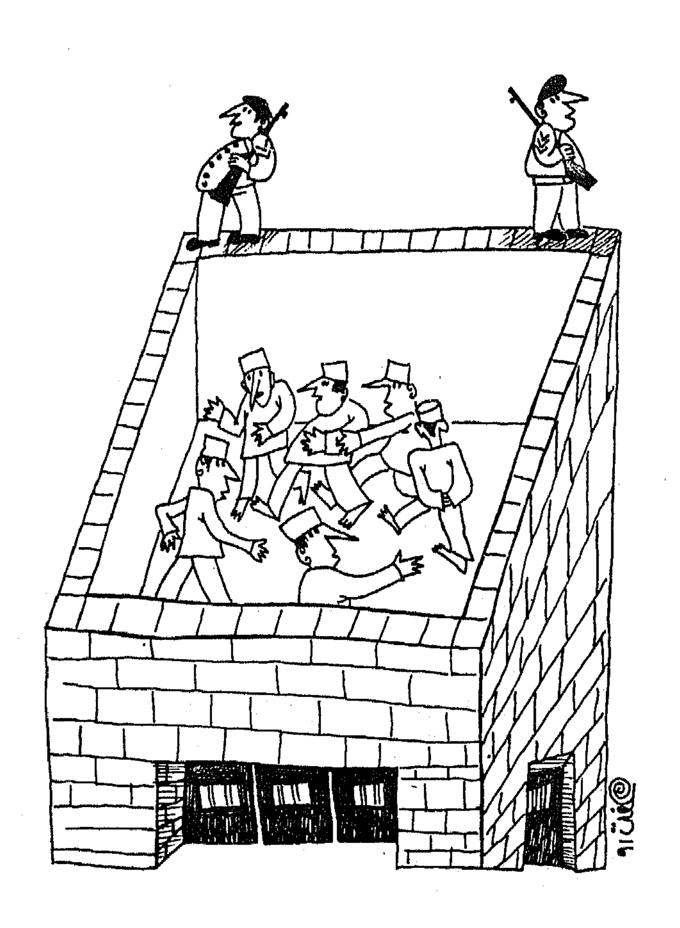
فريد شوقى . ولا تعرف هل الذى أمامك هو بطل الرواية أحمد مظهر أم السد العالى .

ومن أهم ما يحدث فى السجون هو وصول المسجونين للتراحيل أى الذين ينقلون من سجن إلى سجن . وسجن الاستئناف هو المحطة ، التى يجيئون إليها ويبيتون فيها قبل نقلهم الى السجن الآخر . ووصل بين التراحيل هذا الأسبوع شخصية غريبة وهو لص اسمه فتوح ، متخصص فى سرقة الخزائن ، ومحكوم عليه بالسجن ١٥ سنة ، وقد أمضى منها ١٣ سنة ، وبقى له عامان . وجلس يروى لنا مغامراته . وقد كان متخصصا فى سرقة اليهود ولا يسرق المسلمين ، والمرة الوحيدة التى حاول فيها أن يسرق مسلما ضبط ، وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ، ومن حوادثه الغريبة أنه سرق احدى الخزائن ، ولم يضبطه أحد ، وذات يوم قرأ فى الصحف أن البوليس قبض على اللصوص الذين سرقوا هذه الخزائن ، وأنهم اعترفوا ، ودهش فتوح لأنه لا يعرف هؤلاء اللصوص ، ولم يكونوا معه فى حادث السرقة ، وانتظر حتى وصلوا الى اللومان ، وسألهم فقالوا له أن البوليس ضربهم فاضطروا أن يعترفوا بأنهم سرقوا الخزانة التى لم يسرقوها أبدا !

ومن الزبائن الجدد عندنا عدد من الموظفين اتهموا بأنهم سرقوا قطارا مشحونا بالقمح ، فقد اتفقوا مع معاون المحطة على أن يوقف القطار فى محطة أخرى ، وأحضروا لوريات سرقت القمح ! وهو حادث يشبه سرقة قطار لندن المشهور !



الحيـاة فى قبر .. !



سجن الاستئناف
٢٠ يوليو ١٩٦٦
عزيزتي

الساعة الرابعة صباحا . أنها لحظة الفراق بين النوم واليقظة . بين الليل والنهار . السجن ساكن . ساكت . موحش . مقفر . وتطلعت فى الظلام إلى جدران زنزانتي ما أشبهها بالقبر . انني دخلت ذات يوم إلى القبر الذى دفنت فيه أمي . والذى أتمنى أن أدفن فيه . أنه سرداب تحت الأرض . أنه أكبر من الزنزانة التى أنا فيها اليوم .

لقد كنت دائما فضوليا أريد أن أعرف ماذا بعد الموت . وأن أعيش الموت الآن ! فالموت كالسجن وهو زنزانة الجسم . أما الروح فهى تنطلق ، حرة غير مقيدة ، هاربة من قوانين الحياة !

الصمت مخيم . صمت مقيد . مصنوع من مئات الأنفس المقيدة بالسلاسل . كان الزفرات مربوطة . كان الأحلام مكبلة بالحديد . كأننى أنام والى جوارى مئات الجثث .

ملابس السجن الزرقاء والخضراء والبيضاء كالأكفان . هنا تحت التراب يتساوى الملوك والمتسولون ، الظالمون والمظلومون . العباقرة والتافهون . لا شىء يميزهم إلا لافتات من الورق المقوى تحمل أسماءهم . أنها أشبه بالشواهد التى يضعونها فوق القبور تحمل أسماء الموتى . ولكن كثيرين من الموتى بلا أسماء !

من كان فى هذا القبر قبلى ؟ من سوف يجىء بعدى ؟ الجدران لا تتكلم ولا تحكى . ولو تكلمت لروت ألوف القصص . فهنا خشبة مسرح . القصة واحدة . الممثلون يتغيرون . فوق هذا الأسفلت سكب ألوف قبلى دموعهم .

هذه الجدران سمعت دعوات وزفرات ولعنات وتاوهات وصرخات . أنصاف أحياء وأنصاف موتى مروا من هنا ! تركوا بصمات شقائهم وعذابهم على الجدران . كأننى اسمع صدى تضرعات مجهولة . صلوات بعيدة . أنغامهم مختلفة . كلماتها متباينة . ولكن معانيها واحدة .

كل شيء هنا مسجون . حتى الكلمات مسجونة . كان السطور السوداء على الورق هي قضبان من حديد . والمعانى تحاول أن تخرّج راسها من بين القضبان فلا تستطيع .

والأحلام أيضا مسجونة ، لا تكاد تتحرك ، حتى تقبض الحقيقة على عنقها ، كأنها سجان قاسي القلب ، يوسعها ضربا بحزام من جلد ، يمنعها من أن تهرب من زنزانة الواقع إلى فضاء الأمانى الفسيح .

كل شيء صامت . كأنه لا يجرؤ على الكلام . محبوس . مخنوق . حتى الصرخات مخنوقة ، وكانها حشرجة تأوهات !

فما أطول الليل داخل السجن . كأنه لا ينتهى أبدا ! أنه أشبه بالعصى . أن الأحلام والأمانى تتعثر فيه ، وتسقط على وجهها مصطدمة بجدار الواقع . أنها تحتاج دائما إلى عكاز من الايمان . وما أشقى الذين تنكسر العصى التى يتعكزون عليها وهم يسيرون فى عالم الأمانى والأحلام !

واشعلت المصباح ، وامتلأت زنزانتى بالنور ! قفز الظلام من النافذة ، كأنه لص انتهز فرصة الليل فدخل يسرق أحلامى ، ثم فاجأه النهار ، فأسرع ينجو بنفسه تاركا وراءه ما حاول أن يسرقه من أمانى واحلام !

وفى النور رأيت كل أحلامى حولى . لم يسرق الليل منها شيئا . اختنقت الغيوم السوداء من أفكارى . كنت أخشى أن تتدحرج الأمانى من قلبى ، فأسرعت أمسك بها !

أن المصباح الذى أضأته هو ايمانى بالله . وفى بعض الأحيان يخفت ضوء المصباح ويتحول الى قنديل ، وفى أحيان أخرى يسطع ويتوهج ، وكأنه نور الشمس . وهذا الايمان أشبه بمنجم من الذهب تجيء الأعاصير والعواصف فتغطيه بطبقة من التراب ، فلا ألبث ان احفر بأظافرى ، وأكتشف أنه موجود ، عميق ، كامن ، لا تنتهى معادنه أبدا !!

ثم لا ألبث أن أسمع الفجر يغنى ترنيمة الحرية . أنه يغنى بصوت منخفض ، وكأنه همس يجيء من بعيد ، ثم لا يلبث ان يعلو هذا الهمس فى أذنى حتى يصبح دويا . وهكذا تستيقظ أذنى على موسيقى مجهولة ، تحن إليها وتنتظرها ، وتتوقعها ، وترقص روحى على نغماتها .

وأتصور أن هذه الأنغام هى صوت أبواب تفتح ، وسلاسل تتحطم ، وقيود تنكسر ، وحياة جديدة تبدأ .

وأتصورهم قادمين يدقون بابى ، ويطلبون منى أن أرتدى ملابسى ، وأن أذهب لمقابلة المأمور ، والمأمور يقول لى أن أمرا صدر بالافراج عنك !

وأسرع إلى زنزانتى أجمع ملابسى .. لا .. أننى لن أجمعها . سأوزعها على هؤلاء العرايا من زملائى المساجين . لقد وزعت عليهم طوال هذه الشهور الأمل والايمان يسترون بهما أرواحهم القلقة العارية . والآن سأعطيهم الملابس ليغطوا بها أجسامهم المريضة العارية . ولكن حالتى المالية الآن لا تسمح لى أن أكون كريما كما أحب .

فلن أعطيهم ملابسى كلها . فقد تكون ملابسى فى بيتى بالزمالك أكلتها العتة ، سأكتفى بأن أعطيهم بعض ملابسى ! وكل السجائر . وكل المأكولات ! وأنا أتصور أنهم سيفرحون لنجاتى . لقد كانوا كلهم يدعون لى بالفرج . أن الله استجاب دعوتهم لى ، وسوف يستجيب دعواتى لهم . وأريد أن أخرج من السجن إلى قبر أمى . أننى أشعر بأنها كانت تحرسنى من السماء . سوف أذهب وأشكرها . وأقول لها أننى أحسست بيدها تمتد من السماء وتأخذ بيدى . ولكن قد يكون الافراج بشرط أن أذهب إلى بيتى مباشرة . سأكتفى بأن أقرأ لها الفاتحة من بعيد . وأنا أمر من الطريق الذى يتجه إلى شارع محمد على ، وإلى حيث يوجد الامام الشافعى .

وسوف أذهب إلى بيتى فى الزمالك . ربما أجده لا يزال مقفلا ولا يزال الحارس واقفا أمامه يحرس أختام الشمع الأحمر . فقد لا تكون النيابة سمعت بقرار الافراج عن بيتى المغلق ، وفتحت البيت .

أننى أحلم بهذا اليوم السعيد ! أحلم بأنه سيكون فى شهر يونيو وربما شهر يوليو ، ان شاء الله ، وقد لا تجىء كل هذه السعادة مرة واحدة ، وقد تأتى على درجات ، ولكنى أشعر أنها ستأتى .. حتى ولو بعد عشر سنوات !

ويقول كونفوشيوس : كثيرون يبحثون عن السعادة فيما هو أعلى من الانسان ، وآخرون فيما هو أوطى منه . ولكن السعادة بطول قامة الانسان .

وسعادتنا طويلة ، لأن قامتنا طويلة ! ولابد أن القدر يستغرق وقتا طويلا فى تفصيل بذلة السعادة التى سأرتديها ! وهذا هو سبب طول الانتظار ! ولا يضيرنى أن أعيش عاريا بضعة شهور أو بضع سنوات ، فاننى مؤمن بأن بذلة السعادة سوف تجىء على مقاسى . وأنها ستكون جميلة ، وجديدة ، وواسعة بحيث أستطيع أن أتحرك فيها !

اننى لا أتصور أنها ستكون كفنا ، أو بذلة زرقاء ، وإلا لما احتاجت إلى هذا الزمن الطويل لاعدادها . فالمصائب لا تنتظر ، وانما هى كالهبوط إلى الهاوية ، ولكن السعادة هى أشبه بقمة الجبل ، تحتاج إلى وقت ، وإلى مجهود ، ومن هنا فإن قلبى يحدثنى ، بأن الفرج سيجىء يوما، وأن الله لن يتخلى عنا ، وأن أيامنا المقبلة ستملأها الضحكات والابتسامات والأحلام .

أن الترزى الذى يصنع لنا بذلة السعادة ترزى بطىء ، ولكنه فنان ، يصنع البذلة بذوق وبدقة وباتقان ، وإذا كانت هناك محطات بيننا وبين السعادة ، فانها ستكون أشبه بالبروفات التى يقوم بها الترزى ليتأكد أن البذلة الجديدة على المقاس المطلوب !

أن الأزمات فى حياتنا هى التى تصنع الحيوية لهذه الحياة ! أنها التى تعطى أيامنا شخصيتها وروحها . فالحياة بدون أزمات بل أشبه بماء مقطر صاف بدون ميكروبات ، وبدون جراثيم ، ولكنه فى الوقت نفسه بدون طعم ! أشبه بامرأة رائعة الجمال بدون روح ، أو هى قطعة من الحجر ، ولولا ضربات الأزميل على الحجر ، والأجزاء التى تناثرت وتساقطت منه ، لما تحول هذا الحجر إلى تمثال جميل ! فلا يجوز لنا أن نضيق ونتألم بضربات المعول علينا ، أنها هى التى تصنع تقاطيعنا الجميلة ، أنها هى التى تخلق لنا العيون والملامح فى التمثال الرائع الذى سيخلب أنظار الناس !

أن حياتنا لم تكن سهلة أبدا . أن هذا ليس السجن الأول الذى ندخله . أن المقادير وضعتنا فى زنزانات كثيرة متعددة وخرجنا منها . أن قيودا ثقيلة ربطت أيدينا وأرجلنا ، وأرواحنا . ثم حطمناها . اننا تحملنا من المقادير أشكالا وألوانا من العذاب . كأنها سياط لم تكن تجعلنا ننكفىء على وجوهنا ، بل كانت تدفعنا لنمضى فى طريقنا . لم تكن حياتنا كلها أفراحا ، كانت المآتم فيها أكثر من الأفراح . كانت الدموع أضعاف الضحكات . كانت الهزائم أكثر من الانتصارات . ولكن لابد أن نعيش الليل لنصل إلى النهار ، ونقاوم العواصف والأنواء لتمسك أيدينا بالشاطىء . فلا أرباح بغير ضرائب . وكلما كانت الأرباح أكبر كانت الضرائب أفدح ! ولقد كنا نتصور فى وقت من الأوقات أننا سنقتل على مكاتبنا دفاعا عن الثورة التى آمنا بها . وكنا لا نخاف هذا الموت ولا نخشاه . فالذى أصابنا هو أقل كثيرا مما كنا ننتظره . أن الله لطيف بنا . والأيام وهى تقسو علينا أحاطتنا برحمة الناس وحبهم . ولهذا فيجب أن نحمد الله ، ونشكره . أعطانا الداء

والدواء . منحنا الألم والصبر . ملأ عيوننا بالدموع . وأرواحنا بالمناديل التي جففت هذه الدموع .

إن أخي ينقصني كثيرا . لا أتصور أنه مضى الآن أكثر من عام دون أن نلتقي ، دون أن نجلس معا بغير أن نتبادل الكلمات ، وكأننا نتحدث ونتناقش ، وكنت أشعر بكل ما يجول في رأسه دون أن ينطق به . وكان يحس بما أريد أن أقوله قبل أن أقوله . ومع ذلك فأنا أحس به على هذا البعد القاسي بجانبي . وأسمع صوته . وأرى عينيه ، إيمانه وثقته بالمستقبل ، وأمله في أن كل شيء سيكون على ما يرام ، وستنتهي كل الآلام والدموع والمتاعب ونعود إلى حياة التوأمين العادية ، بلا فراق ، ولا وداع ..

❊ ❊ ❊

سيجيء يوم قريب ، أو بعيد ، يخرج فيه الناس من قبورهم . المظالم هي قبور يوضع فيها الأحياء . وسيكون يوم الحرية هو يوم قيامة جديدا !

❊ ❊ ❊

ان حروف كلمة الظلم هي من حروف كلمة الظلام . ذلك أن الظلام هو الذي يجيء بالظالمين !

وسينتهي الليل الطويل ..

وستشرق الشمس من جديد ! ..

نص الحكم على ملك التعذيب
قضية صلاح نصر
الحكم على صلاح نصر
بالسجن ١٠ سنوات

هيئة المحكمة الموقرة

مكونة من :

● السيد المستشار :

أنور حسن مرزوق - رئيسا

● وعضوية السيدين المستشارين :

محمد مصطفى حسن

وعبدالمعطى السيد ناصر - عضوين

● وعضوية الأستاذين :

أحمد سمير - رئيس النيابة

وعبدالحميد البحيرى - وكيل النيابة الذى ترافع فى الدعوى .

وأمانة سر / سليمان عياد وعلى أبو السعود

المتهم فيها :

صلاح نصر / مدير عام المخابرات العامة سابقا

حسن عليش / وكيل المخابرات العامة سابقا

أحمد يسرى الجزار / من كبار منظمى المخابرات العامة سابقا وقد استغرقت هذه المرافعة أربعة أيام

باسم الشعب
محكمة جنايات القاهرة

المشكلة علنا برئاسة السيد المستشار أنور حسن مرزوق رئيس المحكمة ، وعضوية السيدين المستشارين : محمد مصطفى حسن وعبدالمعطى السيد ناصر (المستشار بمحكمة استئناف القاهرة) .

وحضور الأساتذة : أحمد سمير سامى رئيس النيابة ، وعبدالحميد البحيرى وكيل النيابة ، وسليمان عياد وعلى أبو السعود أمينا سر المحكمة .

أصدرت الحكم الآتى :

فى قضية النيابة العامة رقم ٣٨٤٢ / ١٨٠ كلى سنة ١٩٧٥ حدائق القبة .

وحضر الأستاذ / محمد شوكت التونى مع المدعى المدنى والشاهد الأول فى الدعوى الأستاذ / مصطفى أمين يوسف وأدعى مدنيا بمبلغ ٥١ جنيها على سبيل التعويض المؤقت قبل المتهمين الثلاثة متضامنين .

١ ـ صلاح محمد نصر	٥٥ سنة
٢ ـ حسن زكى عليش	٥٣ سنة
٣ ـ أحمد يسرى الجزار	٤٨ سنة

وحضر للدفاع عنهم الأساتذة على الرجال (المحامى مع الأول) ، ومحمد عبدالله (المحامى مع الثانى) ، وعاطف الحسينى (المحامى مع الثالث) ، بعد سماع أمر الاحالة وطلبات النيابة العامة وأقوال المتهمين وسمع أقوال الشهود والمرافعة والاطلاع على الأوراق ، وما تم فيها من تحقيقات ، وما دار بشأنها فى المذكورين بأنهم فى الفترة ما بين ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ و ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ (بدائرة قسم حدائق القبة محافظة القاهرة : بصفتهم مستخدمين عموميين ، الأول رئيسا لهيئة المخابرات العامة ، والثانى والثالث يعملان بهذه الهيئة) ، أمروا بتعذيب مصطفى أمين يوسف المتهم فى الجناية رقم ١٠ سنة ٦٥ أمن دولة عليا ، لحمله على الاعتراف بمقارفته الجريمة المسندة إليه فى الجناية سالفة الذكر . وقد أحالتهم إلى هذه المحكمة لمحاكمتهم طبقا للقيد والوصف والمواد الواردة بقرار الاحالة .

وبجلسة ١٥ فبراير سنة ١٩٧٦ بدأ نظر الدعوى كما هو مبين بمحضر الجلسة ، وتوالت جلسات النظر حتى جلسة يوم ٢٥ مايو ١٩٧٦ إذ صدر القرار بحجز القضية للحكم لجلسة اليوم ٢٦ / ٦ / ١٩٧٦

المحكمة

حيث أن وقائع الدعوى حسبما استبانتها المحكمة من الإطلاع على الأوراق والمداولة قانونا . حيث أن النيابة العامة انهت الجلسة ، تخلص فى أن المتهم حسن زكى عليش ، بصفته رئيسا لهيئة الأمن القومى بالمخابرات العامة ، أبلغ بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٩٦٥ نيابة أمن الدولة العليا بأن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف ـ وهو رئيس تحرير الأخبار ـ يقوم بالتخابر والعمل لحساب المخابرات الأمريكية وضد أمن وسلامة الدولة ،

وبأنه سيجتمع مع مندوب المخابرات الأمريكية فى الساعة الثانية من مساء يوم الأربعاء ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ بمسكنه بالقاهرة / ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك أو فى منزله بالاسكندرية رقم ٢٦ شارع الاسماعيلية بمصطفى باشا ، وطلب الأمر بضبط هذا الاجتماع وتفتيش مسكنيه ومكتبه بالجريدة . وبتاريخ ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ قام المتهم الثالث أحمد يسرى الجزار بصفته وكيل هيئة الأمن القومى على رأس قوة من أفراد المخابرات العامة إلى الاسكندرية ومعهم وكيل نيابة أمن الدولة ، حيث تم القبض على المجنى عليه مصطفى أمين يوسف أثناء جلوسه فى حديقة داره مع بروس تايلور أوديل الملحق بالسفارة الأمريكية . ونقل من الاسكندرية فى الساعة الرابعة مساء مكبل اليدين بالحديد ومعصب العينين إلى القاهرة ، حيث وصلوا دار المخابرات العامة قبيل غروب الشمس واحتجزوه فيها دون ثمة سؤال ، حتى إذا ما كانت الساعة التاسعة والنصف من مساء اليوم التالى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ مثل المجنى عليه أمام رئيس نيابة أمن الدولة العليا ، واستمر التحقيق معه وبحضور النائب العام السابق حتى الساعة الثالثة من صباح يوم ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ حيث أمر بحبسه احتياطيا . وبدلا من أن يرحل المجنى عليه إلى أحد السجون العمومية أو المركزية تنفيذا لأمر الحبس الصادر ضده ، أودع سجن المخابرات دون أمر كتابى صريح من النيابة العامة .

وكان المتهم الثانى حسن زكى عليش قد طلب فى ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ من رئيس نيابة أمن الدولة العليا اصدار أمره بالقبض على كل من مصطفى كمال ابراهيم وابراهيم صالح محمد (الصحفيين بدار الأخبار) وتفتيشهما وتفتيش محال اقامتهما وذلك لتحريرهما تقارير تتضمن معلومات عثر عليها لدى المجنى عليه مصطفى أمين يوسف ، غير أن رئيس النيابة رفض هذا الطلب لأن ما نسب إلى هذين الصحفيين لا يشكل فى حقهما آية جريمة تبرر اتخاذ أى اجراء قبلهما ، فما كان من المتهم الثانى حسن زكى عليش إلا أن استنجد بالمرحوم المشير عبدالحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة والنائب الأول لرئيس الجمهورية الذى اتصل برئيس النيابة وطلب منه القبض على هذين الصحفيين بدعوى أن البلد مازال فى حالة ثورة وأن التعلل بالقانون يعتبر تخلفا الأمر الذى من أجله قد تقدم المتهم الثانى أيضا ببلاغ نسب فيه إلى هذين الصحفيين التعاون مع المجنى عليه ، فصدر أمر النيابة العامة بضبطهما وتفتيشهما ثم حبسهما بعد استجوابهما ..

طريق غير مشروع

ونظرا لأن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف لم يعترف عند ضبطه أو استجوابه بالتهمة المسندة إليه ، ولما كانت التسجيلات الصوتية التى حصلت عليها هيئة الأمن القومي بالمخابرات العامة والتى سجلت بعض اجتماعات المجنى عليه مع الضابط الامريكى قد اخذت بطريق غير مشروع مما خشى معه تقديم هذه التسجيلات الى المحقق يوم بدء التحقيق فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ فقد طلب المتهم الأول صلاح محمد نصر من المجنى عليه عقب استجوابه اول مرة ان يكتب اقرارا فى صورة التماس وذلك للرئيس السابق جمال عبدالناصر يعترف فيه صراحة بالتهمة المنسوبة إليه وعلى الا يذكر ان اتصاله كان بتكليف من المسئولين . وإذ رفض المجنى عليه مصطفى امين يوسف ذلك الطلب أمر المتهم صلاح محمد نصر رئيس المخابرات العامة بتعذيبه حتى يذعن لما طلبه منه وتنفيذا لذلك الأمر اقتاده معذبوه إلى زنزانة بالدور الأرضى بمبنى المخابرات بداخلها مقعد دائرى بين الفاظ التهديد والوعيد ، ثم جردوه من ملابسه حتى أصبح كيوم ولدته امه ، وسلطوا عليه الكشافات المضيئة القوية التى كادت تعمى عينيه ثم انهالوا عليه ضربا بالايدى وركلا بالأقدام ، ثم قيدوه إلى الحائط من يديه وقدميه وقاموا بنزع شعر جسده وعانته بايديهم ، وفى قسوة ، وأخذوا يلدغونه بأظافرهم فى جسده ، ثم ربطوا قضيبه بسلك كهربائى وأطلقوا قيده وأخذوا يجذبونه منه ، وانهالت عليه ألفاظ السباب البذيئة حتى سب أمه فاضطر إلى الخضوع لمطلبهم لعدم تحمله ما لاقاه من ألوان التعذيب البدنى ، فصعدوا به إلى غرفة بالدور العلوى حيث أحسنوا وفادته . وبدأ يكتب ما يرضون عنه أو يملونه عليه حتى إذا لم يمتثل لأوامرهم أو يكتب ما لايرضون عنه أنزلوه إلى زنزانته بالدور الأول ليعيدوا عليه الكرة ويقدموا إليه وجبة اخرى من التعذيب المماثل فضلا عن حرمانه من الطعام والشراب حتى اضطرنى أثناء ذلك الى شرب ماء الاستنجاء بل وشرب بوله . واستمر الحال على هذا المنوال بين تعذيب وراحة حتى انتهى المجنى عليه من كتابة ما راق لهم من اقرار وبالصورة التى قدم بها هذا الاقرار الى المحقق فى يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥

مشاهدة التعذيب

وكان المتهمان الأول صلاح محمد نصر والثانى حسن زكى عليش يترددان على المجنى عليه أثناء تعذيبه ومعهما بعض المتهمين فى القضية رقم ٩ سنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا المعروفة باسم قضية الحزب الشيوعى العربى وهم شفيق أندراوس بشارة وعدلى أبادير غطاس وأنور مصطفى جمعة زعلوك ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان ، وذلك ارهابا لهم وزهوا بسلطانهم .

وكان المجنى عليه مصطفى أمين يوسف أثناء استجوابه فيما جاء بالاقرار المذكور واقعا تحت تأثير ماذاقه من ألوان التعذيب سالفة الذكر فضلا عن التلويح له باعادة تعذيبه إذا ما فكر فى العدول عما سطره فى الاقرار السابق ذكره أو ذكر التعذيب أمام المحقق ..

هذا وقد ترك التعذيب الجسدى بالمجنى عليه آثارا ظل بعضها ظاهرا حتى أثبته المحقق العسكرى فى ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ عند مناظرته المجنى عليه بمناسبة سؤاله فى الشكوى المقدمة منه بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٦٨ بشأن تعذيبه ، وهى علامات سوداء أسفل الركبة وأيضا أسفل الساق ناحية القدم . كما لاحظ وجود أثر غائر فى منتصف الركبة اليمنى ووجود علامتين أسفل الذقن ، والثانية ممتدة ناحية اليسار ، وعلامات غائرة حول رأس القضيب كما ثبت من الكشف الطبى الموقع على المجنى عليه فى ٣ / ٤ / ١٩٦٨ بليمان طره وجود أثر التئام قديم لجرح صغير بقمة الرأس وأثر التئامين صغيرين بمقدمة الساق اليسرى .

وبعد انتهاء التحقيق مع المجنى عليه مصطفى أمين يوسف بمبنى المخابرات رحل الى سجن الاستئناف فى ١ / ١٢ / ١٩٦٥ حيث حرر رسالة فى ٦ / ١٢ / ١٩٦٥ إلى الرئيس السابق جمال عبدالناصر يشكو له فيها مما تعرض له من تعذيب بمبنى المخابرات العامة ، وهربها إلى الصحفى سعيد فريحة (صاحب دار الصياد بلبنان) الذى عرضها على السيد على السيد فائق السمرائى الذى نصح بعد ابلاغها الى الرئيس السابق جمال عبدالناصر خوفا على حياة المجنى عليه مصطفى أمين يوسف فيما لو علم بها المتهم الأول ـ صلاح محمد نصر .

وقدم المجنى عليه لمحاكمة أمام المحكمة العسكرية العليا ، حيث أفضى إلى هيئة الدفاع عنه ـ وكان من بينهم الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامى ـ بما تعرض له من تعذيب . وقضت تلك المحكمة بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة . ثم رحل إلى ليمان طرة حيث زارته لجنة الحريات

المشكلة من بعض أعضاء مجلس الشعب لتقصى الحقائق ، وكان من بين أعضائها السيد سيد جلال والسيدة كريمة العروسى اللذان التقى بهما المجنى عليه مصطفى أمين يوسف وأخبرهما بما وقع عليه من تعذيب كما روى للدكتور عز الدين عبدالقادر احد زملائه بالليمان ما حدث له فى هذا الشأن .

محـــاولات الأصـــدقاء

وقد حاول بعض أصدقاء المجنى عليه - وهم السيد محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق والسيد فائق السمرائى سفير العراق السابق بمصر - التوسط لدى الرئيس السابق جمال عبدالناصر للافراج عن المجنى عليه ، غير أن مسعاهما قد باءت بالفشل لعدم استجابة الرئيس السابق جمال عبدالناصر لمطلبهما تاديبا للمجنى عليه جزاء ما نسبه اليه من أن منع الولايات المتحدة الأمريكية توريد القمح إلى مصر سيرغمه على الركوع لها ، فضلا عن الكيد للولايات المتحدة الأمريكية . هذا بالاضافة الى ما قرره المتهم الاول صلاح محمد نصر للدكتور بهى الدين شلش بأن المجنى عليه قد ظلم فى قضيته .

الوقـــائـع ثابتـــة

وحيث أن الوقائع سالفة الذكر قد ثبتت لدى المحكمة ثبوتا كافيا وتوافرت الأدلة على صحتها من شهادة كل من المجنى عليهم : مصطفى أمين يوسف وشفيق اندراوس بشارة وعدلى ابادير غطاس وانور مصطفى زعلوك ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان والسيد سيد جلال والسيدة كريمة العروسى والأستاذ محمد محمد عبدالسلام مصطفى المحامى والدكتور عز الدين عبدالقادر والأستاذ فائق السمرائى والمستشار سمير ناجى والدكتور بهى الدين شلش ، ومما قرره السيد محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق ، وكذلك من محضر تحقيق المدعى العام العسكرى ، ومما جاء بالكشوف الطبية للمجنى عليه وشهود الرؤية المرفقة بالأوراق .

فشهد المجنى عليه الصحفى مصطفى امين يوسف انه فوجىء فى أثناء جلوسه مع أحد ضباط المخابرات الأمريكية (بروس تايلور اوديل) بحديقة منزله بالاسكندرية الساعة الثانية ظهر يوم ١٩٦٥/٧/٢١ بقوة من افراد المخابرات العامة برئاسة المتهم الثالث احمد يسرى الجزار يقتحمون عليه هذا الاجتماع . وكان فى صحبتهم وكيل نيابة امن الدولة العليا الذى

سأله عن سبب هذا الاجتماع فأجابه بأنه مكلف من قبل المسئولين بالاتصال برجال السفارة الأمريكية للحصول منهم على ما يهم الدولة من معلومات . ثم اقتيد مكبل اليدين ومعصوب العينين في سيارة الى مبنى المخابرات العامة بالقاهرة . وعند استجوابه أمام رئيس نيابة أمن الدولة العليا في اليوم التالي ردد ما قاله في أول الأمر . وبعد انتهاء التحقيق معه يوم ١٩٦٥/٧/٢٣ طلب منه المتهم الأول صلاح محمد نصر كتابة ما دار بينه وبين ضابط المخابرات الأمريكية من أحاديث وما تضمنته تلك الأحاديث من معلومات ، وذلك في صورة إلتماس مرفوع للرئيس السابق جمال عبدالناصر وعلى ألا يذكر في هذا الالتماس انه مكلف من المسئولين بهذا الاتصال . ولما رفض هذا الطلب أمر المتهم الأول صلاح محمد نصر بتعذيبه حتى يرضخ لطلبه . وبدأ التعذيب بإنزاله زنزانة بالدور الأول ، وأجلسوه على مقعد دائرى في وسطها بعد أن خلعوا عنه جميع ملابسه حتى أصبح عاريا منها تماما ، وسلطت عليه الأنوار الكاشفة القوية الاضاءة ، ومنع عنه الطعام والشراب في فترات حتى اضطر الى شرب ماء الاستنجاء وشرب ماء بوله ، ثم شدوا شعر جسده وعانته وهو مقيد اليدين والقدمين الى الحائط ، ثم قاموا بفك قيده وربطوا قضيبه بسلك كهربائى ، وأخذوا يجذبونه منه وكان في معظم الأحيان معصوب العينين . وانهال عليه السباب وبأقزع الألفاظ حتى سب أمه مما اضطره تحت وطأة التعذيب وتلك الاهانات الى الانصياع الى طلب المتهم الأول وهو كتابة الاقرار الذى كان يشرف على كتابته معاونو المتهم الأول ومن بينهم المتهمان : الثانى حسن زكى عليش والثالث أحمد يسرى الجزار . وقد استغرق ذلك عدة أيام . وبلغ عدد صفحاته ستين صفحة . وكان إذا أجاب مطلبهم تركوه وإذا رفض تحرير ما يملونه عليه عادوا إلى تعذيبه حتى أتم كتابة الاقرار ، ثم بدأ استجوابه فيما جاء بهذا الاقرار وذلك يوم ١٩٦٥/٨/٤ يلاحقه التهديد بالتعذيب . وكان التعذيب بأمر المتهم الأول صلاح محمد نصر . وكان يحضر بعض جلساته المتهمان الثانى والثالث . وكان المقصود من التعذيب هو الاعتراف بجريمة لم يرتكبها . وأن الاقرار الذى حرره جبرا كان يحوى وقائع كاذبة كسفر أم كلثوم لعلاجها بالذرة ، وأن مجلة المختار كانت بمقابل وانه لو لم يقع عليه التعذيب لما كتبه ، وأن التسجيلات التى سجلت اجتماعاته مع ضابط المخابرات الأمريكية قد حدث بها تعديلات ، ولأنه كان يعذب وهو معصوب العينين لم يشاهد أحدا أثناء التعذيب ، وأن الذين شاهدوه وهو يعذب أخبروه بعد ذلك بالسجن وهم شقيق اندراوس

غالى وعدلى أبادير ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان وانور جمعة زعلوك الذين كانوا متهمين فى قضية الحزب الشيوعى العربى ، وانه بعث برسالة موجهة الى الرئيس السابق جمال عبدالناصر يذكر فيها ما ناله من تعذيب أرسل صورة منها الى الأستاذ سعيد فريحة الصحفى وذلك فى ١٩٦٥/١٢/٦ الذى أخبره أن الرسالة لم تصل الى علم الرئيس السابق جمال عبدالناصر تنفيذا لنصيحة الأستاذ فائق السمرائى خوفا على حياته فيما لو علم بها المتهم الأول صلاح محمد نصر ، وانه لم يذهب الى الولايات المتحدة الأمريكية إلا مرة واحدة خلال المدة من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٦٥ وفى رفقة الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، وكانت اتصالاته هناك برجال الحكومة الأمريكية بأمره . وقد ذكر وقائع التعذيب لهيئة الدفاع عنه أثناء محاكمته أمام المحكمة العسكرية العليا ، وكان من بينهم الأستاذ محمد عبدالسلام المحامى ، وأن المتهم الأول أرسل إليه برسالة شفوية مع الدكتور بهى الدين شلش يخبره فيها بأنه مظلوم فى قضيته وانه بعث مع الأخير الى المتهم الأول بإقرار كتابى بهذا المضمون ليوقعه ، وقد أخبر الدكتور بهى الدين شلش بما وقع له من التعذيب ، وقد زارته فى سجنه بليمان طرة لجنة تقصى الحقائق والتى كانت مشكلة من بعض أعضاء مجلس الشعب ، وكان من بينهم السيدة كريمة العروسى والسيد سيد جلال ، وقد أخبرهما بما وقع له من تعذيب .

شـــهادة انـدراوس

وشهد شفيق اندراوس بشارة أنه ضبط متهما فى قضية الحزب الشيوعى العربى فى ١٩ / ٨ / ١٩٦٥ واقتيد الى مبنى المخابرات العامة وهو معصوب العينين ، وهناك أمروه بخلع حذائه ، وادخلوه فى غرفة بداخلها ثلاثة ضباط وأجلسوه على مقعد متحرك وسلطوا عليه كشافا كهربائيا قوى الاضاءة ، ثم قادوه إلى زنزانة وخلعوا عنه ملابسه ، ثم بدأت معه عملية الضرب ، وأمروه بالصعود على مقعد يقف عليه . وفى مرحلة من مراحل التعذيب قاموا بنفخه حتى أغمى عليه ، ثم علقوه فى فلكة ورفعوه الى أعلى وأخذوا يضربونه على قدميه ، وحتى لا يصيح أدخل أحد الضباط حذاءه فى فمه عنوة . وكل ذلك حتى يحملوه على الاعتراف . ولما لم يذعن لطلبهم انهالوا عليه ضربا بالعصى حتى أغمى عليه ، ثم اصطحبوه الى غرفة أخرى وهو معصوب العينين ، وهناك رفعوا العصابة حيث شاهد المجنى عليه مصطفى أمين يوسف وهو عار من ملابسه ، وقد ربط قضيبه بسلك

كهربائى ويشده منه أحد الحراس . وكان آخر يشد عانته ، وثالث يضربه بعصا . وكان مصطفى أمين أثناء وقوفه وبجواره عدد من الضباط ومن بينهم المتهم الأول صلاح محمد نصر الذى هدده بأنه سيعذبه أضعاف ما عذب به المجنى عليه ، ثم أخذوه إلى حجرة أخرى بعد أن وضعوا على عينيه عصابة وأمروه بخلع ملابسه وعلقوه من قدميه فى كلبشات الى أعلى ورأسه لأسفل ، وبدأوا فى ضربه ضربا متواصلا وهو يصرخ حتى أغمى عليه . وكان التعذيب يصاحبه الحرمان من الطعام والشراب رغم شدة الحر . ولما لم يذعن لطلبهم اخذوه الى حجرة أخرى حيث قيدوا يديه بكلبشات مُثبتة بالحائط وظهره لهم ، ثم انهال عليه الضرب بالعصى على جسمه وهو عار من ملابسه ، ثم اقتيد الى حجرة أخرى بوسطها مقعد صغير مثبت بالأرض ، وطلبوا منه الصعود عليه وهو مكبل اليدين وأمروه بعمل خطوات تنظيمية حتى اذا تعب ضربوه بالعصى . وفى حجرة أخرى وضع أحد الضباط سلكا كهربائيا على جسمه ثم سلط عليه التيار الكهربائى فكان يصرخ ويقفز الى أعلى . وتكرر ذلك عدة مرات حتى انهارت قواه وخضع لمطلبهم وأقر بما كانوا يطلبون منه الاقرار به وبأنه عضو فى منظمة شيوعية . وأن آثار الضرب مازالت باقية فى قدميه ، وأثبت الطبيب الشرعى ذلك عند الكشف عليه فى أوائل مارس ١٩٦٨ ، وأن سبب مشاهدته المجنى عليه وهو يعذب هو للارهاب والاذلال ، وانه قابل بعد ذلك المجنى عليه فى سجن الاستئناف عقب ترحيله من مبنى المخابرات فى ١٩٦٥/١٠/٢٦ وانه فى أثناء ذلك أخبره عن التعذيب وما ناله من عذاب ..

شـــهادة زعـــلوك

وشهد أنور جمعة زعلوك بأنه قبض عليه فى يوم ١٩٦٥/٧/٢٥ واقتيد الى مبنى المخابرات العامة وهو معصوب العينين . وهناك اجبروه على خلع ملابسه وسلطوا عليه كشافات كهربائية ذات قوة عالية . واستمر ضربه حتى يعترف أنه شيوعى . وفى حجرة أخرى قاموا بقيده الى الحائط . ومنع عنه الطعام والشراب . وكان التعذيب بإشراف وبحضور وأمر صلاح محمد نصر ونائبه حسن عليش . ولما رفض طلبهم الاعتراف ازدادت مراحل التعذيب . ثم نقلوه الى غرفة حيث علق ساعات بعد قيد يديه فى كلبشات حديدية ثم رفع جسمه وظل معلقا عدة ساعات بغير طعام أو شراب . ولما لم يستجب الى طلبهم أخذوه الى غرفة أخرى حيث شاهد

المجنى عليه مصطفى أمين يوسف عاريا مثله وقد ربط قضيبه بسلك كهربائى يجره منه أحد معذبيه فى أنحاء الغرفة . وكان المجنى عليه أثناء ذلك يهدده صلاح نصر بأنه لن يفلت من يديه ، ثم اعتدوا عليه بالضرب بالأيدى والركل بالأقدام ، وقد انهالت عليه ألفاظ السباب وسب أمه ، وعندئذ صرخ مصطفى أمين وبكى ، ثم أخرجوه من غرفة المجنى عليه إلى غرفة أخرى حيث فوجىء برفعه الى أعلى من قدميه ، وأدخلوا فى فتحة شرجه آلة معدنية ، وبدأوا فى نفخه مما سبب له أضرارا كبيرة حتى أغمى عليه . ولما لم يتمثل إلى مطلبهم أخذوه إلى حجرة أخرى حيث قيدوه من يديه وقدميه وقاموا بخلع ظفر أصبعه الأيسر وكذا الوسطى والابهام الأيسر وذلك بآلة معدنية حتى أغمى عليه . وبعد الضغط النفسى وألوان التعذيب وتهديده بأحضار زوجته وبناته واخواته للاعتداء عليهن لم يجد بدا من الاستسلام لرغبتهم وكتب ما أملاه عليه صلاح نصر وحسن عليش وحقق معه أمام النيابة العامة وفى حضور افراد المخابرات ، ولم يخرج فى التحقيق عن مضمون الاقرارات المزورة التى حررها جبرا عنه خوفا منهم ، وكان أثناء اقامته فى مبنى المخابرات يسمع صراخا لأصوات مختلفة منها صراخ أطفال ، وأن رؤيته لمصطفى أمين وهو يعذب كان للارهاب النفسى وانه قابل مصطفى أمين فى السجن بعد خروجه من مبنى المخابرات العامة فى ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ ، وأن أعضاء لجنة تقصى الحقائق عند حضورها إلى ليمان طرة ومن بينهم السيدة كريمة العروسى اجتمعت بالمسجونين السياسيين ومن بينهم المجنى عليه مصطفى أمين يوسف حيث شرحوا لهم ما لاقوه من تعذيب .

* * *

وشهد محمد عبدالغنى النشرتى أنه قبض عليه فى ٣١ / ٧ / ١٩٦٥ واقتيد الى مبنى المخابرات العامة متهما فى قضية الحزب الشيوعى العربى . وقد كبلت يداه وعصبت عيناه . وفى غرفة من إحدى الغرف كانت الكشافات شديدة الحرارة قد سلطت عليه ، ولما طلبوا منه الاعتراف بما يعرفه عن الحزب الشيوعى العربى نفى علمه به . فبدأ تعذيبه بخلع ملابسه ، ثم قيدوا يديه من الخلف . وظل كذلك حتى صباح اليوم التالى . وهددوه بالعذاب الشديد إن لم يعترف . ولما لم يمتثل لهم أخذوه الى غرفة أخرى حيث القيت على رأسه وظهره رمال محمية ، واستأنفوا ضربه بالعصى والسياط ، ثم علقوه من قدميه ، وهو يصرخ مستغيثا طالبا شرب الماء الذى حجبوه عنه . وفى غرفة أخرى قيدوه وبدأوا معه عملية كى

القضيب والخصيتين بجسم ملتهب لمدة ربع ساعة وهو يصرخ . وفى منتصف الليل أوثقوه ووضعوا دبابيس فى عنقه من الخلف ثم نزعوها . وشعر بالدم يسيل على عنقه . ثم اقتيد معصوب العينين الى غرفة أخرى حيث رفعوا العصابة عن عينيه ، وشاهد المجنى عليه مصطفى أمين يوسف عاريا من ملابسه ومقيدا الى الحائط من يديه وقدميه والأنوار الكاشفة مسلطة عليه والعرق يتصبب من جسمه . ثم اقتيد الى غرفة أخرى حيث قيد من قدميه ويديه ووضعوا فى فتحة شرجه خرطوما وأحس بدخول غاز بارد أحدث آلاما مبرحة فى أمعائه . ثم أغمى عليه . وبعد أن أفاق عادوا الكرة عليه . ثم بدأ أحدهم بنزع أظافر قدمه اليمنى الخمس وهو يصرخ بشدة ، وعندئذ أذعن لمطلبهم وكتابة ما يملونه عليه وهو أنه متفق جنائيا مع باقى المتهمين فى قضية الحزب الشيوعى العربى لقلب نظام الحكم واغتيال الرئيس السابق جمال عبدالناصر . ثم أملوه بعد التهديد اقرارا آخر . ولما حاول اثارة التعذيب أمام وكيل النيابة المحقق أخذوه بحجة تناوله الطعام ، ثم قاموا بإعطائه وجبة أخرى من التعذيب بالضرب والركل . وظل بمبنى المخابرات حتى ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٥ ثم نقل الى سجن الاستئناف . وكانت رؤيته لمصطفى أمين أثناء تعذيبه هى للارهاب . وقابل مصطفى أمين فى سجن الاستئناف وذكر له ما شاهده من التعذيب وقال انه شاهد متهمين آخرين يعذبون فى مبنى المخابرات أثناء نقله من غرفة لأخرى ومنهم أنور زعلوك وعدلى أبادير ، وأن لجنة تقصى الحقائق اجتمعت بالمسجونين السياسيين وأخبرهم المجنى عليه مصطفى أمين بما ذاقه من عذاب ..

* * *

وشهد عادل سليمان انه بعد القبض عليه فى اتهامه فى قضية الحزب الشيوعى العربى اقتيد الى مبنى المخابرات فى ١٩٦٥/٧/٣١ معصب العينين ، واستقبل بعد وصوله بالركل بالأقدام . وجردوه من كل شىء ونزعوا عنه عصابة عينيه . وشاهد مرآة فى الغرفة التى كان بها وفى حضور المتهم الأول صلاح محمد نصر وكذا المتهم الثانى حسن عليش ومعهما عبدالخالق شوقى ، وسألوه عما يعرفه عن الحزب الشيوعى العربى ومصطفى أغا المحامى ، ولما نفى علمه بأى شىء خلعوا عنه ملابسه وبدأوا فى ضربه ، ثم اوثقوه وعلقوه الى أسفل ، ووضعوا وجهه فى فتحة دورة المياه حتى أغمى عليه . ثم رفعوا العصابة من فوق عينيه حيث شاهد رجلا يهذى كالأطفال ، ثم قادوه الى زنزانته . وكانوا يجذبونه من

قضيبه . وكانوا يتدرجون فى التعذيب ويناولونه الماء قطرة قطرة . وأخذوه إلى حيث كان المجنى عليه مصطفى امين يوسف مقيد اليدين والقدمين الى الحائط وقد انهال عليه سيل من السباب فى حضور المتهم الاول وكذا المتهم الثانى ، وانه قابل المجنى عليه مصطفى أمين فى سجن الاستئناف بعد خروجه من مبنى المخابرات العامة فى ١٩٦٥/١٠/٢٦ حيث تبادل معه الحديث عن التعذيب الذى ذاقه كل منهما .

* * *

وشهد عدلى أبادير غطاس أنه قبض عليه فى يوم ١٩ يولية ١٩٦٥ متهما فى قضية الحزب الشيوعى العربى ، واقتيد الى مبنى المخابرات العامة معصوب العينين ، وجردوه من كل ما كان معه وتركوه واقفا فى احدى الغرف مدة تزيد على الساعة ، وسألوه عن علاقته بالأستاذ مصطفى اغا المحامى . وفى حجرة اخرى نزعوا عنه عصابة عينيه وطلبوا منه كتابة ما يعرفه عن ذلك المحامى . وكان يسمع أصوات استغاثة . ولما لم يرضوا عما كتبه أخذوه الى غرفة أخرى وخلعوا عنه ملابسه جميعها ، ثم وضعوا العصابة على عينيه وكبلوا يديه بالحديد وقيدوا قدميه وقاموا بكى ظهره فى أماكن متفرقة ثم صبوا عليها الماء البارد . كل ذلك وهو مشلول الحركة عن كل مقاومة . ثم أمروه بالسير فى الحجرة وهو مقيد القدمين . وكان يتكرر سقوط فى كل مرة يحاول فيها السير . ثم طلبوا منه تحرير اقرار بانضمامه الى الحزب الشيوعى العربى الذى ألفه مصطفى أغا . فكتب هذا الاقرار تحت ضغط التعذيب . ثم أخذه بعد ذلك أحد الضباط وخلع عنه عصابة عينيه وطلب منه تحرير اقرار آخر يذكر فيه أعضاء التنظيم . ولما لم يمتثل الى طلبه أمر بضربه بالسياط أو العصى - لأنه لم يتمكن من معرفة الالة التى كان يضرب بها وهو معصوب العينين - واستمر ضربه حتى أغمى عليه . ولما أفاق وجد الدم يسيل من فمه وقد تخلخلت أسنانه الأمامية التى خلعها طبيب سجن الاستئناف بعد نقله اليه . ولما أفاق من اغمائه طلب منه أحد الضباط كتابة الاقرار المطلوب منه . وقد أعادوا تعذيبه ، وقادوه الى حجرة أخرى وهو معصوب العينين ، وهناك رفع عن عينيه العصابة فشاهد المجنى عليه مصطفى أمين عاريا تماما ومقيد اليدين والقدمين الى الحائط وكان أحدهم يشد شعر عانته . وفى اليوم التالى طلب منه ضابط المخابرات تحرير اقرار بأن مصطفى أغا المحامى عرض عليه وزارة الثقافة وانه قبلها ، فحرر الاقرار كما طلب منه ، ثم بدأت النيابة التحقيق معه . وكانت رؤية مصطفى أمين وهو يعذب لتهديده بعذاب

أكبر . وكان يحضر صلاح نصر تعذيب مصطفى امين . وسمع بعد نقله الى سجن الاستئناف فى ١٩٦٥/١٠/٢٦ انه أى بمصطفى امين تليفونيا وطلب منه أن يعيد (أى مصطفى امين) الطعام والشراب عنه وكذا الأدوية ، وأن كلا من أنور زغلوك ومحمد عبدالغنى النشرتى وعادل سليمان شاهد مصطفى أمين وهو يعذب وأثبت الطبيب الشرعى الاصابات المختلفة بكل منهم من آثار التعذيب ، وانهم شرحوا الى أعضاء لجنة تقصى الحقائق ما لاقوه من تعذيب عند زيارتهم لهم بليمان طره ، كما ذكر لهم مصطفى أمين ما لاقاه من تعذيب ..

— وشهد السيد سيد جلال عضو مجلس الشعب انه كان عضوا فى لجنة تقصى الحقائق التى شكلت من بين أعضاء مجلس الشعب لزيارة المسجونين السياسيين ، وانه توجه مع اللجنة لزيارة ليمان طرة حيث قابل مصطفى أمين المجنى عليه الذى اصطحبه الى زنزانته وذكر له ما ناله من تعذيب ، وانه شاهد معه السيدة كريمة العروسى تنفرد بالمجنى عليه أيضا ، وانه حاول الاتصال ببعض الأشخاص كوزير الداخلية ليبلغه ما حدث للمجنى عليه مصطفى أمين وعلل عدم اثارته واقعة تعذيبه بمجلس الشعب بأنهم جميعا كانوا منافقين ..

— وشهدت السيدة كريمة العروسى (أحد أعضاء لجنة الحريات لتقصى الحقائق بمجلس الشعب) انها ذهبت الى ليمان طره ، وعند مقابلتها للمجنى عليه مصطفى أمين بكى متأثرا لما حدث له من تعذيب وأخبرها بتفاصيله وطلب إعادة محاكمته بعد ادانة صلاح نصر وكذا جميع المسجونين السياسيين . وقد حررت تقريرا سلمته الى رئيس مجلس الشعب اثبتت فيه ما سمعته من مصطفى أمين وما شاهدته بالليمان ..

— وشهد الدكتور عز الدين عبدالقادر انه كان متهما بالتحريض على قلب نظام الحكم . وكان فى فرنسا ثم ذهب لاجئا الى المغرب حيث قابل الرئيس السابق جمال عبدالناصر الذى طلب منه فتح صفحة جديدة . ورحب بحضوره الى مصر . وعقب وصوله الى مطار القاهرة الدولى ومعه زوجته قبض عليهما واقتيدا الى مبنى المخابرات العامة حيث قابل صلاح نصر المتهم الأول . وأمروا بخلع ملابسه وأخذوا فى تعذيبه ونغزه فى ظهره بالسكاكين حتى أغمى عليه . وقدم للمحاكمة وقضى عليه بالعقوبة . وقابل بليمان طره المجنى عليه مصطفى امين وتبادلا الحديث عن التعذيب الذى حدث لكليهما . وأخبره مصطفى أمين انهم كانوا يشدونه من شعر جسمه . وطلب من أعضاء لجنة تقصى الحقائق عند حضورها الى الليمان مشاهدة مصطفى أمين الذى أخبرهم بما ناله من تعذيب .

— وشهد الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامي بأنه ندب للدفاع عن الأستاذ مصطفى أمين في قضية التخابر ١٠ سنة ١٩٦٥ ، وانه ذكر له ما حدث له من تعذيب في أثناء مقابلته له في المحكمة في فترة الاستراحة وأمام هيئة الدفاع التي كانت مكونة منه والاستاذين محمد عبدالله وحمادة الناحل المحامين ، وانهم سمعوا جميعا من المجني عليه ما لاقاه من تعذيب كشد شعر جسمه وعانته ، وأن هيئة الدفاع قررت عدم جدوى اثارة موضوع التعذيب امام المحكمة لأن رئيسها لم يكن يسمح لأى محام باثارة مثل هذه الأمور ، ولأن أمر تشكيل المحكمة المذكورة لا يأخذ بقانون الاجراءات الجنائية .

— وشهد الأستاذ فائق عبدالكريم السمراني سفير العراق السابق بمصر بأنه كانت له علاقة قديمة بالمجني عليه مصطفى أمين يوسف بحكم اشتغالهما بالقضايا العامة وتوقفت هذه العلاقة بينهما عندما عين سفيرا للعراق في القاهرة . وطلب منه الرئيس السابق جمال عبدالناصر الاتصال بمصطفى أمين في القضايا المستعجلة . وكان ذلك سببا في توثيق العلاقة بينه وبين مصطفى أمين . وفي احدى الزيارات له في أواسط سنة ١٩٦٤ اتصل سامي شرف بمصطفى أمين تليفونيا وطلب منه أن يعيد (أى مصطفى أمين) اتصاله برجال الولايات المتحدة الأمريكية ، فأشار (أى الشاهد على مصطفى أمين) أن يتصل بالرئيس جمال عبدالناصر شخصيا وتم هذا الاتصال أمامه فأيد الرئيس السابق جمال عبدالناصر ما أبلغ به سامي شرف المجني عليه مصطفى أمين ، ثم سافر بعد ذلك الى بغداد وسمع وهو هناك بأمر القبض على مصطفى أمين لتخابره مع دولة أجنبية . ثم تردد على مصر عدة مرات بعد ذلك قابل خلالها الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، وقبل صدور الحكم ضد مصطفى أمين . وأخبر الرئيس السابق بأنه كان حاضرا المكالمة التليفونية بين مصطفى أمين وبين سامي شرف وكذلك بين مصطفى أمين وبين الرئيس السابق جمال عبدالناصر وأن اتصال مصطفى أمين برجال الولايات المتحدة الأمريكية كان بناء على طلب الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، فأخبره الأخير انه لم يقل لمصطفى أمين أن تمنع الولايات المتحدة الأمريكية القمح عن مصر . ثم حدثت بعد ذلك عدة اتصالات بينه وبين الأمير طلال ابن عبدالعزيز آل سعود والسيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق وكذلك بين الاخرين وبين الرئيس السابق جمال عبدالناصر الذى أخبرهم بأن مصطفى أمين مظلوم وانه اذا أطلق سراحه وقتئذ فسيضطر لاطلاق سراح الاخوان

المسلمين والشيوعيين ، ووعدهما بإرسال مصطفى أمين الى المستشفى بعد الحكم عليه . وبعد وقوع نكسة ٦٧ وفى الطريق الى مؤتمر الخرطوم عاود الكلام مع الرئيس السابق جمال عبدالناصر وأخبره انه اذا كان ما نشر فى الصحف عن انحراف المخابرات صحيح أفليس من الانصاف أن تعاد محاكمة مصطفى أمين ، بإطلاق سراحه فى أقرب فرصة . وقد كان مقتنعا ببراءة مصطفى أمين . وفى الفترة ما بين ديسمبر ١٩٦٥ وفبراير سنة ١٩٦٦ استدعاه الصحفى سعيد فريحة فى فندق الهيلتون وقدم له رسالة بخط يد مصطفى امين موجهة الى الرئيس السابق جمال عبدالناصر لعرضها عليه ، وانه بعد أن قرأ ما بها من تعذيب طلب من سعيد فريحة أن يعتبر الرسالة كأن لم تكن . وأخبر سعيد فريحة بأنه لن يقدم الرسالة لأنها اذا تسربت من مكتب الرئيس السابق جمال عبدالناصر فستكون حياة مصطفى امين فى خطر ، فاقتنع سعيد فريحة بكلامه ولم يقدم الرسالة . وبعد ذلك تسربت الرسالة الى جريدة الانوار بعد مضى مدة كبيرة . وقد قابل مصطفى أمين مرتين أولاهما بسجن الاستئناف والثانية بليمان طره .

* * *

— وشهد الدكتور بهى الدين شلش بأن المتهم صلاح محمد نصر وكذا المجنى عليه مصطفى امين كانا يعالجان بمستشفى قصر العينى ، وبعد الافراج عن مصطفى امين أبلغ صلاح نصر أنه سيقابل مصطفى أمين فطلب منه الأول أن يبلغه انه كان مظلوما فى اتهامه وأن الرئيس السابق جمال عبدالناصر كان يحاكم مصطفى امين للضغط على الولايات المتحدة الأمريكية . وقد طلب منه مصطفى امين ان يستكتب صلاح نصر مضمون ما ذكره له وأن الأخير لم يوافق . وذكر له مصطفى امين ما ناله من عذاب كشد شعر العانة وجذبه من جهازه التناسلى ..

دور المشير عامر

— وشهد المستشار سمير ناجى انه بعد القبض على المجنى عليه وانتقاله الى مبنى المخابرات بالقاهرة مع رئيس نيابة امن الدولة العليا حضر واقعة طلب المتهم الثانى حسن زكى عليش من رئيس النيابة الأمر بالقبض على الصحفيين مصطفى كمال ابراهيم وإبراهيم صالح محمد اللذين كانا يعملان بدار الاخبار لتحريرهما تقارير وجدت لدى المجنى عليه مصطفى امين يوسف ، وإذ رفض رئيس نيابة امن الدولة هذا الطلب

باعتبار أن ما صدر منهما يدخل فى صميم عملهما ولا يكون اى جريمة أو له شبهة علاقة بما هو مسنود للمجنى عليه مما يجعل القبض عليهما على غير أساس من القانون ، فقد بادر المتهم الثانى حسن زكى عليش واتصل بالمرحوم المشير عبدالحكيم عامر (القائد العام للقوات المسلحة والنائب الأول لرئيس الجمهورية) الذى تحدث تليفونيا مع رئيس النيابة المذكور وطلب منه ما طلبه المتهم الثانى قائلا « قانون ايه بلاش تخلف » ولما أصر رئيس النيابة على موقفه رد المشير « قانون ايه انت مش عارف ان احنا فى ثورة . قانون ايه خلوا قلوبكم معانا » فرد رئيس النيابة بانه يعمل بكل قلبه . وانتهت المكالمة ، وأحس (أى الشاهد) بتأزم الموقف ، وانه فى حدود ما ضبط لا يستطيع أن يقبض على هذين الصحفيين . ثم قدم بلاغ آخر به معلومات من المخابرات عن الصحفيين المذكورين فصدر أمر بالقبض عليهما ..

شــهادة محجــوب

— وقرر السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق جمال عبدالناصر للتوسط فى شأن الافراج عن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف وانه قابله فى منزله بمنشية البكرى واستفسر منه عما اذا كان مصطفى أمين جاسوسا ، فاخبره الرئيس السابق جمال عبدالناصر أنه كلف مصطفى أمين بالاتصال بالمخابرات الأمريكية ليعرف أخبارهم ، ولما أخبروه بان ذلك لا يتم إلا إذا عرفت المخابرات الأمريكية أخبار مصر ، أكد له الرئيس السابق جمال عبدالناصر معرفته ذلك ، ولكن مصطفى أمين قد تجاوز حدود مهمته إذ قال لرجال المخابرات الأمريكية أن الرئيس السابق جمال عبدالناصر يحتاج الى القمح وانه إذا منع عنه القمح فسيركع على ركبتيه للولايات المتحدة الأمريكية وأن هذا الأمر آلمه ولذلك لا يمكنه اطلاق سراحه وقتذاك حتى لا يقال ان رجال الولايات المتحدة الأمريكية طلبوا منه ذلك فى الوقت الذى يحاكم فيه الاخوان المسلمين ، وانه اذا أفرج عنه قد يقتضى ذلك الافراج عن الاخوان المسلمين ، ووعده بالافراج عن مصطفى أمين افراجا صحيا ..

تحقيق المدعــى العســكرى

وثبت من مطالعة محضر تحقيق المدعى العام العسكرى عند مناظرته المجنى عليه مصطفى أمين يوسف فى ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ مشاهدته علامات سوداء أسفل الركبة بطول ٣ سم وأسفل الساق ناحية القدم بطول ٢ سم

كما لاحظ وجود أثر غائر في منتصف الركبة اليمنى وجد علامتين أسفل الذقن تركت أثرا واضحا الأولى بطول ٣ سم والثانية ممتدة ناحية اليسار وعلامات غائرة حول رأس القضيب . كما ثبت من الكشف الطبي الموقع على المجني عليه في ٣ / ٤ / ١٩٦٨ بليمان طره وجود أثر إلتئام قديم لجرح صغير بقمة الرأس بطول ٢ سم والتئام كبير قديم مستعرض لجرح رضى أسفل الذقن بطول ٢ سم وأثر التئامين صغيرين بمقدمة الساق اليسرى بلغ طول كل منهما ٢ سم وأن هذه الالتئامات قديمة لجروح رضية يصعب التكهن بميعاد وأسباب حدوثها ، اللهم الا مصادمة بأجسام صلبة راضة منذ وقت طويل . كما ثبت من الكشف الطبي الشرعي المؤرخ ١٣ / ٥ / ١٩٦٨ على الشاهد شفيق اندراوس ..

أولا : أن الضرس ذا الشرافتين الثاني الأيمن في الفك السفلي مفقود واللثة مكانه ملتئمة تماما وضامرة ..

ثانيا : اثرة إلتئام سطحية على شكل حرف ٧ مبيضة اللون نوعا ، وطول كل من ضلعيها نحو ½سم ، وتقع بوحشية ظهر المفصل السلامي لابهام اليد اليمنى ..

ثالثا : أثرة التئام بلون داكن عن لون الجلد نوعا حوافيها غير محددة تماما وغير منتظمة الشكل وتقع بأعلى الظهر الى الأنسية قليلا من اللون الأيمن .

رابعا : عدة آثار التئامية سطحية عددها ٣٠ مستديرة الشكل وكل بقطر حوالى ١سم ، وكل أبيض اللون نوعا وحوافيها داكنة ومنتشرة بأعلى الظهر وخلف الكتفين وأسفل خلف القفا وإثنان منها خلف الكتف اليمنى مكون من نسيج كليويدى بارز قليلا عن سطح الجلد بينما بقية أثر في مستوى سطح الجلد ..

خامسا : عدة تلوثات بالجلد حوالى ٢٠ بلون بني داكن عن لون الجلد منتشرة بالنصف العلوي ..

وانتهى التقرير الى نتيجة بأنه شكل وطبيعة أثر الالتئام المستديرة الموصوفة بالظهر ومؤخر الكتفين ومؤخر العنق يتفق ، ونخلف هذه الاثار عن الكي بأجسام ساخنة . أما الأثر الموصوف بإبهام اليد اليمنى وبالظهر على أنسية اللوح الأيمن وموضع فقد الضرس ذى الشرافتين السفلى الثاني الأيمن تغير معالمه جميعا بفعل تطورات التقيح في بطنها والالتئام ثم مضى الوقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع في هذا الصدد لو كان تيسر الحصول على كشف طبى

يصف الاثار التى تخلف عنها فور حصولها . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها على سبيل القطع نتيجة الاعتداء المتعمد والتعذيب . وجميع هذه الاثار مضى عليها فترة تزيد على ستة اشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ، ولا يوجد ما يمنع ان تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور وقد شفى من اصابته دون تخلف عاهة ..

كما ثبت من الكشف الطبى الشرعى المؤرخ ايضا ١٣ / ٥ / ١٩٦٨ على الشاهد عدلى ابادير غطاس انه وجد ان سنته القاطعتين الأنسية اليسرى والوحشية بالفك العلوى مفقودتان مع تركيب أخريين صناعيتين ووجود أثرة التئام تامة التكوين بلون مبيض حولها بلون بنى . والأثرة مستديرة الشكل بقطر حوالى ٢سم وتقع عند الزاوية الأنسية للوح الأيمن كما توجد اثرة التئام مبيضة اللون حوافيها بنية تقع على يسار الخط المنصف للظهر مباشر فى مستوى الفقرة التاسعة الظهرية ومساحتها نحو ٢×٢سم وبلون داكن بالجلد غير منتظم الشكل فى مساحة حوالى ٥×٤سم يقع بانسية خلف الكتف الأيسر على بعد حوالى ٨ سم من الخلف المنصف للظهر ، وتلون بالجلد داكن اللون نوعا غير محدود تماما فى مساحة حوالى ٤ × ٣ سم ويقع بانسية خلف الكتف الايمن على بعد حوالى ٥سم من الخط المنصف للظهر . وخلص التقرير الى ان اثر الالتئامين والتلفيات البنية الموصوفة بالترقوة بالظهر ومؤخر الكتفين وموضع فقد السنتين القاطعتين بيسار الفك العلوى جميعها قد تغيرت معالمها بفعل تطورات التقيح فى بعض منها والالتئام تم مضى الوقت عليها الامر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوتها . وكان يمكن القطع فى هذا الصدد لو كان تيسر الحصول على كشف طبى يصف الاثار التى تخلفت عنها فور حدوثها . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها على سبيل القطع نتيجة الاعتداء المتعمد والتعذيب ، وجميع هذه الآثار مضى عليها فترة تزيد على ستة اشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ولا يوجد ما يمنع تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور الذى شفى من اصاباته دون تخلف عاهة .

وثبت من الكشف الطبى الشرعى على الشاهد محمد عبدالغنى النشرتى فى ٦ / ٣ / ١٩٦٨ انه وجد بمؤخر العنق اثرة إلتئام تامة التكوين على يسار مؤخر العنق بين شعر القفا وعلى بعد حوالى ٢.٥ سم من الخط المنصف بلون نحاسى بقطر حوالى ½سم وتحتها تليف بالأنسجة تحت الجلد بحجد

الحمصة ، وأثرة إلتئام تامة التكوين على يمين مؤخر العنق بين شعر القفا على بعد حوالى ٣ سم من الخط المنصف بلون نحاسى وبقطر حوالى ٢ ملليمتر ، تحتها تليف بالأنسجة تحت الجلد بحجم الترمسة ، وبالساعد الأيسر ثلاث ندب سطحية صغيرة على مقدم أسفل الساعد الأيسر بلون نحاسى باهت أولاها تعلو الرسغ بمسافة حوالى ٢,٥ سم وهى غير منتظمة الشكل مساحتها فى أقصى ابعادها ٥× ٣ ملليمتر ، والثانية على وحشية السابقة بمسافة حوالى ١سم وهى غير منتظمة ومساحتها فى أقصى ابعادها ٣×٣ ملليمتر ، والاثرة الثالثة أسفل مستوى المسافة بين الاثرتين السابقتين وهى خطية بطول حوالى ١سم وبعرض ١ ملليمتر وباتجاه من أعلى الى أسفل ، والأنسجة باليد اليسرى اثرة سطحية رقيقة بيضاوية الشكل براحة اليد على كلية الابهام مساحتها فى اقصى ابعادها ١٨×١٠ ملليمتر وهى بلون نحاسى داكن ، وبالساق اليسرى اثرة إلتئام سطحية رقيقة غير منتظمة الشكل مساحتها فى اقصى ابعادها ١,٥×١ سم على مقدم الساق اليسرى بلون نحاسى باهت ، وندبة منخسفة لامعة بلون الجلد تقريبا قطرها ٨ ملليمترات على مقدم الساق اليسرى عند اتصال رسغيها السفليين ، وبالقدم اليسرى اثرة التئام رقيقة بلون نحاسى باهت عند ظهر القدم اليسرى خلف المفصل السلامى المشطى للابهام باتجاه من الأنسية الى الوحشية والأمام مساحتها حوالى ١٦×٤ ملليمتر قوسية نوعا ، وبالقدم اليمنى تشوه بسيط بقاعدة ظفر الابهام ، وأظافر باقى الأصابع عادية المظهر وتبين من فحص الطبيب أن بالتمرة مساحات صغيرة غير منتظمة عديدة بلون مبيض يقرب لونها من لون التمرة الباهت وهى متصلة بها وتتراوح أقطارها ما بين ٣,٥ ملليمتر وذلك بالاضافة الى اثرتين بلون باهت على ظهر جسم القضيب نفسه عند منتصفه أولاهما بقطر حوالى ٦ ملليمترات والثانية مساحتها ٨×٦ ملليمتر وتفصلهما مساحة سليمة من الجلد بعرض ١سم .

وخلص التقرير الى أن آثار الالتئام الموصوفة بالعنق والساعد الأيسر واليد اليسرى والساق اليسرى والقدم اليسرى والقضيب قد تغيرت معالمها جميعا بفعل تطورات التقيح فى بعضها والالتئام ثم مضى الوقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع فى هذا الصدد لو كان تيسر الحصول على كشف طبى يصف الآثار التى تخلفت عنها فور حدوثها . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها على سبيل القطع نتيجة الاعتداء المتعمد

والتعذيب وأن النشر الموصوف بظفر الابهام بالقدم اليمنى حدث نتيجة نزع الظفر ونمو ظفر جديد بدله بعد تقيح مجلس الظفر المنزوع . وجميع هذه الاثار مضى على حدوثها مدة تزيد على ستة أشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ولا يوجد ما يمنع أن تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور الذى شفى من اصاباته دون تخلف عاهة مستديمة بسببها ..

وثبت من الكشف الطبي الشرعي على الشاهد انور جمعة زعلوك المؤرخ ١١ / ٥ / ١٩٦٨ انه به أثرة التئام تامة التكوين مبيضة اللون حوافيها تقريبية بوحشية خلف العضد الأيسر طولها ٤ سم وعرضها ١½ سم ، وتغير واضح بظفر الأصبع الوسطى من اليد اليسرى مع انغراس غير عادى بحوافيه وظهور تقرحات خطية فى تكوينه وتغير واضح بظفر الاصبع الابهام الأيسر مع انغراس بحوافيه وانخساف بقاعدته وظهور خطوط عرضية فى تكوينه ، ووجود اثرة إلتئام صغيرة تامة التكوين مبيضة اللون طولها نحو ١ سم ممتدة من الجهة الأنسية لقاعدة الظفر ، واثرة الالتئام خطية فى الجزء الخلفى من الغشاء المخاطى المبطن للقناة الشرجية ممتد حتى الجلد الخارجى بطول نحو ١½ سم مع وجود تقلص فى العضلة القابضة الشرجية واثرة إلتئام تامة التكوين طولها نحو ٧ سم تقع اسفل يمين البطن متجهة من أعلى واليمين الى أسفل واليسار . وخلص التقرير الى أن به اثرة التئام بحافة فتحة الشرج وتشوه بظفرى الأصبعين الوسطى والابهام باليد اليسرى ودوالى بالساقين وفتق أربى مزدوج وبول سكرى . والاثرة المشاهدة بحافة الشرج قد تغيرت معالمها بفعل تطورات التقيح والالتئام ثم مضى وقت عليها الأمر الذى يتعذر معه تحديد كيفية وسبب حدوثها . وكان يمكن القطع فى هذا الصدد لو كان متيسرا الحصول على كشف طبى يصف الأثر الذى تخلفت عنه فور حدوثه . وكل ما يمكن تقريره فى صددها انه ليس فيها حاليا ما يميز حصولها نتيجة الاعتداء . والتشوه المشاهد بظفر كل من الاصبعين الوسطى والابهام باليد اليسرى وانغراس حوافيها وظهور الخطوط العرضية فى تكوينها يتفق وحصول التشوه فى الحالتين نتيجة نزع الظفر ونمو ظفر جديد بدله بعد تقيح مجلس الظفر المنزوع . وهذه الاثار مضى عليها فترة تزيد على ستة اشهر ولا يمكن تحديدها فيما بعد ذلك بالضبط ولا يوجد ما يمنع أن تعاصر التاريخ الذى يقرره المذكور الذى شفى من اصابته دون تخلف عاهة ..

● ● ●

الادعـــاء المـدنى

وحيث أن المجنى عليه مصطفى أمين يوسف قد ادعى مدنيا قبل المتهمين الثلاثة صلاح محمد نصر وحسن زكى عليش وأحمد يسرى الجزار أن يدفعوا له بالتضامن وعلى سبيل التعويض المؤقت مبلغ ٥١ ج (واحد وخمسون جنيها) والمصاريف والاتعاب ، وذلك عما ناله من ضرر أدبى وجسمانى ، وقال مدافعه أن المتهمين قد أمروا بتعذيب موكله لحمله على الاعتراف ، ونعى على النيابة أمرها بحبس المجنى عليه بمبنى المخابرات العامة وهو ليس من الأماكن المحددة قانونا لحبس المتهمين حبسا احتياطيا فتركت بذلك المجنى عليه فى حوزة المخابرات العامة وتحت سيطرتها ، وردد ما حدث فى طلب القبض على بعض الصحفيين بلا مبرر من القانون وما يعنيه هذا التصرف من تعارض مع سيادة القانون الذى اعتبر فى نظر المسئولين تخلفا ، ثم عدد ما جاء بمؤلف المتهم الأول صلاح محمد نصر « الحرب النفسية » من طرق التعذيب المختلفة كالعزل وحرمان من الطعام والشراب وغسيل المخ وقيد اليدين والقدمين والصلب والنفخ وسماع أصوات الاستغاثة حتى يسلب المتهم من كل إرادة ويكون طوع ارادتهم ، وقارن بين هذه الوسائل وبين ما جاء ذكره على لسان المجنى عليه والشهود الذين عاصروه وقت وجوده بمبنى المخابرات وما ذاقوه من ألوان التعذيب ، وكذا مما وقع للعقيد عبدالقادر عيد مدير مكتب المرحوم المشير عبدالحكيم عامر والمستشار مصطفى كمال وصفى ، وما جاء على لسان سمير عبدالقوى بمجلة المصور من تعذيب بأنواعه المختلفة بمبنى المخابرات العامة . وخلص الى أن القضية المطروحة هى قضية مصر وليست قضية مصطفى أمين . وانتهى الى طلب الحكم بتوقيع العقوبة على المتهمين الثلاثة وإلزامهم بالتعويض المؤقت متضامنين مع المصاريف والأتعاب ..

دفـــاع المتهمين

وحيث أن المتهمين الثلاثة أنكروا ما أسند اليهم .. وطلب الحاضرون معهم القضاء ببراءتهم من التهمة المسندة إليهم ورفض الدعوى المدنية المقامة عليهم وإلزام رافعها بالمصاريف . قولا منهم أن المدعى بالحق المدنى بتعذيبه من وحى خياله ولا أساس له من الصحة ، وقد استقى وسائله من مؤلف المتهم الأول « الحرب النفسية » ونسب لنفسه ما سمعه من آخرين

عذبوا فى السجن الحربى . وكنوا ذلك الى الأسباب الاتية :

١ - ان صحة المجنى عليه لا تحتمل ما ذكره من ألوان التعذيب ومدته ، ولا يتناسب مع ما به من اصابات .

٢ - ان المتهمين يعلمون بملكية المجنى عليه لدار نشر لها ارتباطات وثيقة بالصحافة العالمية ، ويعرفون أن أى مساس به سيكون له صداه فيها .

٣ - ان المتهمين لم يعرفوا بمحتويات الحقائب التى هربها المجنى عليه ، ولو عذب حقا لعرفوها .

٤ - ان بلاغ المجنى عليه الأول بشأن الجاسوس لوثر لا يعول عليه لأنه صدر من محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة (م ٢٥ ع) .

٥ - ان المحقق العسكرى ليس فنيا مما يتعين طرح ما ذكره بشأن سبب اصابات المجنى عليه لاحتمال أن تكون من سبب آخر غير التعذيب ..

٦ - ان مكتب الادعاء لمحكمة الثورة لم يجد فى بلاغ المجنى عليه من التعذيب حقا ، وإلا لما افلته .

٧ - ان المجنى عليه لم يكشف عن اصاباته للمحققين حيث لا داعى للمناظرة لأن القضية ليست من القضايا التى يستلزم فيها المناظرة ، كما ان حبس المجنى عليه بمبنى المخابرات وإجراء التحقيق فيه كان للسرية ومنع الاتصال بالشبكات .

٨ - ان الالتماس المحرر من المجنى عليه قد تضمن معلومات لا يعرفها غيره من المتهمين الذين لم يكونوا قد ظهروا بعد فى الحياة العملية ، وتضمن أن اتصاله بالأمريكيين كان بتكليف من المسئولين كما انه حرره بعد أن استشعر بورطته بقصد العفو وانه فى حقيقته دفاع مكتوب وقد أقر الرئيس السابق بعد اطلاعه عليه بإرفاقه بالتحقيق حتى يقطع على المجنى عليه خط الرجعة وانه بتدخل المخابرات العامة ولرفضه ما تضمنه من تهديد وتعبير .

٩ - ان المجنى عليه تضارب فى أقواله فى كل مراحل التحقيق بشأن من قام بتعذيبه فضلا عن اختلاقه وقائع ثبت عدم صحتها .

١٠ - ان شهود الرؤية قد كذبوا فى أقوالهم بدليل حفظ البلاغات المقدمة منهم عن تعذيبهم فضلا عن ان أحدهم وهو أنور زعلوك له سوابق فى التزييف والشيكات بدون رصيد .

١١ - ان المجنى عليه قرر انه لم يشاهد أحدا من هؤلاء الشهود وقت تعذيبهم .

١٢ - ان أقوال المجنى عليه قد تضاربت مع أقوال شهوده - وكلهم محكوم عليهم وكان يجمعهم سجن واحد بزعامته - فى شأن من حضر من المتهمين فى التعذيب فضلا عن انهم لم يشهدوا إلا عن واقعة التعذيب فقط .

١٣ - ان المجنى عليه لم يستشهد بشاهد جديد رغم تعدد سؤاله أمام محققين متعددين .

١٤ - ان الكشف الطبى الموقع على المجنى عليه يوم دخوله سجن الاستئناف فى ١٩٦٥/١٢/١ جاء خاليا من وجود اصابات به .

١٥ - ان واقعة الرسالة التى ادعى المجنى عليه تحريرها فى سجن الاستئناف للرئيس السابق مختلقة لعدم نشر سعيد فريحة لها فى حينه ولتضارب أقوال الأستاذ فائق السمرائى بشأن المحادثة التليفونية التى جرت بين المجنى عليه وسامى شرف .

١٦ - ان المجنى عليه لم يعرض نفسه إلا على سيد جلال دون سائر اعضاء لجنة تقصى الحقائق والذى ذكر رؤية اصابات فى صدر وظهر المجنى عليه فى وقت جاء التقرير الطبى الثانى الموقع على المجنى عليه ، وبمناظرة المحقق العسكرى خلو المجنى عليه من وجود اية اصابات بالصدر أو الظهر مما يحتمل أن تكون هذه الاصابات مفتعلة .

١٧ - ان أحدا ممن زار المجنى عليه فى سجن الاستئناف لم يشاهد ما به من اصابات .

١٨ - ان المجنى عليه لم يدفع عند محاكمته فى قضية التخابر بالتعذيب .

١٩ - ان أقوال الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى ليست كاقوال المحامى الموكل وانه مادام قد ارتضى لنفسه أن يعمل سكرتيرا للمحامى الموكل فإنه يتعين أن تهدر أقواله خاصة وانه يتقاضى أجرا من المحكمة ولا صالح له فى شيء حتى انه لم يدفع فى الدعوى بالتعذيب رغم سابقة الدفع به فى القضية رقم ٩ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا .

٢٠ - ان اصابات المجنى عليه الثابتة بالكشف الطبى الثانى تطابق اصاباته من سقوطه فى سيارة والتى أشار اليها فى مؤلفه « سنة أولى سجن » .

٢١ - ان المجنى عليه كان يسعى الى الافراج عن المتهم الأول .

— واضاف مدافع المتهم الأول أن موكله كان موضع حملة تشهير من المجنى عليه والصحافة ، ولم يكن المجنى عليه يبغى من ذلك إلا إعادة

محاكمته لتعود له عضويته في نقابة الصحفيين . وان ما حدث للمتهم الأول من الرئيس السابق في قضية انحرافات جهاز المخابرات العامة كان بسبب الاعتقاد بانه من جبهة المرحوم المشير عبدالحكيم عامر

— ودفع بعدم اختصاص المحكمة بنظر الدعوى لاختصاص القضاء العسكرى بها طبقا لنص المادة ٧٠ من القانون رقم ١٠٠ لسنة ٧١ بشأن جرائم أفراد المخابرات وهو قانون خاص لاحق في الصدور لقانون الاحكام العسكرية فيفسخ منه ما يتعارض معه من احكام (م٢ من قانون اصداره) مثل تقييده حق النيابة العسكرية في القبض على أفراد المخابرات العامة إلا في حالات التلبس ، ووجوب ابلاغها رئيس المخابرات العامة عند اصدارها بأمر حبس أحد أفراد الجهاز . وعدم تحريك الدعوى إلا بأمر يصدر من رئيس الجمعية (م ٧١ ق ١٠٠ لسنة ٧١) بالاضافة الى طبيعة تشكيل المحكمة المختصة بنظر مثل هذه الجرائم (م ٧٣ ق ١٠٠ لسنة ٧١) التى تختلف عن تشكيل المحاكم العسكرية العادية خاصة ان جريمة التعذيب المدعى بها وقعت في المخابرات العامة وليس في السجن الحربى . وهو سند النيابة العسكرية في عدم اختصاصها بنظرها فضلا عن ان صاحب الكلمة في الاختصاص هى المحكمة العسكرية وليست النيابة العسكرية .

دفاع المتهم الثانى

أما مدافع المتهم الثانى فقد اضاف ان الاعتراف لا يرد على الركن الشرعى لجريمة التخابر ، وهو وجود التكليف الذى لا يثبت إلا بدليل القانون ، وأن المجنى عليه وقد قرر ان التعذيب قد وقع عليه حتى لا يقرر ان اتصاله بالأمريكيين كان بعلم المسئولين وبتكليف منهم وهو الامر الذى كان يسعى الى اثباته بدليل الشخصيات التى استشهد بها فإن الجريمة المنصوص عليها بالمادة ١٢٦ عقوبات لا تنطبق حيث انه لابد ان يكون التعذيب للحمل على الاعتراف . ولا تعدو الواقعة - إن صحت - جريمة استعمال قسوة قد سقطت بالتقادم .

كما اضاف انه لا يوجد اى شىء بين المجنى عليه وبين المتهم الثانى . وإنما أراد ان يدهسه في خضم الصراع السياسى في وقت لا سلطان فيه للمتهم الثانى على مكان التحقيق وإنما للنيابة العامة . وفي وقت لم ينسب له فيه اى فعل مادى حيث لا امر مكتوب ولا شفوى لعدم وجود المامور مما ينعدم معه الدليل في هذا الشأن . وان ما ذكر عن مبنى المخابرات فلا تجرى فيه البينة وإنما المعاينة او كلام الشخص المسئول

دفاع المتهم الثالث

بينما أضاف الحاضر مع المتهم الثالث أن موكله يعمل في جهاز علمي هو هيئة الأمن القومي لا يحتاج في عمله الى التعذيب لاثبات ما يقوم بضبطه من قضايا ، وأن الرسالة المقول بأن المجنى عليه حررها في ١٩٦٥/١٢/٦ لم تظهر الى الوجود إلا عند إبلاغ المدعى العام العسكرى في سنة ١٩٦٨ لاحتوائها على وقائع لم تكن معروفة وقت كتابتها ، مثل تسرب المخابرات الاسرائيلية الى المخابرات المصرية التى ضمنها المجنى عليه بلاغه في ١٩٦٨/٢/١٩ بشأن واقعة لوتز . وواقعة تهديده بسم لا يظهر في التحليل ، وهو لم يسمع به إلا في قضية انتحار المرحوم المشير عبدالحكيم عامر سنة ١٩٦٧ . وواقعة استشهاده بشهود كالنشرتى الذى لم يره إلا في سجن القناطر . ولأنها لم تنشر إلا سنة ١٩٧١ بعد موت عبدالناصر وانهيار مراكز القوى . ولأنها لو كانت موجودة لسلمها المجنى عليه إلى من زاره في سجن الاستئناف ..

كما أضاف بأن المجنى عليه لم يذكر اسم المتهم الثالث إلا سنة ١٩٧٤ أى بعد عشر سنوات من تاريخ وقوع التعذيب المدعى به . وانه قبل ذلك اتهم المتهمين الأول والثانى لاتهامهما في قضية انحراف المخابرات وأغفل اتهام المتهم الثالث لعدم اتهامه فيها .. هذا بالاضافة الى تضارب أقوال المجنى عليه في شأن ما يتعلق بالأمر بالتعذيب . والتعذيب نفسه وكيفية تعرفه على المتهمين وتحرير الاقرار الذى كتبه كله بإرادته لأن الارادة لا تتجزأ ..

المحكمة تفند

وحيث أن الدفع المبدئى من المتهم الأول بعدم اختصاص المحكمة ولا بنظر الدعوى وهو دفع متعلق بالنظام العام ، يجوز التمسك به في أية حالة كانت عليها الدعوى وتقضى به المحكمة ولو بغير طلب (م ٣٣٢.أ.ج) مردود بأن المادة ٤٨ من قانون الأحكام العسكرية رقم ٢٥ لسنة ٦٦ ينص على أن « السلطات القضائية العسكرية هى وحدها التى تقرر ما إذا كان الجرم داخلا في اختصاصها أم لا » .

وقد نصت المذكرة الايضاحية للقانون المذكور على « أن هذا الحق قررد القانون للسلطات القضائية العسكرية وذلك على مستوى كافة مراحل الدعوى ابتداء من تحقيقها حتى الفصل فيها »

ولما كانت النيابة العسكرية عضوا اصيلا من عناصر القضاء العسكرى وتمارس السلطات الممنوحة للنيابة العامة وللقضاة المنتدبين للتحقيق ولقضاة الاحالة فى القانون العام بالنسبة للدعاوى الداخلة فى اختصاص القضاء العسكرى طبقا للمواد ١ ، ٢٨ ، ٣٠ من القانون السالف الذكر فإنها هى التى تختص بالفصل فيما اذا كانت الجريمة تدخل فى اختصاصها وبالتالى فى اختصاص القضاء العسكرى ، وقرارها فى هذا الصدد هو القول الفصل الذى لا يقبل تعقيبا . فإذا رأت عدم اختصاصها بجريمة ما يتعين على القضاء العادى أن يفصل فيها دون أن يعيدها مرة اخرى الى السلطات العسكرية التى قالت كلمتها فى هذا الخصوص .

— وإذ حجبت النيابة العسكرية اختصاصها عن نظر الدعوى الماثلة استنادا الى ما جاء بكتابها المؤرخ فى ١٩٧٤/١٢/١ أن الدافع للقبض على المجنى عليه وحبسه كان سياسيا بحتا ، وان السلطات المدنية قد نيط بها وحدها القبض عليه بمبنى المخابرات العامة والتحقيق معه ممثلا فى النيابة العامة وذلك تنفيذا لمشيئة سياسية مدنية لها دورها فيما حدث ولا دخل للقوات المسلحة فيها ولا ارتباط لها فى ذلك الوقت ، فإنه يتعين التزام قرارها دون ما نظر الى ما تضمنه قانون المخابرات العامة رقم ١٠٠ لسنة ٧١ من اختصاص القضاء العسكرى بالجرائم التى تقع فى محال تشغلها المخابرات العامة متى كان مرتكبوها أفراد المخابرات العامة ولو انتهت خدمة الفرد قبل الحكم طالما ارتكبت الجريمة أثناء الخدمة (م٧٠/جـ) . أى أن هذا القانون قد صدر لاحقا لقانون الأحكام العسكرية ومقيدا وناسخا لما يتعارض معه من أحكام لما فى ذلك من اجتهاد فيما ورد به نص غير جائز خاصة ان تقييد حق النيابة العسكرية فى القبض على أفراد المخابرات العامة إلا فى حالة التلبس ووجوب اخطار رئيس جهاز المخابرات عند صدور امر بحبس احدهم أو الافراج عنه وعدم تحريك الدعوى قبلهم إلا بامر رئيس الجمهورية م ٢/٧١، ٣، ٤ ق ١٠٠ لسنة ٧١) لا يخرج الدعوى من يد النيابة العسكرية التى تباشر بالنسبة لها كافة سلطاتها المخولة لها بموجب قانون الأحكام العسكرية (م ٧١/ق١٠٠ لسنة ٧١) ومنها حقها فى تقرير اختصاصها بالجريمة طبقا لنص المادة ٤٨ منه الذى لم يتعرض له القانون رقم ١٠٠ لسنة ٧١ بما يسلبها منه .

أبشـــع إرهـــاب

وحيث أنه قد ثبت للمحكمة وبيقين أن جهاز المخابرات العامة قد أقيم على أحدث النظم العالمية وجهز بأحدث الوسائل العلمية ، إلا أن المتهمين القائمين عليه والأول رئيسه بدرجة وزير والثانى نائبه ورئيس هيئة الأمن القومى بدرجة نائب وزير ، والثالث وكيل هيئة الأمن القومى بدرجة وكيل وزارة (م ٢ ق ١٥٩ لسنة ٦٤) (والملحق المرفق به) قد نهجوا فى سبيل اثبات وجودهم وإظهار نشاطهم فى حماية أمن الدولة وحفظ كيان نظامها الاشتراكى (م ٣ ق ١٥٩ لسنة ١٩٦٤) طريق البطش والارهاب ، فأنكروا القيم ، وانتهكوا الحرمات ، وسلبوا الحريات ، وامتهنوا المقدسات ، واتخذوا من دعوى حفظ النظام مظلة يحتمون بها وتكأة يبررون بها تصرفاتهم المجردة من الرحمة والانسانية ، مستغلين فى ذلك ما لديهم من وسائل وإمكانيات لاخفاء انحرافاتهم حتى أصبحت المخابرات العامة فى عهدهم دولة قائمة بذاتها يرهب جانبها ويعمل حسابها الى أن أعلن الرئيس السابق المرحوم جمال عبدالناصر فى نوفمبر ١٩٦٨ أمام مجلس الأمة عن سقوطها واعتبر هذا السقوط من أهم الجوانب السلبية التى خلصت الأمة منها فى سبيل تطهير الحياة العامة فى مصر .

وآية ذلك ثبوت وجود سجن بمبنى المخابرات العامة عبارة عن زنازين بإقرار نائب رئيس هيئة الأمن القومى الحالى ورئيس نيابة أمن الدولة السابق أنشىء خفية لأغراض لا يعلمها إلا منشئوه ومستعملوه ولا يقرها القانون حتى ان المتهم الأول أنكر وجوده امعانا فى التضليل مستغلا اغفال ذكره وعدم الاشارة إليه فى قانون انشاء الهيئة رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٤ الذى ألغى بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧١ المنشورين فى الجريدة الرسمية الأول فى العدد رقم ١٥٤ تابع بتاريخ ١٩٦٤/٧/٩ السنة السابعة والثانى فى العدد رقم ٤٥ بتاريخ ١٩٧١/١/١١ السنة الرابعة عشرة واللذين لم يوزعا عمدا حتى لا يصلا الى أيدى الكافة ، وباتصاله إلى علمهم بالقانون . لأن النشر عن القانون وحده لا يحقق الغرض المرجو منه دون اذاعته على أفراد الشعب الأمر الذى اضطرت معه المحكمة الى طلب القانونين المذكورين من ادارة المخابرات العامة .

وهذا السجن أودع فيه المتهمون معظم من وصلت أيديهم إليهم ووقع في قبضتهم بحق أو بغير حق ، ولم يتركوه إلا بعد أن ساموه سوء العذاب ليقدموه الى النيابة العامة وإقراره المكتوب بيمينه كما حدث مع المجنى عليه ومعظم متهمى القضية رقم ٩ سنة ١٩٦٥ أمن دولة عليا مثل شفيق اندراوس وأنور جمعة زعلوك وعدلى أبادير غطاس والعقيد متقاعد عبدالقادر ابراهيم عيد وزميله في قضية المستشار مصطفى كمال وصفى .

وحيث أنه لا يصح من حجز المجنى عليه بسجن المخابرات العامة أو حتى في مبناها صدور أمر من النيابة العامة بحبسه احتياطيا على ذمة القضية رقم ١٠ لسنة ١٩٦٥ جنايات أمن دولة عليا لأنه إذا كان المشرع الاستثنائي قد أسبغ على النيابة العامة المادة ٢ من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن بعض التدابير الخاصة بأمن الدولة الصادر في ٢٤ / ٣ / ١٩٦٤ إلى جانب السلطة المخولة لها سلطات قاضى التحقيق ومستشار الاحالة وأطلق يدها في معظم القيود والضمانات التى نظمها القانون العام وهو قانون الاجراءات الجنائية بقصد كفالة حق المتهم في الدفاع عن نفسه باعتباره بريئا إلى أن تثبت ادانته وهى المنصوص على في المواد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٦٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، منه فان هذا المشرع الاستثنائي لم يتعرض لضمانة المتهم والتى تحول دون التعسف في الاعتداء على حريته الشخصية ، ورغم ذلك فقد سلب المجنى عليه (المتهم في قضية التخابر رقم ١٠ سنة ١٩٦٥ جنايات أمن دولة عليا) من هذه الضمانة الباقية حيث أودعته هيئة الأمن القومى بمحبسها السرى في مبنى المخابرات العامة وهى التى قامت بمراقبته وجمع الأدلة ضده ثم التبليغ عنه وضبطه . ومن مصلحتها ثبوت تهمة قبله تتويجا لجهودها وذلك طوال فترة التحقيق التى استطالت مائة وثلاثة وثلاثين يوما دون أمر كتابى من النيابة العامة (م ١٣٨ ا ج ، م ٩٦١ التعليمات العامة للنيابات) التى سكتت على هذا الوضع المخالف للقانون اعتمادا على ما جرى عليه العمل وأيدته استنادا الى أنه من حقوقها طوال فترة التحقيق ..

وليس صحيحا في القانون أن من حق النيابة العامة ، وهى خصم عادل تمثل الصالح العام وتسعى في تحقيق موجبات القانون ، أن تحجز المتهم المحبوس احتياطيا في المكان الذى تراه هى مناسبة دون مكانه الطبيعى الخاضع لقانون تنظيم السجون بدعوى صالح التحقيق وسرعة انجازه وسهولة مثول المتهم أمامها وقتما تشاء تجنبا لمشقة نقله من السجن

الطبيعى الى دارها وما يستلزمه ذلك من حراسة مشددة ، إذ أن ذلك الحق وان جاز فى اختيار مكان التحقيق الذى سكت المشرع عن تحديده وتركه لمطلق تقدير النيابة العامة فاصبح من اطلاقاتها حرصا على صالح التحقيق وسرعة انجازه تلك السرعة التى اجاز فيها المشرع للمحقق الخروج على بعض القواعد المتعلقة باجراءات التحقيق بنص صريح (م ٧٧ ، ١٢٤ ١ ح) باعتبار أن السرعة فى اجراء التحقيق الجنائى من أوجب الواجبات لمساس ذلك بأمن الدولة وحرية الافراد . علما بان اختيار مكان التحقيق لا يتعدى عادة يوم التبليغ عن الحادث او يوم القبض على المتهم ان كان لاحقا لأطول تحقيق مع المجنى عليه استغرق اربعة اشهر وازدادت عشرة ايام من يوم ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ الى يوم ٢١ / ١ / ١٩٦٥

اعتداء على حرية الفرد وكرامته

فان حق النيابة العامة لا يقوم فى اختيار مكان تنفيذ امر الحبس الاحتياطى باعتبار أن الحبس الاحتياطى اجراء شاذ يعتدى به على حرية الفرد قبر ان تثبت ادانته لمصلحة التحقيق - يمنعه من الفرار وتاثيره على سير التحقيق ولذلك قيده القانون بقيود أشد مما نص عليه بالنسبة لأعمال التحقيق الأخرى . ومن هذه القيود ما نص عليه قانون الاجراءات الجنائية فى المادة ٤١ منه انه « لا يجوز حبس اى انسان إلا فى السجون المخصصة لذلك .. » وتاكيده على هذا الحظر فى المادة ٤٣ - ٢ منه والتى تنص على أن « على كل من علم بوجود محبوس فى محل غير مخصص للحبس ان يخطر احد اعضاء النيابة العامة الذى عليه بمجرد علمه ان ينتقل فورا إلى المحل الموجود به المحبوس وأن يقوم باجراء التحقيق) . ولم يقف المشرع عند هذا الحد بل بسط حمايته على المتهم المحبوس احتياطيا فى السجن فنص فى المادة ١٤٠ من قانون الاجراءات الجنائية على انه « لا يجوز لمأمور السجن أن يسمح لأحد من رجال السلطة الاتصال بالمحبوس داخل السجن إلا باذن كتابى من النيابة العامة ، وعليه أن يدون فى دتفتر السجن اسم الشخص الذى سمح له بذلك ووقت المقابلة وتاريخ ومضمون الاذن » وأكد هذا الحظر فى المادة ٧٩ من قانون تنظيم السجون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ وذلك لمنع محاولة رجال السلطة الاتصال بالمتهم خفية داخل السجن واحداث اى تاثير عليه بدون أن يظهر ذلك اى اثر فى دفاتر السجن او فى محاضر التحقيق .

وما ذلك كله إلا لضمان حرية المتهم وتلطيف خطورة الحبس الاحتياطي ، حتى ان المشرع خص المتهم المحبوس احتياطيا بمزايا فصلها في قانون تنظيم السجون لا يتمتع بها المحكوم عليه بالحبس البسيط .

ولا يصح الاعتداد بما درج عليه العمل في مقام تطبيق نصوص قانون الاجراءات الجنائية إذا كان هذا العمل مخالفا لاحكامها ، لان هذا العمل مخالف ومهما طال امر سريانه لا يلغي او يعدل تلك النصوص باعتبار انها هي الواجبة التطبيق في المواد الجنائية الى ان يصدر تشريع آخر ينص صراحة على إلغائها ، او يشتمل على نص يتعارض مع نص التشريع القديم ، او ينظم من جديد الموضوع الذى سبق أن قرر قواعده ذلك التشريع (م ٢ مدنى)

كما انه لا محل للاجتهاد عند خروجه ، كما نص القانون على الواجب التطبيق ، لأن القاعدة العامة انه متى كانت عبارة القانون واضحة جلية المعنى ولا لبس فيها فانه يجب أن تعد تعبيرا صادقا عن ارادة الشارع ولا يجوز الانحراف عنها عن طريق التاويل أو التفسير او البحث عن حكمة التشريع ايا كان الباعث وإلا كان فيه اهدار ومنافاة صريحة للغرض الذى من اجله وضع القانون .

هذا في الوقت الذى لم يحل وجود المجنى عليه بسجنه الطبيعي (الاستئناف ثم القناطر) دون نقله إلى المحكمة لنظر قضية التخابر المتهم فيها عدة مرات حيث استغرقت محاكمته جلسات ٢٨ ، ٢٩ / ١٢ / ٦٥ و ١٩ و ١ و ٢ ، ٣ / ١ / ١٩٦٦ ، و ٢٠ / ٨ / ١٩٦٦ لسماع الحكم بخلاف المرات الأخرى التى نقل منها لنظر قضية اخرى كان متهما فيها بصفته رئيس مجلس ادارة الأخبار .

وليس أدل على عدم مشروعية حجز المجنى عليه المحبوس احتياطيا في سجن المخابرات العامة وافتقاره الى السند القانونى من صدور قرار وزير الداخلية رقم ١٤٥٣ لسنة ١٩٦٨ في ٢٧ / ١١ / ١٩٦٨ والمعمول به من ٢٤ / ١٢ / ١٩٦٨ باعتبار مبنى المخابرات العامة من الأمكنة التى يجوز أن يودع فيها المحجوزون على ذمة القضايا العامة بامن الدولة من جهة الخارج والصادر بالاستناد إلى القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٦٨ بتعديل بعض احكام القانون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٦٥ في شان تنظيم السجون الذى خول وزير الداخلية حق تحديد الأماكن التى يودع فيها المحجوز او المعتقل او المتحفظ عليه او المسلوب حريته على أى وجه ، وقصر حق الدخول فيها وتفتيشها على النائب العام أو من ينيبه من رجال النيابة العامة بدرجة

رئيس نيابة ، وذلك الحق الذى ثبت للمحكمة انه لم يسعمل إلا مرة واحدة حتى اليوم وبمناسبة صدور القرار المذكور الأمر الذى يفقد هذا الحق الحكمة من وجوده ويضيع الغرض الذى تغياه المشرع منه . ومما يؤكد هذا النظر ما نص عليه دستور جمهورية مصر العربية الصادر بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٧١ فى المادة ٤٢ منه فى باب الحريات والحقوق والواجبات العامة أنه « لا يجوز حجز المواطن أو حبسه فى غير الأماكن الخاضعة للقوانين الصادرة بتنظيم السجون » .

وحيث أنه لم يقف الحال بالمتهمين عند حد بسط سيطرتهم على المجنى عليه اثناء التحقيق معه ليكون تحت رحمتهم وطوع ارادتهم بل انه تعدى ذلك إلى تحكمهم فى الأدلة التى جمعوها ضده لتمحيصها وتدقيقها وبيان مدى جديتها قبل أن تمتد إليها يد العبث وتدقيقها حيث حجبوا التسجيلات الصوتية التى حصلوا عليها والتلفيق ، لبعض الاحاديث التى جرت بين المجنى عليه وضابط المخابرات الأمريكى فى الاجتماعات التى عقدت بينهما فى ثمانية أيام خلال الأشهر مايو ويونيو ويوليو ١٩٦٥ (١٢ ، ١٩ ، ٢٦ / ٥ / ١٩٦٥ و ٢ ، ١٦ و٢٣ ، ٣٠ / ٦ / ١٩٦٥ و ٧ / ٧ / ١٩٦٥) وهى الدليل الوحيد الذى كانت تحت أيديهم قبل المجنى غليه قبل كتابة اقراره ، خاصة أن ما قرره المجنى عليه عند ضبطه بالاسكندرية يوم ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ لا يعتبر اعترافا بالتهمة المسندة إليه وإنما اقرارا بالتكليف الصادر له من الدولة بالاتصال بالسفارة الأمريكية وتبليغه المسئولين بما يحصل عليه من معلومات ، واذن الرئيس السابق له بالاستمرار فى الاتصال دون ثمة اشارة إلى ما قدمه هو إلى ضابط المخابرات الأمريكى من معلومات حتى تقيمها ، وبيان مدى مساسها بمركز مصر الحربى والسيلسى والاقتصادى والدبلوماسى ومصلحتها القومية ، لأن مجرد الاجتماع بأجنبى لا يحرمه القانون ، كما أن أقواله فى أول استجواب له يوم ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ لا ترقى فى جملتها إلى مرتبة الاعتراف المعول عليه حيث لا تخرج فى مضمونها عن أخباره الرئيس السابق وسامى شرف بما وصل إلى علمه من معلومات نقلها من ضابط المخابرات المذكور والأذن له بالاستمرار بالاتصال بالأمريكان دون تقييده بطريقة معينة لاتباعها ، وبعض ما قرره ردا على استفسارات جليسه ومحدثه نسبها - على حد قوله - كذا إلى المسئولين دون تفصيلات أخرى على النحو الوارد فى الاقرار الكتابى باستفاضة ، فمن كل الذى دار فى الاجتماعات المسجلة التى بين المجنى عليه وبين ضابط المخابرات الأمريكى مع ذكر تواريخ

معينة بطريقة لا تتفق والظروف التى قرر فيها هذا الاقرار وهو حبيس مبنى المخابرات العامة ، والحالة النفسية التى كان فيها ، وسيف الاتهام بارتكاب جريمة فى حق وطنه مصلت على رقبته ، وهو مقيد الحرية بين أيديدى من قاموا بضبطه ، وقدم الاقرار إلى المحقق يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ على أنه التماس حرره المجنى عليه للرئيس السابق قبل تقديم التسجيلات الصوتية فى ٩ / ٨ / ١٩٦٥ رغم وجودها فى حوزة المتهمين من يوم ٧ / ٧ / ١٩٦٥ واحاطة رئيس نيابة أمن الدولة علما بأمرها منذ فجر التحقيق ، والتى تبين من تفريغها أن ما ورد بالاقرار - وكما جاء بأسباب الحكم رقم ١٠ سنة ٦٥ جنايات أمن الدولة العليا - يكاد يكون مطابقا لها ، الأمر الذى يقطع بأن هذه التسجيلات كانت محل اعتبار وقت تحرير هذا الاقرار ليأتى مطابقا لما تضمنته من أحاديث - ويؤكد ثالثة - المجنى عليه أنه كان يملى عليه أثناء كتابته ولا يقبل مما يكتبه إلا ما يروق لهم حيث أنه لا يعقل أن يتذكر المجنى عليه فى الفترة من ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ إلى ٤ / ٨ / ١٩٦٥ ، كل ما دار فى الاجتماعات المسجلة فقط دون الأخرى التى تمت قبل اكتشاف أمرها فى ١٤ / ٢ / ١٩٦٥ كما ورد بمذكرة المخابرات العامة المؤرخة ٢٤ / ٥ / ١٩٧٦ ولم تسجل ، وفى حدود ما ظهرت عليه التسجيلات الصوتية المقدمة لثبوت استغراق الاجتماع مدة زمنية أطول من المدة المسجلة ، والمجنى عليه فى مثل حالته النفسية سالفة البيان ، سيما أنه لم يثبت للمحكمة أن الاقرار المكتوب قد أرسل الى الرئيس السابق أو أعيد تقديمه فى التحقيق كما قرر بذلك الدفاع عن المتهمين بدليل أن المتهم الثالث قرر عند تقديمه للمحقق يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ أن المجنى عليه قرره لرفعه للرئيس السابق ، وهو فعل مستقبل دون ثمة اشارة الى سابقة رفعه فعلا الى رئاسة الجمهورية أو اعادته منها دون ذكر لسابقة طلب المجنى عليه وعدا بتقديم التماسه الى الرئاسة ووعده بذلك .

ولم يكن تأخير تقديم التسجيلات الصوتية من يوم ٢١ / ٧ / ١٩٦٥ تاريخ القبض على المتهم إلى يوم ٩ / ٨ / ١٩٦٥ إلا بقصد تحصينها بالاقرار الذى قدم قبلها يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ والذى لا يعدو أن يكون تفريغا لهذه التسجيلات بعد أن أكره المجنى عليه على كتابته بالصورة والشكل المطلوب ، وذلك نظرا لحصول هيئة الأمن القومى على التسجيلات خلسة وبغير الطريق الذى رسمه القانون بما يجعلها عرضة للطعن عليها بالبطلان واهدارها كدليل ، خاصة أن القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٥ فى شأن التدابير الخاصة بأمن الدولة الذى حصن فى المادة ١ / ٣ منه جميع أوامر

واقرارات سلطات الضبط والتحقيق قبل العمل به من اى طعن لم يصدر إلا في ٩ / ١١ / ١٩٦٥ أى بعد الحصول على التسجيلات وتقديمها والتى كانت الدليل الوحيد الذى تحت يدى هيئة الأمن القومى قبل المجنى عليه الذى رأى هو وضابط المخابرات الأمريكية ـ وكما جاء بمذكرة هيئة الأمن القومى المقدمة في القضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا بتاريخ ٢٥ / ١١ / ١٩٦٥ ـ (الابتعاد عن الحصول على أى وثائق أو تقارير خطية . وكانت المعلومات تقدم شفاهة وذلك بأن يملى مصطفى أمين المعلومات إلى ضابط المخابرات الأمريكي الذى يدونها بخطة في نوتة معدة لذلك ويناقشه فيها خلال الحديث ، كما كان ضابط المخابرات الأمريكى يكلف مصطفى أمين الاحتياجات شفاهة كاجراء امن) .

الاقرار .. وطريقة كتابته

— هذا فضلا عن ان الاقرار المذكور لا يتفق مظهره العام وطريقة كتابته وما حواه من وقائع مطولة يرجع إلى ماض بعيد سودت ستين صحيفة اعتبر الدفاع بعضها تهديدا للرئيس السابق وتعبيرا له ، والتوقيع على كل صحيفة بتوقيع المجنى عليه رغم كتابته كله بخطه مع الغرض المقصود به باعتباره التماسا مرفوعا إلى الرئيس السابق اقرارا بذنب ، وتسجيلا لتوبة ، وطلبا لصفح ، واملا في عفو ، خاصة أنه قدم فجاة دون سابق اخبار في جلسة تحقيق غير محددة من قبل (٤ / ٨ / ١٩٦٥) وهو الطابع المميز لتحقيقات قضية التخابر حيث تقفل محاضر التحقيق دون اصدار أى قرار بشأن موعد الجلسة التالية على خلاف ما تقضى به أصول التحقيق الجنائى وتعليماته النيابة العامة (م ٥٣) من وجوب تحديد جلسات قريبة متلاحقة لسرعة الفراغ من التحقيق ، ولحكمة خافية لا يبررها ما قيل بشأن توالى جلسات التحقيق إذ ان ذلك لا يحول دون تحديد الجلسات التالية كما حدث من بعض المحققين عند استجواب الصحفيين وسماع بعض الأشرطة وذلك درءا لكل ظن ودفعا لأى لبس . هذا في وقت لم يتحقق هذا التوالى المقول به في جلسات التحقيق مع المجنى عليه التى انقطعت من يوم ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ اثر استجوابه أول مرة حتى يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ حيث قدم الاقرار المذكور ومن يوم ٥ / ٨ / ١٩٦٥ إلى يوم ٧ / ٨ / ١٩٦٥ ومن يوم ٩ / ٨ / ١٩٦٥ حيث قدمت التسجيلات الصوتية إلى يوم ١١ / ٨ / ١٩٦٥ ثم إلى يوم ١٦ / ٨ / ١٩٦٥ فيوم ٢١ / ٨ / ١٩٦٥ ومن يوم ٣١ / ٨ / ١٩٦٥ إلى يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٦٥ فيوم ٢٥ / ١١ / ١٩٦٥ .

وحيث انه ليس صحيحا ما ذهب إليه الدفاع عن المتهمين أن الالتماس أو الاقرار المكتوب قد ورد على الركن الشرعى فى جريمة التخابر ، وهو أن اتصال المجنى عليه بالأمريكيين كان بعلم المسئولين وبتكليف منهم وأنه هو الذى سعى إلى اثباته ، وأنه لو صح أن التعذيب كان لذلك السبب لما تحقق به القصد الجنائى الواجب توافره لقيام الجريمة المنصوص عليها فى المادة ١٢٦ عقوبات لأن هذا الركن لا يمثل إلا سبب الاباحة فى الاتصال دون ما تأثير على توافر أركان جريمة التخابر .

— ذلك أن الالتماس المذكور ما هو فى حقيقته إلا اقرار جريمة لا لبس فيه من المجنى عليه المتهم فى القضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا على نفسه باتصاله بأجنبى ومده بمعلومات اعتبرها الحكم الصادر فى القضية المذكور ضارة بالمركز السياسى والدبلوماسى والاقتصادى والحربى للبلاد ، مما يعتبر نصا على اقتراف الجريمة وليس تأمرا على واقعة التكليف والعلم دون غيرهما . وقد وصفه الحكم المذكور أن المجنى عليه « يعترف فيه صراحة بكل ما حدث بينه وبين بروس من معلومات وهذا دليل قد جاء على لسانه بأنه كان يتخابر وينقل معلومات عن كافة النواحى الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية والقومية دون علم أحد » .

— ولا يعقد فى هذا المقام بما قرره المجنى عليه أن السبب فى تعذيبه كان يقصد ألا يذكر علم المسئولين باتصالاته مادام قد ثبت للمحكمة أن فكرة تحرير الاقرار لم تنبع أصلا من المجنى عليه وانما كانت بناء على طلب المتهم الأول على أن يكون فى صورة التماس الى الرئيس وأن المجنى عليه لم يحرره طواعية واختيارا وبمطلق اراداته ، وانما كان تحريره له رضوخا منه ودفعا لما وقع عليه من تعذيب لم يطقه ثم يأمر المتهم الأول الذى يعلم بالاتهام المسند الى المجنى عليه وتحت اشرافه ومعاونيه وباملائهم ما تضمنته التسجيلات الصوتية من وقائع ليخرج الاقرار بالصورة التى قدم عليها وقصدها المتهم الأول ليس قاصرا على واقعة التكليف فحسب ولكن شاملا لكافة أركان الجريمة المنسوبة الى المجنى عليه الذى كان يهمه وفى المقام الأول اثبات تكليف المسئولين له وعلمهم بالاتصالاته اعتقادا منه أن فى هذه الواقعة الكفاية لاخلائه من العقاب ، ولذلك لم يحل ترديدها منذ أن قبض عليه واثبتها بالاقرار رغم تحذيره من ذلك وأن لم يلتزم معذبوه بهذا التحذير خاصة أن المسئولين ردوا عليه قصده بعد كتابة الاقرار وليس قبله ، بنفى هذا العلم وانكار ذلك التكليف إذ انه نقل منهم أو إليهم

أية أخبار منقولة عن الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية الذى ضبط معه . لتستقيم الجريمة فى حقه سيما وأنهم اعتبروا أن من شأن الأخبار بالمعلومات التى نقلها المجنى عليه لمندوب الولايات المتحدة الأمريكية الاضرار بمركز مصر الحربى والسياسى والاقتصادى ، مع أنه كان من المتعين تحقيق دفاع المجنى عليه بشأن واقعة التكليف التى اثارها فور القبض عليه وأصر عليها عقب استجوابه الأول فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥ فى حينه لا فى ١٤ / ١٠ / ١٩٦٥ بعد تقديم الاقرار المكتوب ثم التسجيلات الصوتية ، إذ ليس ثمة ما يمنع من تقييم ما أدلى به من معلومات بعد ذلك .

وحيث أن المتهمين لم يكتفوا ببسط سيطرتهم على المجنى عليه وما جمعوه من أدلة قبله ، وانما جاوزوا ذلك إلى درجة أن أصر المتهم الثانى رئيس هيئة الأمن القومى على القبض على بعض الصحفيين الأبرياء بدار الأخبار (مصطفى كمال ابراهيم وابراهيم صالح محمد) وتفتيشهما وتفتيش محال اقامتهما ، مع أنه لم يصدر منهما أى تصرف يستوجب اتخاذ أى اجراء قبلهما ، ورغم رفض رئيس نيابة أمن الدولة طلبه فان المتهم الثانى لم يذعن لرأى القانون ، بل استنجد بالمرحوم المشير عبدالحكيم عامر (النائب الأول لرئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة واحد قمتىَ السلطة العليا فى الدولة فى ذلك الوقت) الذى اتصل برئيس النيابة لتنفيذ طلب المتهم الثانى بدعوى أن البلد مازال فى حالة ثورة وأن التعلل بالقانون يعتبر تخلفا ، وكان له ما أراد بعد أن قدم المتهم الثانى بلاغا نسب فيه الى الصحفيين كذبا تعاونهما مع المجنى عليه ، وصدر قرار النيابة العامة بحبسهما احتياطيا بعد استجوابهما وعرض الأوراق على النائب العام فى ٢٤ / ٧ / ١٩٦٥ رغم وضوح حقيقة مركزهما قبل القبض عليهما والتى ظهرت جلية فى عدم اسناد أى اتهام اليهما ..

مؤتمرات صحفية

— أما المتهم الثالث منذ قام بعقد مؤتمرين صحفيين الأول بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٦٥ فى مبنى جريدة الأخبار والثانى بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٥ فى مبنى نقابة الصحفيين عرض فيهما الأدلة القائمة قبل المجنى علىه والتى تثبت من وجهة نظر دولة المخابرات العامة صحة الاتهام المسند إليه . وذلك قبل نظر القضية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٦٥ رغم ما فى ذلك من تاثير على القضاء الاستثنائى المطروحة عليه الدعوى ، واستبان كلمته فى

شأنها . ولا يؤثر فى الأمر أن هذين المؤتمرين قد عقدا بناء على طلب نقيب الصحفيين فى ذلك الوقت كما ورد بكتاب المخابرات العامة المؤرخ ٢٤ / ٥ / ١٩٧٦ بغير دليل ، لأن هذا المطلب غير ملزم وسابق لأوانه باعتبار أن الاتهام المسند الى المجنى عليه مطروح أمره على القضاء وإلى أن يقول القضاء كلمته فهو برىء إلى أن تثبت ادانته ، ولأن فى المؤتمر الصحفى (الذى عقد بمكتب السيد وزير العدل وأذيع فيه قرار اتهام المجنى عليه ونشر فى الصحف فى ١ / ١٢ / ١٩٦٥) الكفاية تجنبا لمثل هذه الاجتماعات التى لن يخفى امرها على غير أعضائها بتسرب ما دار فيها إلى علم الجمهور مما قد يكون من شأنه التأثير فى القضاة الذين يناط بهم الفصل فى الاتهام المذكور ، هذا ما لم يكن هناك أثر آخر فى نفس المتهمين .

لا كـرامـة للانســـان

وبما أنه يبين من تصرفات المتهمين القائمين على جهاز المخابرات العامة سالفة البيان أنه لا قانون يحكم تصرفاتهم ، ولا حائل يقف فى سبيل تحقيق رغباتهم . إرادتهم هى القانون ، ومشيئتهم واجبة التنفيذ وليس للفرد كرامة عندهم ولا حقوق ، فكان أن عذبوا من شاءوا ومنهم المجنى عليه قصد اجباره على طاعتهم والامتثال لأوامرهم ، وعرضوه على غيره من المتهمين زهوا بقوتهم ، وتفاخرا بسلطتهم وردعا لكل من تسول له نفسه عدم الرضوخ لطلباتهم فلا راد لتصرفاتهم ولا معقب عليها ، طالما أن من بيده الأمر يؤازرهم فيما هم فيه فاعلون ، فالثورة ماضية فى طريقها وهى فى مفهومهم التحلل من كل شرعية والتنصل من كافة ضماناتها مع أن الثورة جاءت لترسى قواعد الحرية والعدالة والاطمئنان الى المستقبل باقامة نظام قانونى تقدمى صالح محل نظام قانونى متخلف فاسد ، يأمن فيه المواطن على حريته وكرامته وانسانيته .

— وإذا كان المجنى عليه قد امتد به الأجل رغم ما تعرض له من تعذيب وقد جاوز من العمر الخمسين عاما ونال منه المرض . فهذه ارادة الله عز وجل وهو على كل شىء قدير .

— ولو شاء المتهمون معرفة ما بحقائب المجنى عليه المهربة لما عجزوا عن ذلك وهم على علم بأمرها من التسجيلات . وما تركهم لها إلا لعدم حاجتهم اليها .

— وليس فى اختلاق المجنى عليه واقعة اتصال الجاسوس لوتز بالمخابرات المصرية التى أبلغ بها وكيل نيابة حلوان فى ٢٩ / ٢ / ١٩٦٨

منتهزا فرصة وجوده فى ليمان طره لتفتيشه قصد وصول صوته عما لاقاه من تعذيب الى مسامع النيابة العامة وتحريكا لبلاغه السابق ارساله اليها فى ٢٥ / ٢ / ١٩٦٨ فى هذا الشأن ما ينفى وقوع تعذيب عليه أو يكذبه فى هذا الخصوص ..

— أما الرسالة التى حررها المجنى عليه فى ديسمبر ١٩٦٥ بسجن الاستئناف ، وكانت أول اشارة إلى ما وقع عليه من تعذيب جسدى بالمخابرات العامة ، فقد تأكد وجودها بما قرره السيد / فائق عبدالكريم السامرائى الذى تطمئن المحكمة الى أقواله من اطلاعه عليها ونصحه السيد / سعيد فريحة بعدم ابلاغها الى الرئيس السابق .خوفا على حياة المجنى عليه ، ولو علم بها المتهم الأول ، وهو السبب الذى من أجله لم تنشر فى الخارج فى ذلك الوقت ، وظلت فى طى الكتمان حتى أفصح عنها المجنى عليه فى أول تحقيق عن تعذيبه بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٦٨ بعد زوال سلطان المتهم الأول ونشرت فى الخارج بعد ذلك .

— هذا ولم يثبت أن كتابة المجنى عليه لها كانت سابقة لزيارة زواره فى سجن الاستئناف حتى يسلمها لأحدهم ، فضلا عن أن عدم تسليمها اليهم لا ينفى وجودها فى ذلك الوقت ، بل أن عدم وجودها أصلا لم يكن ليغير وجه الرأى فى حقيقة الواقعة طالما أن المجنى عليه قد أبلغ عن واقعة تعذيبه أول مرة فى ٢٥ / ٣ / ١٩٦٨ وطالما أنه لم يدع أن الرسالة المذكورة قد وصلت الى الرئيس السابق .

— ولا ترى المحكمة موجبا لمعاينة مبنى المخابرات العامة للوقوف على ما أثاره شهود الرؤية بشأن معدات التعذيب وما نالهم منها لاطمئنان المحكمة الى أقوالهم والتى تأيدت بما ورد بالتقرير الطبى الشرعى اثباتا لما بقى بهم من اصابات تشهد بصدق روايتهم فضلا عن ثبوت وجود سجن بهيئة المخابرات العامة ، ومضى وقت طويل على تاريخ الواقعة (سنة ١٩٦٥) يزيد على أحد عشر عاما ، هذا بالاضافة الى أن حيازة هذه المعدات فيه مخالفة صارخة للقانون . وهذه المخالفة كانت سمة المتهمين فى أعمالهم وقد دالت دولتهم دون الجهات كهيئة الأمن القومى لا يأتلف مع ما قامت عليه ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ من ارساء دعائم القانون وفرض سيادته .

وحيث أنه عن اصابات المجنى عليه فان المحكمة لا تطمئن إلى الكشف الطبى الموقع عليه يوم دخوله سجن الاستئناف بالكشف الطبى من عدم وجود آثار اصابات أو تعد بالمجنى رئيس قسم الصحة الوقائية وحسنى

محمد باشات طبيب سجن الاستئناف تناقض واضح بشأن طلب الأول للكشف على المجنى عليه والذى لا يشترك فى الكشف إلا فى حالات معينة ليس من بينها حالة المجنى عليه ، ومن حضر الكشف غيرهما حيث قرر طبيب السجن خلافا للأول أن أشخاصا لا يعرفهم حضروا للكشف والجهة التى طلبت الكشف الطبى حيث وجد كشفين أصليين بالقضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن دولة عليا أحدهما صادر من مصلحة المسجون فى ٢ / ١٢ / ١٩٦٥ والثانى من المباحث العامة فى ٨ / ١٢ / ١٩٦٥ وما قرره طبيب السجن بشأن عدم قدرة المسجون على الكلام بحرية حتى يفصح عما به من اصابات . هذا بالاضافة الى ما ثبت بالكشف الطبى من عدم وجود آثار اصابات أو تعد بالمجنى عليه رغم اقرار الطبيبين بعدم خلع المذكور كل ملابسه ، وخلوه من الأمراض رغم اثبات الدكتور حسنى باشات فى افادته المؤرخة فى ٤ / ١ / ١٩٦٦ بالقضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات أمن الدولة باصابة المجنى عليه بالنقرس والسكر . ولا يعقل أن يكون المجنى عليه قد أصيب بالمرض الأول (النقرس) فجأة بعد الكشف عليه فى ١ / ١٢ / ١٩٦٥ مما يشكك المحكمة فى صحة ما تضمنه هذا الكشف من بيانات ، ويتعين الالتفات عنه بخلاف الحال بشأن الاصابات التى أثبتها المحقق العسكرى فى محضره المؤرخ فى ١٦ / ٢ / ١٩٦٨ بشأن مناظرته المجنى عليه وهى علامات سوداء بأسفل وكبة الساق اليمنى بطول ٣ سم وأسفل الساق ناحية القدم بطول ٢ سم ، وأثر غائر فى منتصف الركبة اليمنى ، ورضية أسفل الذقن بطول ٣ سم وأخرى ممتدة من الناحية اليسرى بطول ٨ سم ، وعلامات غائرة وأثرة حول رأس القضيب . وهذه الاصابات تأخذ بها المحكمة وترجح امكان تخلفها عن التعدى الجسيم الذى وقع على المجنى عليه بمبنى المخابرات العامة فى المدة من ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ الى ٤ / ٨ / ١٩٦٥ خاصة أنها فى مواضع من جسمه تعرضت للاعتداء عليها أثناء تعذيبه وذلك هديا بما جاء بالكشف الطبى الموقع على المجنى عليه بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٦٨ بمعرفة الدكتور محمد كمال قاسم مدير ادارة الشئون الطبية والدكتور عبدالقادر اسماعيل مدير مستشفى منطقة طره والذى ورد للنيابة العامة بناء على طلب المباحث العامة بدلا من المجنى عليه الذى طلبه أكثر من مرة دون جدوى لسؤاله فى بلاغه عن تعذيبه من وجود أثر التئام قديم لجرح صغير بقمة الرأس طولى طوله ٢ سم وندبة والتئام كبير قديم مستعرض لجرح رضى أسفل الذقن بطول ٦ سم تقريبا ، وأثر التئامين صغيرين بمقدم الساق الأيسر طول كل

منهما ٢ سم وانها التئامات قديمة لجروح رضية يصعب التكهن بميعاد وأسباب حدوثها اللهم إلا بالمصادمه بأجسام صلبة راضة منذ وقت طويل ، الأمر الذى ترى معه المحكمة انه لا يأتلف مع السقوط فى سيارة فى شهر يناير ١٩٦٧ ولا مع الاصابات التى تخلفت عن هذا السقوط والتى وصفها المجنى عليه فى مؤلفه سنة ثانية سجن (الطبعة الاولى سنه ١٩٧٥ ص ١٨٩ . ١٩١ . ١٩٢) فى أصبع اليد والوجه والجبهة والذراع وجفن العين والرأس والساق والقدم - دون تحديد فى اى موضع من رأسه - والساق سيما وأن المجنى عليه قرر بشأنها أنها لو كانت لها علاقة بالاصابات الثابتة بمحضر المحقق العسكرى او الكشف الطبى الثانى لرفعها من مؤلفه الصادر أثناء تحقيق واقعة التعذيب ولعدم ثبوت اصابة المجنى عليه فى حادث أخر قبل الكشف عليه

, — وإذا كان المجنى عليه لم يعرض اصاباته على المحققين فان ذلك مرجعه التعذيب الجسمانى الذى تعرض له بعد انتهاء اول استجواب له فى ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ إلى يوم ٤ / ٨ / ١٩٦٥ بتاريخ تقديم الاقرار الكتابى وحالة الارهاب التى كان يعيشها والتهديد المشمولة بالتعذيب . مما جعله فى حالة من الرعب . أحجمته عن الافصاح عما به او وقع له حتى لا يتعرض لمثل ما لاقاه وهو بين ايدى اسريه بعلم النيابة ورضائها والذين أثبتوا له بتصرفاتهم أنهم قادرون على تنفيذ وعيدهم

— وقد ساعد على ذلك عدم مناظرته أثناء التحقيق معه بمبنى المخابرات العامة بحجة عدم وجود اصابات ظاهرة به وعدم اثارته شيئا منها ولأن الجريمة المسندة إليه لا تستلزم بطبيعتها فحص المتهم . مع ان المناظرة وهى معاينة ملابس المتهم وفحص جسمه بمجرد مثوله امام المحقق (م ٣٤ من التعليمات العامة للنيابة) لا يقصد بها فقط اثبات الآثار المتعلقة بالجريمة المسندة الى المجنى عليه حتى تستغل بهذا الاجراء بعض الجرائم دون غيرها وانما ايضا قطع دابر كل إنكار مستقبل بعد اعتراف يعزوه الى اكراه وقع عليه قبل او اثناء التحقيق وهو محجوز بين ايدى رجال السلطة التى قامت على ضبطه . وخاصة ان الجريمة التى كانت مسندة اليه جناية ذات عقوبة مغلظة تصل الى حد الاعدام (م ٨٠ ع) مما يجعل الدفع فيها بالتعذيب امرا مألوفا

وحيث أنه إذا كان المجنى عليه قد تضاربت اقواله بشأن بعض الوقائع فان ذلك مرده طول المدة من تاريخ حصول الواقعة وما اكتنفها من ظروف واحداث الى تاريخ تحقيقها وتعدد التحقيق الذى تولوه .

— اما مبالغته فى بعضها الأخر فان المجنى عليه لم يكن يبتغى من اثارة وقائع تعذيبه امتداد التبليغ عنها (الذى قام به الاستاذ عبدالحليم رمضان المحامى فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٤ استعمالا لحقه المقرر قانونا (م ٢٥ أ . ج) استنادا الى ما تضمنه كتاب سنة اولى سجن للمجنى عليه من وقوع جريمة تعذيب عليه ، وانما كان كل ما يهدف المجنى عليه اليه ويقصده هو اعادة محاكمته عن تهمة التخابر التى عوقب من اجلها فكان بلاغه للمدعى العام الاشتراكى فى ٧ / ٨ / ١٩٧٤ ومحاولته الحصول على توقيع المتهم الأول على اقرار بانه اتهم ظلما فى قضية التخابر بامر الرئيس السابق بقصد اغاظة الأمريكان ، مقابل السعى لدى المسئولين لاطلاق سراحه ، وذلك بواسطة الدكتور بهى الدين شلش الذى أخبره المتهم الأول بهذه الواقعة والتى لو لم تكن صحيحة لما حاول المجنى عليه مطالبة المتهم الأول بهذا الطلب لأنه لا يستقيم فى الفهم أن يحاول المجنى عليه استغلال المتهم المذكور فى هذا الخصوص إلا إذا كان ما نقله اليه له ظل من الحقيقة . وذلك كله اعتقادا من المجنى عليه أن هذا الأسلوب كفيل بان يوصله إلى مراده .

— وهذا المسلك منه لا يذهب بكل أقواله أو يهدرها إذ انه لا يصح عقلا ان يكون الشاهد صادقا فى ناحية من اقواله وغير صادق فى ناحية أخرى ، والمحكمة وهى فى مقام تقييم شهادة المجنى عليه فانها تعرض عن غير ما استقر فى وجدانها ووقر فى يقينها باعتبار أن هذا الذى اطمانت اليه هو الصورة الصحيحة للواقعة .

— وإذا كان قد وحد بين المجنى عليه وبين شهود الرؤية آلام تعذيب المخابرات العامة وضمهم سجن الحبس الاحتياطى فى الاستئناف والقناطر ، وجمعهم ليمان الحكم فى طره فان ذلك لا يهدر من قيمة شهادة هؤلاء الشهود ولا يقلل من شانها خاصة وقد ثبت من القضية رقم ٩ / ١٩٦٥ جنايات امن دولة عليا وجودهم فى مبنى المخابرات العامة فى وقت معاصر لوقت نزول المجنى عليه فيه .

— وإذا كانت بلاغات هؤلاء الشهود بشان تعذيبهم والمقيدة برقم ٤١٤٢ ، ٤٠٦ / ٦٨ ادارى المعادى قد حفظت فان ذلك لا يعنى عدم صحتها وبالتالى كذب مقدميها ، وانما هو تصرف اتخذته النيابة العامة فى ١٧ / ٥ / ١٩٦٨ لاعتبارات خاصة غير خافية بقصد منع السير فى اجراءات تحقيقها رغم وجود اصابات ظاهرة بمقدميها اثبتها الطبيب الشرعى فى تقريره المؤرخ فى ١٣ / ٥ / ١٩٦٨ ولو لم يرفق بلاغ المجنى عليه بعد

تحقيقه بمعرفة المحقق العسكرى ، فى أوراق التحقيق الخاصة بقضية انحرافات جهاز المخابرات العامة ، للقى ذات المصير ولذات الحكمة .

— ولا يعنى هذا التصرف من مكتب الادعاء بمحكمة الثورة عدم صحة شكوى المجنى عليه كما ذهب الى ذلك الدفاع عن المتهمين لأنه لا يتفق وواقع الحال وهو أن المجنى عليه قبض عليه بأمر الرئيس السابق الذى تعرض عليه ظروف كل واقعة تخابر وتنفذ تعليماته بشأنها لمساسها بدولة أجنبية كما قرر بذلك المتهم الأول ، ولرفض الرئيس السابق قبول وساطة كل من السيد / محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق والسيد / فائق عبدالكريم السامرائى سفير العراق السابق بمصر للافراج عن المجنى عليه جزاء على ماقاله لمندوب الولايات المتحدة الأمريكية بشأن ركوع الرئيس السابق على قدميه إذا لم يعطوه قمحا وكيداً للولايات المتحدة نفسها ، وخوفا من تاويلها الافراج عن المجنى عليه إلى انه جاء على طلب الولايات المتحدة الأمريكية ، وحتى لا يضطر إلى الافراج عن الاخوان المسلمين وهو ما يرغب فيه .

— وحيث أن عدم دفع المجنى عليه بالتعذيب عند محاكمته لم يكن إلا سياسة انتهجها الدفاع موكلا عنه ومنتدبا فى قضية التخابر حسبما قرر الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامى الذى تطمئن المحكمة الى أقواله فى هذه الواقعة فيما نقله عن المجنى عليه من وقوع تعذيب عليه . ولا يقال عن شهادته أنه كان منتدبا للدفاع عن المجنى عليه وليس موكلا ويتقاضى أجره من المحكمة ، ولا صالح له فى شىء ، وقد قبل أن يعمل سكرتيرا للمحامى الموكل كما ذهب إلى ذلك الدفاع عن المتهم الثالث إذ انه لا فرق بين المحامى المنتدب والمحامى الموكل فى اداء رسالته السامية رسالة الحق والحرية والعدل ، ولم يثبت أن الأستاذ محمد عبدالسلام مصطفى المحامى المنتدب قد قصر فى اداء واجبه او خرج فى مهمته عن مبادىء الشرف والاستقامة والنزاهة الواجب تقيده بها فى سلوكه المهنى .

— وإذا كان لم يدفع بالتعذيب فى المحاكمة فهذه سياسته ومن معه ، ولا يؤثر فى الأمر سابقة دفعه بالتعذيب فى قضية اخرى لأن لكل قضية ظروفها وملابساتها المختلفة .

— كما أنه لا ينال من شهادته قبوله ألقيام بعمل سكرتير ـ على حد تعبيره ـ لرغبة الموكل توقيرا له واحتراما لمكانته لديه ، وليس فى ذلك ما ينال من قدره أو يحط من شانه حتى تهدر شهادته .

— ولو حقا ما ذهب إليه الدفاع من أن المحامى المنتدب لا يهتم بشأن موكله لأنه يتقاضى اجره من المحكمة (في ظل القانون رقم ٩٦ لسنة ١٩٥٧ حيث اصبحت اتعاب المحامى المنتدب في قضايا الانتداب تئول إلى مالية النقابة طبقا لنص المادة ١٤١ من القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٨) لما وجد المتهم الفقير عونا صادقا عند اتهامه بجناية من محاميه المنتدب ولما استحقت المحاماه ان تكون مهنة نجدة ترتكز على اقدس القيم واشرف المقاصد .

صلاح نصر هو الآمر بالتعذيب

وحيث انه مما تقدم يكون قد ثبت في يقين المحكمة واستقر في وجدانها ان المتهم الأول بصفته رئيس جهاز المخابرات العامة هو الذى امر بتعذيب المجنى عليه اثناء حبسه بسجن المخابرات العامة ليحمله على الاعتراف بجريمة التخابر المسندة إليه بابداء اقوال لا تصدر منه لو كان حرا فيما يقول ، لكان ان ناله قسط وافر من صنوف التعذيب من صفع بالأيدى بقوة وركل بالأقدام بقسوة وضرب بالعصى الغليظة وقيده من يديه وقدميه الى الحائط وشد شعر جسمه وعانته بلا رحمة وربطه من قضيبه بسلك كهربائى وجذبه منه بلا شفقة ومنع الطعام والشراب عنه عدة أيام في شهرى القيظ يوليو واغسطس ١٩٦٥ ، وكلها تعذيبات جسيمة لا طاقة لجسده الذى جاوز من العمر خمسين عاما وهو مثقل بمرض السكر وداء النقرس ولا بمركزه الأدبى باحتمالها مما دفعه إلى قبول بلاء الاعتراف للخلاص منها .

— وليس ذلك بمستغرب على المتهم الاول الذى قيل عنه في الحكم الصادر في قضية انحراف المخابرات التى حجبت عمدا عن المحكمة رغم تكرار طلبها « انه المسئول الأول عن هذا الانحراف والذى يعد بحكم وضعه وسلطاته المسئول الأول عن كل عمل تدخل فيه جهاز المخابرات بوسائل غير مشروعة . كما انه مسئول عن استغلال وظيفته وسلطاته في أغراض شخصية مما اضر بالأمن القومى بالدولة ، ويعتبر خروجا عن المبادىء التى قامت عليها الثورة » .

وانه من المؤسف أن تصرفات صلاح نصر الشخصية وانحرافه في سلوكه قد أدت إلى اساءة سمعة جهاز المخابرات العامة في نظر الشعب بينما الواقع ان جهاز المخابرات وجد ليحمى الشعب من أعدائه في الداخل والخارج .

— اما قول المتهم الأول بأن ما حدث له فى قضية الانحراف كان وليد اعتقاد الرئيس السابق بانحيازه الى جبهة المرحوم المشير عبدالحكيم عامر فيكفى فى الرد عليه ما جاء بحكم المحكمة الثورة سالف الذكر انه قد « اراد تدعيم مركزه فسعى الى انشاء علاقات شخصية خاصة بينه وبين المشير عامر مكنت له من غرض سيطرته عليه » . وانه « قد ظهر للمحكمة هذا الارتباط واضحا من العلاقات الشخصية التى كانت قائمة بينهما مما مكن المتهم الأول من الاستناد الى مركز القوة الذى كان يمثله المشير والاعتماد عليه واخفاء الحقائق عن المسئولين » . وان تحقيقات قضية المؤامرة قد كشفت « عن انحياز المتهم الأول إلى فريق المتامرين بسبب هذا الارتباط الوثيق تحقيقا لمصلحة شخصية » . حتى « يعود المشير الى السلطة ويبقى صلاح نصر فى منصبه وتبقى اسرار حياتهما الخاصة فى طى الكتمان » .

— ومن ثم فان المتهم الأول يكون فى الفترة من ٢٣ / ٧ / ١٩٦٥ الى ٤ / ٨ / ١٩٦٥ بدائرة قسم حدائق القبة محافظة القاهرة . وبصفته رئيسا لجهاز المخابرات العامة امر بتعذيب الصحفى مصطفى امين يوسف المتهم فى القضية رقم ١٠ / ٦٥ جنايات امن دولة عليا لحمله على الاعتراف بالجزيمة المسندة إليه ، وقد تخلف عن التعذيب الاصابات الموصوفة بالتحقيقات والكشف الطبى . الامر المؤثم بنص المادة ١٢٦ من قانون العقوبات ويتعين معه انزال العقوبة بالمتهم الاول وفق حكمها .

سبب براءة عليش والجزار

وحيث انه لم يثبت للمحكمة على وجه القطع واليقين ان ايا من المتهمين الثانى والثالث قد قام باصدار اوامر بتعذيب المجنى عليه لاكراهه على الاعتراف بالجريمة المسندة إليه ، او فعلا ذلك بنفسيهما حيث قد نفى المجنى عليه صراحة عنهما هذا الفعل الأخير وقرر بالنسبة للمتهم الثانى انه لم يشاهده إلا بصحبة المتهم الاول دائما . وقد ايده فى هذه الواقعة كل من عادل السيد سليمان وانور جمعة زعلوك .

— وإذا كان المتهم الأول هو الوحيد الذى توافرت القناعة لدى المحكمة من جميع ما قدم فى الدعوى من أوراق وتم فيها من تحقيقات ودار بشأنها بالجلسة انه الآمر بالتعذيب لارغام المجنى عليه على الاعتراف بالجرم المسند إليه ، فان صدور امر من المتهم الثانى بتعذيبه لهذا الشأن يضحى ولا محل له ، غير مستساغ عقلا او مقبول منطقا خاصة أن أمر المتهم الأول قد وضع موضع التنفيذ .

— واما بالنسبة للمتهم الثالث فان ذكره لم يرد على لسان المجنى عليه بشان التهمة موضوع هذه المحكمة إلا في تحقيقات النيابة العامة بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٧٤ رغم اقرار المجنى عليه بمعرفة اسمه الحركى (جلال) من وجوده بمبنى المخابرات العامة وفي وقت نسب اليه واقعة محددة هى الاشراف على تحرير الاقرار الذى كان السبب فيما انتهت إليه المحكمة من وقوع تعذيب عليه ، ولا يمكن أن يغيب عن باله او يغفل عن ذكره طوال هذه الفترة الأمر الذى يفقد المحكمة اطمئنانها إلى ما قاله في هذا الشان الذى لم يقصد به إلا مجرد الزج بالمتهم المذكور في الاتهام موضوع هذه الدعوى لحضوره واقعة تعذيبه وكتابة الاقرار وجزاء له على عقده مؤتمرين صحفيين بداز الأخبار ونقابة الصحفيين عن قضية التخابر قبل عرضها على المحكمة مع ما في ذلك من تشهير بالمجنى عليه وتلويث لسمعته وحط من شانه واحتقاره ليس عند اهل صناعته فقط بل ايضا عند اهل وطنه وعلى الصعيد الدولى ، وهو الأمر الذى علم به عقب الافراج عنه نفاذا لقرار العفو الصادر في ١٨ / ٥ / ١٩٧٤

وحيث أن عدم اصدار المتهمين الثانى والثالث الأمر بتعذيب المجنى عليه ولاكراهه على كتابة الاقرار لا يعنى عدم علمهما بحكم موقعهما في المخابرات العامة والأول رئيس هيئة الأمن القومى والثانى وكيله ، بما حدث للمجنى عليه ، بل انه ثبت للمحكمة علمهما به ووقوع التعذيب وتحرير الاقرار في وجودهما ، غير ان ذلك العلم لا يرقى إلى مرتبة الفعل المجرم بنص المادة ١٢٦ من قانون العقوبات وهو الأمر بالتعذيب ، وانه كان يستشف منه الرضاء به . وهذا الرضا لا يستنتج منه ان ايهما الأمر به لأن هذا الاستنتاج يترتب عليه تغيير لفظ الأمر .

— كما أن أيهما لا يعد مشتركا في ارتكاب الجريمة بعدم تدخله في منعها لأن عدم الاهتمام أو التقاعس عن منع ارتكاب جناية أو جنحة وهو موقف سلبى لا يمكن اعتباره عملا من أعمال الاشتراك الذى يعاقب عليه القانون ، وكلها ايجابية ومحددة به على سبيل الحصر (م ٤٠ ع) وأن كان يعتبر من الأعمال التى يحكم عليها تاديبيا باعتبار انهما موظفان أن كان هناك محل لذلك .

— ومن ثم فان التهمة المسندة إليهما تكون قد غلفتها الريبة واحاطتها الشكوك ، وتضحى براءتهما منها حتما مقضيا عملا بنص المادتين ٣٠٤ / ١ ، ٣٨١ / ١ من قانون الاجراءات الجنائية .

وحيث انه قد انتهت المحكمة الى ثبوت التهمة فى حق المتهم الاول دون المتهمين الثانى والثالث ، وقد نال المجنى عليه من تعذيبه الجسدى بقصد حمله على الاعتراف بالجرم المسند إليه اضرارا مادية وادبية غير متكورة ، فان المتهم الاول يكون مسئولا عن تعويضه عنها طبقا لنص المادتين ١٦٣ ، ١/٢٢٢ من التقنين المدنى . وترى المحكمة اجابة المدعى بالحق المدنى (م ٢٥١ أ . ج) الى مطلبه المؤقت والزام المتهم المذكور بالمبلغ المطلوب والمصروفات المدنية شاملة اتعاب المحاماة عملا بنص المادة ١/٣٢٠ من قانون الاجراءات الجنائية ، مع رفض الدعوى المدنية قبل المتهمين الثانى والثالث لان الحكم بالبراءة لعدم ثبوت التهمة يستلزم دائما رفض طلب التعويض لانتفاء الخطأ الموجب للمسئولية .

فلهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المواد ١٢٦ عقوبات والمواد ١/٣٠٤ ، ١/٣٨١ ، ٢٥١ ، ١/٣٢٠ اجراءات جنائية ، ١٦٣ ، ١/٢٢٢ مدنى . حكمت المحكمة حضوريا :

اولا : بمعاقبة صلاح محمد نصر بالأشغال الشاقة مدة عشر سنوات عن التهمة المسندة اليه ، والزامه ان يدفع للمدعى بالحق المدنى مصطفى امين يوسف مبلغ ٥١ جنيها (فقط واحد وخمسون جنيها) على سبيل التعويض المؤقت والمصاريف ومبلغ مائة جنيه (١٠٠ جنيه) مقابل اتعاب المحاماه .

ثانيا : ببراءة كل من حسن زكى عليش واحمد يسرى الجزار من التهمة المسندة إليهما وبرفض الدعوى المدنية المقامة قبلهما .

صدر هذا الحكم وتلى علنا بجلسة يوم السبت الموافق ٢٦ / ٦ / ١٩٧٦

امين السر   رئيس المحكمة

فكرة

يارب !

ما ابلغ حكمتك ، واعظم مشيئتك . امهلت وما اهملت . انت تعلم اننى لم اطلب منك فى يوم من الايام ان تنتقم من ظالم . كل ما طلبته منك ان تنصف كل مظلوم .

انت تعلم اننى لم اطلب شيئا لنفسى ، كل ما طلبت الا يحدث لغيرنا ما حدث لنا !

انت تعلم انني لم ارفع هذه القضية . ولم اقدم شكوى إلى النيابة . كل ما حدث ان محاميا لم اعرفه ولم اقابله قبل ذلك طوال حياتي ، وهو الأستاذ عبدالحليم رمضان المحامي قدم بلاغا إلى النائب العام يطلب التحقيق في وقائع التعذيب التي جاءت في « سنة اولى سجن »

كنت واقفا وحدى . وكنت اشعر انني اواجه قوى لا قبل لى بها . هى تملك كل شيء وانا لا املك سوى قلمى . هى تهدد وتتوعد وانا ليس لى إلا الله استعينه واعتمد عليه .

اذكر كيف ان صلاح نصر كتب مذكرة يقول فيها انه ليس من حق محكمة الجنايات أن تحاكمه . وليس من حق النيابة ان تحقق معه ، وانه يجب ان تؤلف محكمة خاصة لمحاكمته . وانه ضابط سابق برتبة فريق لا يجوز ان يحاكم إلا امام محكمة عسكرية يتولاها ضابط برتبة فريق . وانه يطلب من الجيش ان يحميه من المحاكمة العادية . ورفض الفريق الجمسى وزير الحربية ان يتدخل الجيش في قضية تعذيب .

ثم ارسل صلاح نصر الى عادل يونس وزير العدل يطلب منه ان يمنع محاكمته امام محكمة عادية ، ويطالب ان يحاكم امام محكمة عسكرية . وإذا بعادل يونس ـ رحمه الله ـ يضع مذكرة يعلن فيها ان سيادة القانون تقتضى ان يحاكم صلاح نصر امام القضاء شانه شان كل متهم عادى بغير تفريق ولا تمييز !

تحية للقضاة الكبار الذين رفعوا راس قضاة مصر ، واثبتوا ان قضاء مصر صامد كالطود وانه يحمى كل مصرى وان المصريين جميعا سواء أمام القانون .

تحية لشوكت التونى المحامى الذى ترافع عن شعب مصر مرافعة بليغة سوف تدخل بين اعظم المرافعات السياسية في تاريخ مصر .

وقبل كل شيء .. وبعد كل شيء لك الشكر يارب !

مصطفى أمين

• • •

كتب للمؤلف

- **أمريكا الضاحكة**

حياة طالب مفلس فى امريكا
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ - (نفدت) .
الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣ - (نفدت) .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ - (نفدت) .

- **فاطمة**

مثلتها للسينما ام كلثوم وانور وجدى سنة ١٩٤٧

- **عمالقة واقزام**

ساسة مصر قبل الثورة
سنة ١٩٥١ - (نفدت) .

- **ليالى فاروق**

قصة حياة الملك فاروق
الجزء الأول سنة ١٩٥٤ - (نفدت) .
الجزء الثانى سنة ١٩٥٤ - (نفدت)

- **معبودة الجماهير**

الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ - (نفدت) .
مثلها للسينما عبدالحليم حافظ وشادية

- **صاحب الجلالة فى الزنزانة - المكتب المصرى الحديث**

قصة الصحافة المصرية فى الأغلال والصراع بين الصحافة والطغيان
الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٥

سنة أولى سجن - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤ - (نفدت) .
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٥ - (نفدت)
الطبعة الرابعة فبراير ١٩٧٥ - (نفدت) .

الطبعة الخامسة مايو ١٩٧٥ - (نفدت)
الطبعة السادسة يناير ١٩٧٨
الطبعة السابعة أبريل ١٩٨١
الطبعة الثامنة يناير ١٩٨٥ « الشركة السعودية للأبحاث والتسويق »

● الكتاب الممنوع

أسرار ثورة ١٩١٩
الطبعة الأولى ١٩٧٤ - (نفدت)
الطبعة الثانية ١٩٧٥

● سنة أولى حب - المكتب المصرى الحديث

يناير ١٩٧٥
مثلها للسينما محمود ياسين ونجلاء فتحى

● ست الحسن - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى ١٩٧٦ - (نفدت)
الطبعة الثانية ١٩٨١

● من واحد إلى عشرة - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى ١٩٧٧
الطبعة الثانية ١٩٨١

● سنة ثانية سجن - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى ١٩٧٧

● سنة ثالثة سجن - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى ١٩٧٨

● لا .. - المكتب المصرى الحديث

الطبعة الأولى ١٩٧٧

● لكل مقال أزمة

الطبعة الأولى ١٩٧٩

- تحيا الديمقراطية ـ المكتب المصرى الحديث
  الطبعة الأولى ١٩٨٠
- من عشرة لعشرين ـ المكتب المصرى الحديث
  الطبعة الأولى ١٩٨١
- صاحب الجلالة الحب
  الطبعة الأولى ١٩٨٠
- من فكرة لفكرة الجزء الأول
  الطبعة الأولى ١٩٨٣
- من فكرة لفكرة الجزء الثانى
  الطبعة الأولى ١٩٨٤
- مسائل شخصية
  الطبعة الأولى ١٩٨٤
- الفكرة الممنوعة
  الطبعة الأولى ١٩٨٤
- سنة خامسة سجن
  الطبعة الأولى ١٩٨٤

• • •

فى هذا الكتاب

	صفحة
الحياة بلا قلم !	٥
كل النساء أقوى من بعض الرجال !	٩
يكبرون الله ويذبحون البشر	١٣
ملك التعذيب	١٧
مذبحة عام ١٩٦٥	٣١
مصرع السفاح	٣٩
الحياة بغير جريدة !	٤٦
دعوة إلى حفلة تعذيب !	٥١
إلى سجن الاستئناف	٥٥
رسالة إلى الرئيس عبدالناصر	٥٩
محاربة الزبانية بالضحك	٦٧
الجنة .. سجن !	٧٣
مدرسة التفاؤل	٨١
أشجع الشجعان من يستطيع أن يصمت	٨٧
سعادة المفتش	٩٢
كانت أمى على حق	٩٧
خطاب على جهاز تسجيل	١٠١
٥٠٠ جنيه من أم كلثوم	١٠٧
لن تدخل السجن	١١٧
السر الخطير الذى أذعته !	١٢٥
العمل الطيب لا يموت	١٣١
الذين يولدون فى العواصف لا يفزعون من زئير الرياح	١٣٣

المؤامرة الملفقة ١٣٥
التهمة الجديدة ! ١٤٣
فى مستشفى المجاذيب ١٤٩
الحياة فى الزنزانة ! ١٥٥
لست المظلوم الوحيد ١٥٩
أحفر طريقى إلى الفجر بدبوس ! ١٦٥
صحافتنا لن تموت ١٧١
دعاء على الظالم ١٧٧
القبض على كل من يقول أننى مظلوم ١٧٩
عصر التلفيق ! ١٨٨
تنفيذ حكم الاعدام ١٩٧
على أمين وأنا ٢٠٥
كلمة من المحرر ٢٠٥
الناس الطيبون ٢٠٩
عبدالوهاب خائف ٢١٣
الرقابة على الخطابات ٢٢١
الحقيقة المسجونة ٢٢٧
ارتفع مستوى السجن ٢٣٣
التليفونات لا تدق ٢٣٧
التفتيش ٢٤١
المخبأ ! ٢٤٥
رقم قياسى ٢٤٩
مقلب فى السجن ٢٥٥
الحياة فى قبر ٢٦١
نص الحكم على ملك التعذيب ٢٦٨

● ● ●

رقم الايداع : ٩٠٥٠ / ١٩٩١
الترقيم الدولى : I. S. B. N
977 - 08 - 0168 - 2

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم

هذا الكتاب

«سنة أولى سجن» دراما إنسانية .. ورؤية ثاقبة لعالم السجون .. هذا العالم الغريب وراء حجب الأسوار . إنه أدب جديد يمكن تسميته «بأدب السجون» كأدب الرحلات .. إنها تجربة فريدة ومتميزة .. وبالرغم من قوتها إلا أن الأسلوب الرشيق السلس للكاتب الكبير مصطفى أمين يحمل القارئ [illegible] يقرأ وتتسارع ضربات قلبه ونبضه حتى وهو يرى المشاهد المصورة داخل دهاليز السجون .. ليطل على هذا العالم الذي يحيطه الغموض وتلفه [illegible]

أخبار اليوم

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم